
ملتقى
ابن منظور
دور التعريب في تطوير اللغة العربية
ترقية العربية في تونس
الدار التونسية للنشر

ملتقى
ابن منظور

دور التعريب في تطوير اللغة العربية
ترقية العربية في تونس

الدار التونسية للنشر

ابن منظور
(630 ـ 711 هـ)
(1232 ـ 1311 م)

محمد بن مكرّم بن علي ، ابو الفضل جمال الدين بن منظور الانصاري الرويفعي الافريقي ، صاحب « لسان العرب » الامام اللغوي الحجة من نسل رويفع بن ثابت الانصاري ولد بمصر (وقيل في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الانشاء بالقاهرة ثم ولي القضاء في طرابلس وعاد إلى مصر فتوفي فيها ، وقد ترك بخطه نحو 500 مجلد ، وعمى في اخر عمره . قال ابن حجر « كان مغرى باختصار كتب الادب المطولة » وقال الصفدي : اشهر كتبه : لسان العرب 20 مجلدا ، جمع فيه امهات كتب اللغة فكاد يغني عنها جميعا .

ومن كتبه : « مختار الاغاني » طبع جزء منه .

« مختصر مفردات ابن البيطار » .

« نثار الازهار في الليل والنهار » ادب ، وهو الجزء الاول من كتابه « سرور النفس بمدارك الحواس الخمس - في مجلدين - هذب فيها كتاب « فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لاولى الالباب » لاحمد بن يوسف التيفاشي وله « لطائف الذخيرة » اختصر به ذخيرة ابن بسام - و « مختصر تاريخ دمشق » لابن عساكر « ومختصر تاريخ بغداد » للسمعاني واختصار كتاب « الحيوان » للجاحظ واخبار ابي نواس - جزآن صغيران و

« مختصر اخبار المذاكرة ونشوار المحاضرة » رايته في مكتبة الامبروزيانة 119 ، وله شعر رقيق .

المصادر

فوات الوفيات 2 : 265 وبغية الوعاة 106 ونكت الهميان 275 والدرر الكامنة 4 : 262 وحسن المحاضرة 1 : 219 ومفتاح السعادة 1 : 106 و 380 والفهرس التمهيدي 425 وروضات الجنات الطبعة الثانية Huart 712 واداب اللغة 3 : 141 وفي Princeton 70 وصف مخطوطة له من « مختار الاغاني » ودار الكتب : 3 : 403 والتيمورية 3 : 292 وفي خزانة السيد حسن حسني عبد الوهاب بتونس اجزاء من اختصاره لكتاب « فصل الخطاب » للتيفاشي - و 14 : 2 Brock وهو صاحب الابيات المشهورة :

« الناس قد أثموا فينا بظنهم وصدقوا بالذي أدري وتدرينا »
ماذا يضرك في تصديق قولهم ؟ بان تحقق ما فينا يظنونا
حملي وحملك ذنبا واحدا ، ثقة بالعفو ، اجمل من اثم الورى فينا »

مكانة ابن منظور المعجمية

محمد رشاد الحمزاوي

يبدو ان القضية التي نطرحها لا تستحق ان تكون موضوع بحث ونظر ، او ان تكون مشكلية مهمة حسب تعبير المحدثين ، وذلك لاسباب عديدة منها : ان تلك المكانة قد سبق ان جاءت مذكورة في دراسات مختلفة (1) لا سيما . في الدراسة المطولة التي خصصها حسين نصار للمعجم العربي (2) حيث سعى الى ضبط معالم مدرسة ابن منظور (3) - وهي المدرسة المعجمية العربية الثالثة

---

1) - نذكر من تلك الدراسات وعلى سبيل المثال وبالترتيب التاريخي :
أ) - عبد الله درويش : المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل - القاهرة 6

ب) - J.A. Haywood : Arabie Lexicography, its History and its place... Leiden 1960

ج) - عدنان الخطيب : المعجم العربي بين الماضي والحاضر - القاهرة 66 - 1967

2) - حسين نصار : المعجم العربي ، نشأته وتطوره - جزءان - ص ثانية 1968
3) - نفس المرجع ص 483 - 687

حسب نظره (4) - وتحديد خصائصها الايجابية والسلبية (5) مع اعتبار خصائص المدارس السابقة واللاحقة لها .

وتكاد محاولتنا ان تكون فضلة ، لا تفيد ان اختزنا ما خصصته كل الدراسات المذكورة لابن منظور نفسه ، مبرزة ما وفره من مساهمات لتنمية المعجم العربي . اما الاحتراز الاخير فهو على جدوى محاولتنا هذه : اذ يعتمد على الرأي السائد الذي يفيد بان ابن منظور لم يطمع في مكانة معينة ، ولم يدع زعامة ما ، لانه اقر بصريح كلامه انه ناقل عن اصول معجمية خمسة : « نقلت من كل اصل مضمونه ، ولم ابدل منه شيئا ... بل اديت الامانة في نقل الاصول بالنصّ » .

فليعتمد من ينقل عن كتابي هذا ، انه ينقل عن هذه الاصول الخمسة » (6) .

وذلك ما أثبتناه في مقالة سابقة لنا (7) أيدنا فيها هذا الرأي الذي سنسعى الى تجاوزه اليوم . فما عسى ان تأتي به محاولتنا من آراء ، وافكار في هذا الشأن ؟ يبدو لنا اننا نستطيع ان نساهم في الموضوع ببعض الخواطر التي سنعتمد فيها النظرة المعجمية القديمة ، والنظرة الالسنية المعجمية الحديثة . وعلى هذا الاساس يمكن لنا ان نقدم فكرة عن مكانة ابن منظور المعجمية ، فيها تواصل لغوي ، يستفيد منه تاريخ المعجمية العربية .

ان مقاربتنا للقضية تفرض علينا الاستناد على النصوص النظرية والتطبيقية،لا سيما مقدمة اللسان ومتنه،اللذين وضعهما ابن

---

4) - عدنان الخطيب : المعجم العربي ... ص 37 - 39 حيث يقسم تلك المدارس بحسب القرون الهجرية . وهي احد عشر قرنا (من القرن الثاني إلى القرن الثاني عشر هجريا)

5) - حسين نصار : المعجم العربي ... ص 686 - 687

6) - ابن منظور : لسان العرب ص، صادر : بيروت 1374 هـ 1955 م ص 8

7) - رشاد الحمزاوي : طريقة ابن منظور في وضع جذاذاته حوليات الجامعة التونسية عـ10ـدد 1973 ص 55 - 72

منظور ، لنستشف منهما ـ بالخصوص ـ عناصر المكانة المعنية بالامر . فالمقدمة ـ تفيدنا ـ مثلا ـ بمعلومات عديدة منها : ان ابن منظور يسعى الى وضع اسس المعجم عموما ـ مهما كانت اللغة التي ينتسب اليها . فهو اول من اقر مصطلحين « ما وراء لغويين » ـ حسب تعبير المحدثين ـ يعتبران عنصرين متكاملين ـ بالضرورة ـ لوضع كل معجم : وهما الجمع ، والوضع ، اللذين سعى الخليل بن احمد الى ادراكهما باعتماد مبدأ التقليب (8) دون ان يصل الى حل معجمي تطبيقي في هذا الصدد . فالجمع يفرض تحديد المادة التي يجب ان يستوعبها المعجم . وأما الوضع فهو يتعلق بترتيب تلك المادة ، فحسب طريقة معينة (9) تيسر على مستهلك المعجم الفوز بالمعلومات التي يبحث عنها . فالتوفيق بين هذين العنصرين يعتبر من أهم عناصر المعجم ، وعليه يعول لوضع المعجم التطبيقي ، المثالي . فلقد ظلت كل المعاجم كلها ـ بما في ذلك لسان العرب تتوق إلى تحقيق ذلك التوازن الذي لم يبلغه أحد ، حسب تعبير ابن منظور الذي يقول « أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه ، فلم يفد حسن الجمع مع اساءة الوضع ، ولا نفعت اجادة الوضع مع رداءة الجمع » (10) .

ان تاريخ المعجمية عموما وتاريخ المعجمية العربية بالخصوص ، يثبتان ان المعاجم ما انفكت تبحث عن ضالتها في هذا الميدان ، لان الجمع ، او ما يطلق عليه اليوم بالحقل المعجمي ،

---

8) ـ اراد الخليل ان يجمع مادة المعجم العربي المثالي ـ دون اسقاط او اهمال . فاعتمد عملية التقليب والضرب المضيقة على الثنائي والثلاثي ، والرباعي والخماسي ، مما جعله يحصل على عدد مثالي من المداخل ، بلغ حسب السيوطي 12 مليون مدخل . وهو ما يمثل الجمع المثالي الذي يجب أن يقترب منه كل معجم . ولقد حسنت هنا طريقة الجمع ، وفشلت قضية الوضع او الترتيب ، اذ يعسر على غير المتدرب العثور بسهولة على المداخل بمعجم العين .

9) ـ توجد ترتيبات كثيرة منها : الترتيب بحسب التقليب (الخليل) واواخر الكلمات (اللسان) اول الكلمات (اساس البلاغة) الخ

10) ـ لسان العرب المقدمة ص 8

يستوجب من المعجمي اختيارات عديدة منها : حجم المعجم وبالتالي مداخله اي عدد مفرداته ، ومنزلة المراحل اللغوية التي يجب اعتمادها سواء القديم او الحديث منها ، ونصيب المصطلحات الفنية والتقنية منه ، وحظ المستويات اللغوية المختلفة (الفصيح ، المولد ، العامي ، المعرب ، الدخيل الخ) التي يجب ادراجها به ، وخاصة نصوص الاستشهاد التي يستند إليها للتعريف بمختلف معاني الكلمة الواحدة في سياقات متعددة ـ والملاحظ ان سعة الجمع ـ ذاك ـ تتكيف بحسب الوظيفة التي يهدف اليها المعجم ـ فالفرق واضح بين ما يجمع لوضع معجم تاريخي ، وما يجمع لوضع معجم طلاب او سواح .

ولقد تميز ابن منظور في قضية الجمع بمبادرات ثلاث ، لم يسبقه لها احد . اولها مبدا اعتماد ما يسمى بالمرجع اللغوي المكتوب الذي صحت روايته ، وثبتت . فهو اول من انشا معنى المدونة المكتوبة ، وبرر موقفه منها بان استمد مادة معجمه من خمسه كتب من الامهات التي جمعت ـ كما وكيفا ـ كل مادة اللغة حسب رأيه . فهو لم يستعملها بغية الجمع والحفاظ على اللغة فحسب ، كما يزعم الكثير من الدارسين الذين اعتبروه جماعا ماهرا وناقلا امينا ، بل ان غايته تبدو طريفة بالنظر الى اختياره تلك الامهات دون سواها . ومعنى ذلك ان اختياره ليس اعتباطيا ، لان معنى المدونة يفترض عنده استقراء المعلومات اللغوية من مواطن مختلفة ، محددة ومختارة عن قصد ، حتى تتوافر لمستقرئها جميع عناصر اكتمال مادته ، وحتى يتجنب كل ما من شأنه أن يحكم عليها بالقصور ، او التقصير في الاحاطة بالموضوع المطروق . ولقد اشار ابن منظور الى ذلك مبينا ان « التهذيب » للازهري اجمل كتب اللغة ، و « محكم » ابن سيده اكملها ، و « صحاح » الجوهري اصحها و « حواشي » ابن بري اكثرها تصويبا ، و « نهاية » ابن الاثير الجزري احسن تكملة لها . فهي تكون بالضرورة عناصر المدونة التامة حسب راي ابن منظور ـ لوضع معجم جامع مثل لسان العرب الذي « عظم نفعه بما اشتمل عليه من العلوم ، وغني بما في غيره ، وافتقر غيره اليه ، وجمع من اللغات

والشواهد ، والادلة ما لم يجمع مثله ، لان كل واحد من هؤلاء العلماء انفرد برواية رواها ، وبكلمة سمعها من العرب شفاها ، ولم يأت في كتابه بكل ما في كتاب أخيه » (11) وتلك قواعد كل معجم موسوعي ، جديد تفصل بينه وبين عصر الرواية عصور عديدة بلغت سبعة قرون في حالة ابن منظور (توفي سنة 711 هـ) . ولقد انتشر مبدا المدونة ـ هذه ـ من بعد ابن منظور ، واخذها عنه لاحقوه من العرب وغيرهم .

اما المبادرة الثانية فهي مولدة من المبادرة الاولى ، وتعتبر فرعا منها . ونحن ننسبها اليوم الى ما يسمى بعلم اللغة الجغرافي ـ الذي يقر مفهوم المساحة اللغوية التي يجب ان يشملها الجمع . ويقابل هذا المفهوم مفهوم اخر متم له ، وهو مفهوم المساحة الزمنية التاريخية ان اعتبرنا ان المعاجم الخمسة المعتمدة ، تمثل مراحل لغوية متتابعة . وعلى هذا الاساس لم يقصر ابن منظور جمع مادته على معاجم المشرق فحسب ، بل اعتمد معجما اندلسيا مغربيا وهو « محكم » ابن سيده الاندلسي فشمل معجمه مساحتين لغويتين متكاملتين ـ وهما المشرق والمغرب العربيين ـ حتى يفي بشروط الاستقراء الواسع ، ويوفر اسس الاجماع اللغوي بين المجموعتين العربيتين اللتين تستعملان العربية لغة ادب ، وعلم ، وادارة .

تعتبر المبادرة الثالثة جريئة للغاية في نطاق وضع المدونة المعجمية التي سعى ابن منظور الى ان يتصورها ، ليستمد منها المستويات اللغوية التي لم تدخل متن المعجم ـ فهو اول معجمي قد اقر اعتماد الحديث الشريف لغة من اللغات التي يجب ان يرتكز عليها المعجم ، لا سيما وان التقاليد اللغوية والمعجمية العربية كانت لا تثبته في جلها ، لانه يروى بمعناه لا بلفظه ـ فلقد زودنا ابن منظور بمصدر جديد يعتبر لغة من اللغات ـ حسب تعبير القدماء ـ ومستوى لغويا جديدا ـ حسب تعبير المحدثين ـ فضلا عما جمعته مصادره الاربعة من اللغات واللهجات .

---

11) ـ نفس المصدر

ويعتبر عمله هذا ثوريا لسببين هامين : اولها اعتبار الحديث مصدرا لغويا مهما ، رغم معارضة جمهور اللغويين استعماله حجة لغوية ، وثانيهما الاستناد لاول مرة إلى النثر ليكون أساسا مهما من اسس الاستشهاد . ولذلك نرى ان ابن منظور قد تجاوز المنهج الذي كان لا يعتد الا بالشعر في الاستشهاد للتعريف والتفسير ، والاحتجاج لمختلف المباني والمعاني . والملاحظ ان بعض المعجميين المحدثين يرجحون بل يؤثرون الاحتجاج بالنثر ، لانه الاساس والاغلب ، ولان الاحتجاج بالشعر ، وان كان لغايات اسلوبية ، فهو يعبر في غالب الاحيان عن حالة نفسانية بل باتولوجية لا يحسن القياس عليها . ونحن نرى ان هذا الموقف الذي وقفه ابن منظور من الحديث - خاصة - والنثر - عموما - منهج مجدد في حدّ ذاته - بقطع النظر عن احتشامه - لانه يوحي بالقياس عليه ، والتوسع فيه ، حتى يشمل المعجم الاثار الادبية التي تركها لنا امراء البيان من العرب والمسلمين ، والتي لم تعتمدها معاجمها للاحتجاج بها الى يوم الناس هذا . وأنّى لنا ذلك ؟ ونحن ما زلنا نبحث عن أحسن الطرق لوضع معجم عربي ، تاريخي ، لم يوفق اليه مجمع اللغة العربية ، رغم ما بذل من جهود (12) في هذا الشأن .

اما من حيث قضية الوضع او الترتيب فيكفينا ان نشير الى ان ابن منظور كان اول من وفر لنا في مقدمته نظرة نقدية اجمالية موجزة عن وجوه ذلك الوضع ، كما تصورها سابقوه . فلقد لاحظ ان مدرسة الخليل التي تعتمد التقليب ، والتي يمثلها الازهري ، وابن سيده ، لم تسلم من الهنات « لان واضعه شرع للناس موردا عذبا ، وجلاهم عنه ، وارتاد لهم مرعى مريعا ، ومنعهم منه ، فقد اخر وقدم وقصد ان يعرب فاعجم » (13) . اما مدرسة الجوهري ، التي ينسب اليها ابن منظور ، والتي تعتمد الترتيب بحسب أواخر الكلمات ، فلقد قال في صاحبها « وهو مع ذلك قد صحّف وحرّف ، وجزف فيما

12) - محمد رشاد الحمزاوي L'Academie Arabe du caire, Histoire et Oeuvre Tunis 1975 P 523 - 571

13) - لسان العرب ، المقدمة ص 7

حرّف ، فاتيح له الشيخ ابو محمد بن بري فتتبع ما فيه ، واملى عليه اماليه ، مخرجا لسقطاته ، مؤرخا لغلطاته » (14) . ولقد ختم رأيه بحكم يخص « النهاية » لابن الاثير حيث يقول « غير أنه لم يضع الكلمات في محلها ، ولا راعى زائد حروفها من اصلها » (15) .

ان مفهوم المدونة بقدر ما يحتم اختيار امهات الكتب لمنزلتها القيمة - يستوجب نقدها لضبط حدود جدواها . ان هذا النقد المركز على مختلف المدارس - بما في ذلك مدرسة ابن منظور - يدل على شعوره بما نعبر عنه اليوم بقضية المداخل العويضة ومناهج وضعها ، لا سيما ان اعتبرنا مالها من صلة بقضايا المداخل الاصول ، وملحقاتها التي تاه فيها بعضهم ، ومنهم الخليل الذي يقول ابن منظور في شأنه « فرق الذهن بين الثنائي والمضاعف والمقلوب ، وبدد الفكر باللفيف والمعتل ، والرباعي والخماسي ، فضاع المطلوب » (16) . وليس من الغريب ان يخصص ابن منظور مقدمات لكل حرف من حروف المعجم ، وقد وضعها ابن دريد من قبله ، وادرجها في اخر جمهرته . والغاية من ذلك ليس التفنن ، والتوسع في العلم ، بل ضبط قواعد تلك الحروف وتقلباتها بحسب السياق ، حتى يأمن الخطا واللبس من حيث الترتيب وضبط معاني الكلمات باعتبار مبانيها « لان (17) العادة ان يطالع اول الكتاب ليكشف منه ترتيبه وغرض مصنفه » فهو يهتم مثلا بحرف الهمزة من حيث مكانته الصوتية والصرفية : الهمزة تخفيفا وتليينا وتحويلا وحذفا) (18) وبتقارب الحروف وتباعدها لاستكشاف قواعد التمييز بين ما هو عربي وما هو غير عربي ، ولادراك الفراغات الموجودة في المعجم العربي الخ .

ان هذه المعطيات تفيدنا بان مكانة ابن منظور المعجمية جديرة

---

14) - نفس المصدر
15) - نفس المصدر ص 8
16) - نفس المصدر ص 7
17) نفس المصدر ص 9
18) - نفس المصدر ص 17 - 22

بالاعتبار ان اعتمدنا مقدمته - وهي بيانه المعجمي - التي تدلنا على ان صاحبنا لم يكن جماعا ناقلا ، بل معجميا مجددا ، قد تصور المعجم انطلاقا من المدونة لا من الرواية . فالتجديد في المعجم في عصره لا يقاس بالرواية المباشرة التي انقرضت ، واستحالت ، بل بتصور مفهوم المدونة ومستلزماتها من حيث الجمع والوضع . ولذلك يعتبر ابن منظور اول من ابتكر هذا المنهج وما اليه ، وجعله سنة من السنن العامة للمعجم عموما .

فما هي خصائص هذا المعجم ؟ سنعتمد في هذا الصدد وجهين فحسب من تلك الخصائص وهما : مفهوم المعجم ، وقضية التعريف عند ابن منظور . ان المعاجم يمكن ان تعرف بحسب اعتبارات كثيرة ، منها احجامها اي عدد مفرداتها ، وعلى هذا الاساس يعتبر لسان العرب اكبر معجم في تاريخ العربية . الا أننا لا نستطيع ان نعتبره معجما تاريخيا ، لان مفرداته غير مؤرخة كما هو شان معجم ليتري الفرنسي مثلا . وهو ليس معجم اصول ومقارنة مثل معرب الجواليقي وهو ليس معجما لغويا بحتا ، لانه يشمل مداخل ، وتعريفات ، تنسب الى علوم اخرى لا تمت الى اللغة بسبب . فلا يمكن ان نعتبره الا موسوعة لغوية ، ان هذه الموسوعة حسب التعريف الحديث تجمع بين معجم الكلمات ومعجم الاشياء فالاول يهتم بوضع الكلمة صوتيا وصرفيا ، ونحويا ودلاليا ، واسلوبيا في سياق معين كثيرا ما يعتمد الشواهد « اما معجم الاشياء فهو يهتم بالشيء او الموضوع الذي يعبر عنه بكلمة من الكلمات ، معتمدا في ذلك جملة أو جملا تصف ذلك الشيء او الموضوع ، واستعماله واصله ومكانته من ثقافة المجموعة . فلسان العرب لا يخرج عن هذا النمط ويمكن ان نلخص محتواه في الشكل التالي :

(+ اشياء) + (+ لغة) = معجم موسوعي

فهو يطرق باب القاب الحروف طبائعها ، وخصائصها ، من حيث اللغة صوتا وحرفا ومعنى ، كما يطرقها من حيث الخصائص الفلكية والظواهر الطبيعية ، والمعالجة الطبية (19) . كذلك الشان في

19) - لسان العرب المقدمة ص 13 - 16

مادتي « بلد » و « عرب » اللتين تشترك فيهما اللغة والمنطق ، والتاريخ والجغرافيا والفقه الخ ...

ان تلك الموسوعية التي ارتضاها ابن منظور تتميز ايضا بكثرة المداخل ، وقد أحصاها بعضهم فقدرها بتسعين الف مدخل . وفي ذلك نظر - المهم ان معجم ابن منظور الموسوعي هو اول معجم سعى الى حصر جميع ما اسماه الخليل بالمستعمل في اللغة ، والموجود بالفعل في عصره ، مقابلة بالمهمل او الموجود بالقوة ، باعتبار ان لكل مجموعة لغوية معجمين : معجم يشمل الاستعمالات المتكونة من مجموع معاجم افراد المجموعة ، ومعجم ضمني لا حدود له ، يدرك بالتوليد والتحويل ، والاستعارة والقلب ، والتعريب والدخيل الخ . وهو بعبارة أخرى المعجم المثالي المنتظر ولقد عبرت عنهما بعد الخليل نظرية هملت المقارنة والنظريّة اللغوية التوليدية المعاصرة لصاحبها شمسكي بمصطلحي « Compétence » et « performance » اللذين هما ترجمة محضة لمصطلحي الخليل . فان كان ابن منظور قد ترك قضية المهمل او الموجود بالقوة لاسباب ترتيبية ، وما نشأ عنها من صعاب عملية كما سبق لنا ان بينا - فانه قد اهتم بقضية المستعمل او الموجود بالفعل ، باعتماد المدونة التي اشرنا اليها ، وزودنا باكبر قسط من ذلك المستعمل ، رغم ان الرجل قد اشتهر باختصار المطولات مثل « الاغاني » و « العقد » ، و « الذخيرة » و « نشواز المحاضرة » و « مفردات ابن البيطار » الخ ...

ولقد اثرى المحدثون ذلك الموجود بالفعل ، بما اضافوه الى لسان العرب الاصل من مصطلحات علمية حديثة ، وضعتها المجامع والهيئات العلمية العصرية . فأصبح لسان العرب « لسان العرب المحيط » (20) مشتملا على ما يقرب من مأتين وخمسين الف مدخل ، مما جعله يقترب من « معجم اكسفورد الكوني » دون ان يبلغ الموجود بالقوة العربي ، الذي قدر حسب تقليبات الخليل

20) - لسان العرب المحيط نشر وطبع المرعشلي بمقدمة العلائلي انظر تقديمنا له بحوليات الجامعة التونسية عـ10ـدد 1973 ص 213 - 218

النظرية باثنتي عشرة مليون كلمة ، لا يمكن ان يدركها الا نبي - حسب راي الشافعي - الذي يقول في الرسالة « ولسان العرب اوسع الالسنة مذهبا ، واكثرها الفاظا ، ولا تعلمه يحيط بجميع علمه انسان غير نبي » (21) . وتتلخص مكانة ابن منظور المعجمية في هذا المستوى في مواصلة السير للاقتراب من ذلك الموجود بالقوة ، والمحافظة على تلك الفلسفة اللغوية العربيّة التي كان لها السبق في الماضي وحتى في الحاضر

ان تراكم المداخل قد أدى - حتما - بلسان العرب الى اعتماد منهج الاشتراك في العرض الداخلي للمداخل ، والتعريف بها ، عوضا عن منهج التجنيس ، ويعنى بالاشتراك ان يدمج تحت أصل واحد معاني كثيرة باعتبار ان الكلمّة وحدة لغوية لها اصل ثابت ، لا يتغير ، له مدلولات ثانوية يقرها الاستعمال . اما التجنيس فيعتبر الكلمة وحدة كلامية لها معان مختلفة مستقلة . فالاشتراك يدعو الى الايجاد في عدد المداخل ، وتداخل التعريفات ويقر التجنيس عددها بحسب سياقتها . فلعل ابن منظور قد مال الى الاشتراك خشية تكاثر المداخل وتضخم معجمه ، فمعنى التجنيس يبدو غير غريب عنه لان ابا منصور الثعالبي قد عرفه تعريفا قويا ، كذلك الاشتراك (22) - ففي مدخل « بأبأ » يتحدث المؤلف عن « البؤبؤ » الذي لا يعتبر حسب الاشتراك خارجا عن معنى « بأبأ » و « بأبأ به » اي قال ب : بأبي انت - فنلاحظ انه يقحم تحت المدخل الثاني « البؤبؤ » مترادفات كثيرة تعتبر تعريفات مختلفة ، لا يربط بينها رابط ، ولا تقر مبدأ الاشتراك المعتمد على الاصل الثابت فالبؤبؤ يفيد حسب اللسان الاصل - الاصل الكريم او الخسيس ، والسيد الظريف الخفيف ، والعالم المعلم ، وانسان العين ، وغير العين) وقد اتت كل هذه المعاني التي ترتكز على التعريف بالترادف ، مروية

---

21 - السيوطي : الاتقان في علوم القران 137/1

22) - ابو منصور الثعالبي : فقه اللغة ط الثالثة - القاهرة 1954 - ص 360 - 361 فيقول و « التجنيس هو ان يجانس اللفظ في الكلام والمعنى مختلف كقوله تعالى :«فأدلى دلوه»« فاقم وجهك للدين القيم » وهذا يطبق على « البؤبؤ » المتجانس الشكل المختلف المعاني .

عن لغويين لم يرتب ذكرهم ترتيبا تاريخيا ، لندرك ما هو المعنى الاصل ، وما تفرع عنه من معان . فلقد رويت بالتوالي عن الجوهري ، وشمر ، وابو عمر ، و « التهذيب » ، وابن خالويه ، مما يؤيد مرة أخرى انقراض الاصل الثابت . ولعل هذا المظهر من المنهجية المنظورية هو السائد في مستوى عرض المادة اللغوية وتعريفها . وذلك ما يمكن ان تعتبره من اهم صفات معجم ابن منظور ، وان كانت قضية التعريف هذه تتطلب منا معالجة قضايا عديدة ومتنوعة سنعود اليها في محاولة قادمة .

رشاد الحمزاوي
الحمامات في 10 أفريل 1981

مَشاكل وَضع المصطلحات اللغويّة
أو تقنيات الترجمة

الأستاذ: محمد رشاد الحمزاوي

ان توافر النظريات اللغوية ، وما انشأته من مصطلحات قد أدخل علينا « غيرة اذهبت منا الشيرة » وأصبحت هذه المصطلحات تكون مشكلا قائم الذات ، عوضا عن أن تكون مساعدا يقربنا من هذا العلم الدخيل علينا ، والذي يجد فيه الطالب ، والمختص ، بعض محنة سنسعى الى التنبيه اليها في هذه الكلمة الوجيزة ، التي ستنظر الى المصطلح اللغوي باعتبار جميع فروع علم اللغة ، وفي مختلف مراحلها ، حسب الامكان ، دون التلصق بمرحلة أو بنظرية دون أخرى ، سواء للتفنن او التشدن ، وتظهر لنا أهمية القضية فيما استوجبته من عناية ـ الامر الذي يدعونا الى أن ننزل المشكل منزلته التاريخية ، لندرك متى وكيف اهتم بها العرب المحدثون من اللغويين وغيرهم .

ان الاهتمام بالموضوع يعود حسب رأينا الى عشرين سنة مضت ، وهي تدل على تأخرنا في العناية بالموضوع ، ان اعتبرنا ان أول معجم للمصطلحات اللغوية قد صدر بلندن سنة 1911 (1) ، وتعاقبت المعاجم في المصطلح اللغوي ، وتنوعت ، وتجددت الى

---

1) ـ انظر

السنوات الاخيرة (2) - ولقد تجسم اهتمام العرب بالموضوع في مظهرين - اولهما يخص وضع معاجم عربية مكتملة لمصطلحات اللغة ، وثانيهما ينحصر في ضبط قائمات من المصطلحات التفسيرية ، كثيرا ما تكون ذيولا لمؤلفات في علم اللغة الحديث .

فلقد بادر مجمع اللغة العربية منذ 1962 بوضع المصطلحات اللغوية العصرية (3) بايعاز من عضوه اللغوي ابراهيم انيس ، وذلك بغية وضع معجم عربي في المصطلح اللغوي ، على غرار ما يوجد في اللغات العصرية الاخرى . ولقد اردفنا هذا العمل بمعجمنا المخصص للمصطلحات اللغوية العربية الحديثة (4) وهو يحوي على 1200 مصطلحا ، يشمل مصطلحات مجمع اللغة وغيره من اللغويين - اما فيما يتعلق بقائمات المصطلحات اللغوية سواء بتجديد معاني ما كان قديما منها ، او بالتوفيق بين القديم والحديث ، او بوضع الجديد منها ، فإن استقراءنا يفيد ان اول من اعتنى بالقضية هو المرحوم محمود السعران وذلك منذ سنة 1958 (5) - فوضع قائمة من المصطلحات العربية لمقابلاتها الانكليزية ، متوخيا في ذلك التجديد ، والابتعاد عن المصطلحات القديمة.

وذلك عكس ما فعله يوسف السود (6) عندما سعى الى تجديد المصطلح اللغوي الحديث ، وان كان لا يمت الا قليلا - الى علم اللغة

---

2) - انظر

3) - مجمع اللغة العربية : مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ج 137/3 - 091/4،143 51/6،96 - 85/7،60 - 35/8،200 - 101/9،47 - 127/10،115 - 141

4) - رشاد الحمزاوي : المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية - حوليات الجامعة التونسية ج 1977/14 ، وسيلحق بالمعجم العربي الاعجمي معجمان : معجم عجمي عربي ، ومعجم مختار ، وسيتواصل عملنا في الجمع والاستقراء حتى نلم بكل المصطلحات الموضوعة ، والخاصة بفروع علوم اللغة .

5) - محمود السعران : اللغة والمجتمع راى ومنهج - القاهرة 1958 انظر ص 184 - 193

6) - يوسف الشودا : الاحرفية - بيروت 1960 - ص 19 - 22 وهو يعتمد كثيرا على اراء انيس فريحة

الحديث في اختصاصاته المختصة ـ ولقد تلا هاتين الخطوتين رع الحمزاوي ، وعبد المجيد عطية ، بمشاركتهما في ترجمة مصطلحات مؤلف (7) اللغوي الفرنسي ولقد عمت العناية بالموضوع اذ خصصت له قائمات في ترجمة صالح القرمادي لمؤلف كنتينو (8) وفي ما كتبه حمادي صمود (9) وعبد السلام المسدي (10) ولا شك اننا لا ننسى ما جاء من هذه المصطلحات ضمن المؤلفات اللغوية العربية الحديثة ولم توضع فيها قائمات ، وذلك شان ما الفه حسان تمام (11) الذي يعتبر من الاولين الذين عانوا قضية المصطلح اللغوي ، والذين يعود لهم الفضل في مجابهة هذا المارد ، وترويضه ، ودمجه في العربية بنية ومفهوما .

ويبدو ان المصطلحات اللغوية المتوافرة حاليا في العربية ، هي من نصيب علم الاصوات باعتبار استقرار مبادىء ومصطلحات هذا العلم نهائيا . ونظرا لما وجده في التراث العربي من مصطلحات تؤدي مفاهيمه في جلها . وتظهر المشاكل والاضطرابات ، وكذلك الثغرات والنقص فيما جد من فروع جديدة في علم اللغة ، التي لم يكن للعربية لها من عهد سواء في مستوى النظريات والتطبيق لها ، مما يدعونا الى اعتبار مشاكل وضع المصطلحات تتجسم ـ اولا وبالذات ـ في نقلها الى العربية دالا ومدلولا (12) .

وذلك يعني ان هذه المشاكل ناشئة عن الاختلافات الخارجية عن

---

7) ـ رشاد الحمزاوي : المصطلحات اللغوية
8) ـ صالح القرمادي : دروس في اصوات العربية ـ تونس 1968
9) ـ حمادي صمود : معجم لمصطلحات النقد الحديث : حوليات الجامعة التونسية ج 125/15 ـ 159
(10) ـ عبد السلام المسدي : الاسلوب والاسلوبية ... تونس 1977 ص 125 ـ 233
11) ـ حسان تمام : مناهج البحث في اللغة ، القاهرة 1955
12) ـ نعتبر ان من مشاكل وضع المصطلحات انعدام المعاجم المختصة بها كما اسلفنا الحديث عن ذلك .

الترجمة والتي نعتبرها من الاسباب التي اثرت تأثيرا مهما على وضع المصطلحات فمن ذلك .

ارتكاز ....
ارتكاز ثانوي ....
ارتكاز الجملة ....
النبر والنبرة ....
نبر الكلمة ....
نبر الجملة ....

ولا شك ان الترجمة عن الانكليزية قد لا تناسب اطلاقا التراث اللغوي العربي الذي حافظت عليه الترجمة الثانية عن الفرنسية ، فلم تعتمد القطيعة .

5) ـ الاختلافات الناتجة عن السياقات التي تبين ان معاني المصطلحات الحديثة تتكيف بحسب توزيعاتها وذلك شأن لم يؤخذ دائما بعين الاعتبار (13)

مورفيم ـ الوحدة الصوتية ـ عوامل صيغة ....
ثابت ـ حال الثبات ـ سنكروني مستقر
حال الاستقرار ـ افقي ـ المتزامن الادنى

6) الاختلافات الناتجة عن محاولات تقريب المصطلح من « الذوق العربي والنقل المباشر لها (14)

محور الاختيار
العلاقات الاستبدالية
مناسبات التعويض
محور التوزيع
العلاقات الركنية
مناسبات السياق

---

13) الحمزاوي : المصطلحات اللغوية ص 71 ـ 72 ـ و 175 ـ 176
14) الحمزاوي المصطلحات اللغوية ص 132 ـ 173 ـ 190 الخ ...

7) الاختلافات الناتجة عن التعريب والترجمة (15) لاسباب مرحلية - الصوتم - الصوت اللغوي

- السيمية - علم الدلالات
- السميولوجيا - علم العلامات

8) الخروج عن المتعارف ولو كان مقررا ثابتا (16)

- التعارف
- التلاصق

والمصطلحان العربيان مقرران عند اللغويين العرب ، وهما الترادف والمجاورة .

9) تحويل المصطلح من مفهوم حديث الى مفهوم حديث اخر (17)

- الالشنية ثم اللسنيات
- وعلم الالسنية ثم اللسانيات

والملاحظ عامة ان هذه الاسباب الخارجية ظلت تتأرجح بين التقليد والتوفيق ، دون ان تستحيل الى قطيعة ، مثلما هو الشأن في اللغات الاوروبية المنقول عنها . وتزداد القضية تشعبا ، عندما ننظر الى الاساليب الفنية التي ترجمت بها هذه المصطلحات . وبعبارة أخرى فنيات الترجمة التي اعتمدت لنقلها الى العربية . ولا بد ان نشير في هذا الصدد الى ان كل الترجمات لا تعي فنياتها وعيا علميا مركزا ، لانه لا توجد مؤلفات في علم الترجمة مثلما هو الشأن في الانكليزية (18) او الفرنسية ، الا اذا استثنينا مؤلفا واحدا

---

15) صمود : معجم .... ص 142 - 143
المسدي : الاسلوب .... ص 231
16) الحمزاوي : المصطلحات اللغوية ص 443
المسدي : الاسلوب 229
السعران : اللغة ..... ص 78
17) صمود : معجم ..... ص 142
18) القرمادي دروس ..... ص 210

(19) لا يعتمد على قوانين ونظريات تعود إلى قواعد ثابتة .

ولا بد ان ننبه الى ان قضية الترجمة تضع قضية المعنى اي مشكلة التطابق بين المصطلح اللغوي والواقع . كذلك مشكلة المترادف الكوني الذي يفترض - وجوبا - ان لكل مصطلح في لغة ما ، مرادفا في لغة أخرى . وذلك من اعوص المشاكل التي لم يقر لها قرار ، لان الترجمة من لغة إلى أخرى تفرض اعتبار ثقافة كل لغة ، وما يحيط بها من تضمينات لا تقر التلاصق والنسخ . وهذه اعتبارات نرجو عدم الاهتمام بها هنا - بقدر ما سنهتم بالتقنيات العملية التي خضعت لها المترجمات اللغوية العربية المعاصرة .

فلقد لاحظنا ان هذه المترجمات تعتمد :

1) الترجمة المباشرة . وهي الغالبة - وهي تعني النقل من لغة مترجم منها الى لغة مترجم إليها لتوافق بنيوي ، او اصطلاحي ، كما هو الشأن بين اللغات الهند اوروبية. بل أن ذلك التوافق معدوم مع العربية ، وهو ناتج غالبا عن ثغرات وفراغات توجد في اللغة المترجم إليها - فينتج عن ذلك تشويش في مستوى المعجم والسيمية . من ذلك (20) :

- الصوت المنطوق صوت انتقالي
- صوت هابط
- الانزياح - التركيب
- وظيفة انضمامية
- وظيفة مرجعية

2) الاستعارة (التعريب) : تدل على فراغ اصطلاحي ناتج عن مفاهيم جديدة لا يمكن للغة المترجم اليها أن تعبر عنها تعبيرا يؤدي

---

19) الحمزاوي : المصطلحات اللغوية ص 108
المسدي : الاسلوب ..... ص 214
صمود : معجم ..... ص 158
20) نفس المرجع ص 70 - 80 - 125 - 144 - 146

تلك المفاهيم في فترة معينة (21)
- السيمانتيمات
- السميولوجيا

3) النسخ : وهو نوع من الاستعارة الخاصة ، وذلك بان ناخذ العبارة من اللغة المترجم عنها ، وتترجم ترجمة مباشرة تستوجب إدخال استعمال جديد - يبدو غريبا (22)
- ادب ابيض
- الدرجة الصفر
- الوقع اللذيذ

4) التضخيم بالمعنى الفيزيائي : وهو الحال الذي تستعمل فيه اللغة المترجم اليها كلمات أكثر من كلمات اللغة المترجم منها (23)
- الصوت المركب
- علم المنطق الصورى
- علم المنطق العام

5) التحشية ، وهي تقرب من التضخيم مع زيادة في الالفاظ من ذلك (24)
- علم الاصوات اللغوية

6) - الترجمة الجانبية خلافا للترجمة المباشرة . وهي تحتوي على :
أ - التكافؤ : وهو التعبير عن مصطلح اللغة الاصل مع اعتماد تعبير مختلف من ذلك (25)
- اشباع الحركات
- اشباع الاعتماد
- اشباع اصوات اللين

---

21) صمود : معجم ..... ص 157 - 153
22) المسدي : الاسلوب 218
23) الحمزاوي : المصطلحات اللغوية .... ص 128
24) نفس المرجع ص 80 - 81
25) نفس المرجع ص 85 - 103

ب ـ المؤالفة : وهو اعتماد مقابل خاص من لغة ما لتأدية معنى خاص بلغة أخرى (26)

- مصدر
- صوت مكسور

ج ـ التحوير : وهو يفيد التجديد ، والقطيعة بين المفاهيم القديمة والحديثة . فهو لا يستمد مصطلحاته من المعاجم المقررة ، بل هو من وضع المترجمين لتأدية مفاهيم جديدة . وهذا كثير في المصطلحات العربية الحديثة

- محو الاختيار
- علم العلاقات
- علاقات ركنية
- التداخل التبعي
- تماثل تخلفي
- تباعد
- النظم

ولما كانت هذه التقنيات تعتمد في جلها على الترجمة المباشرة ، والترجمة الجانبية ، فإنها تخلو من الترجمة بحسب التكثيف (باقل كلمات) والترجمة بالتجريد او الاقتصاد ، والترجمة بالاسقاط الخ . ولا يمكن لهذه الطرق ان تتوافر ، الا اذا استقلت اللغة المترجم اليها بنظرياتها ، واصبح لها من الزاد الاصطلاحي الذي يوفر لها التكثيف والتحوير والاسقاط . فالعلم الذي نخوض فيه منسوخ ، وليس مستوعبا ، ولذلك فان التشويش الطارىء على المصطلحات يبدو طبيعيا ، لاننا نستهلك منه بحسب ما يعرض علينا وباعتبار مناهج طلبنا منه . فهل يعني ذلك حكما على هذه المصطلحات ؟ ذلك ليس هدفنا هنا ، لاننا اردنا ان نصف احوالها وانواعها دون التدخل في قضية معايير توحيدها التي تحتاج الى دراسة اخرى تستوجبها ظروف اخرى .

---

26) المسدي : الاسلوب .... ص 229 ـ 231
الحمزاوي : المصطلحات اللغوية ص 58
ضمود : معجم ...... ص 152 ـ 153

اللفظ الأعجمي في لسان العرب لابن منظور

ابراهيم بن مراد

من الحقائق المسلم بها اليوم ، عند علماء المعجمية ، ان التقارض بين اللغات حتمية ، لا يمكن - باي حال - انكارها ، وان اي لغة مهما تكن منعزلة ، ومهما تكن محافظة اهلها شديدة ، لا بد لها من التأثر بغيرها من اللغات بالاخذ عنها ، والاقتراض منها لملء فراغاتها المعجمية (1) وانطلاقا من هذا المبدا ، فان كل لغة مؤثرة في غيرها ، ومتأثرة بغيرها من اللغات . ليست اللغة العربية ببدع بين اللغات ، حتى لا تتأثر بغيرها ، سواء في القديم او في الحديث .

فالاقتراض اللغوي وسيلة من وسائل الخلق المعجمي ، واللغوي ، (2) وقد اعتمدت اللغة العربية هذه الوسيلة منذ اقدم عصورها ، فدخلتها الفاظ ومصطلحات كثيرة من لغات بمجاورة لها ، وخاصة من الفارسية واليونانية ، واللاتينية والبربرية ، اضافة إلى اللغات السامية التي يعود التقارض بينها وبين اللغة العربية إلى عصور قديمة جدا . على ان ظاهرة الاقتراض اللغوي في اللغة

---

1 - انظر حول هذه القضية خاصة : Guilbert (Louis) : La créactivité lexicale (1 ére éd., Paris, 1975, 285 p.) 89

2 - انظر حول ذلك خاصة : — (Louis) : « Néologie et Néologisimes : essai de typologie générale », in La Banque des Mots (Pub. du CILF, Paris, 1 (1971) pp.5-12, p.8

العربية قد برزت بقوة منذ العصر الاول للاسلام ، عندما بدا العرب يختلطون بغيرهم من الامم والاجناس ، وخاصة منذ القرن الثالث الهجري ، عندما قويت حركة الترجمة من اللغات الاخرى ، ونتيجة لاهمية هذه الظاهرة في اللغة العربية فقد اولاها علماء اللغة العرب جانبا مهما من دراساتهم النظرية والتطبيقية (3) ولم يهتم بها اللغويون فحسب . بل كان للفقهاء ومفسري القران نظر فيها (4) على أن مواقف اللغويين والفقهاء والمفسرين ، من القضية ، كانت مضطربة ومتضاربة . وقد وصلت هذه المحاولات في النظر الى القضية ، وتلك المواقف منها ، الى ابن منظور في القرن السابع الهجري ، فكان لها صدى في معجمة « لسان العرب » فكيف نظر ابن منظور الى القضية ، وكيف كانت معالجته لها ؟

ان اول شرط يشترط في معجمي يريد تسجيل لغة ما ، والاحاطة بما تكلم به اهلها ، هو الامانة في التسجيل والتدوين ، فيكون محيطا بحق ، ويكون كتابه مدونة شاملة كلام اهل اللغة . ويبدو ان ابن منظور قد قصد تلك الغاية بتسميته معجمه « لسان العرب المحيط » والاحاطة تعني تدوين كل ما تكلم به العرب واستعملوه في مدوناتهم ، عربيّا صرفا كان - او معربا من اللغات الاعجمية . فهل توفر هذا الشرط عند ابن منظور في اللسان ...؟

لقد قمنا بدراسة عينة من « اللسان » فنظرنا في مواد حرف الباء ، وباب الباء يعتبر من اطول الابواب، واغزرها موادا (5) وقد خرجنا من النظر في هذا الباب بالنتائج التالية :

3 - انظر حول معالجة اللغويين العرب لهذه القضية بحث الاستاذ رشاد الحمزاوي « الاستعارة اللغوية قديما وحديثا » في حوليات الجامعة التونسية (1979/17 ص 5 - 24 ص 16/6

4 - انظر حول مواقف الفقهاء ومفسري القران من قضية الاقتراض اللغوي بحث الاستاذ رشاد الحمزاوي : L'emprunt linguistique d'après les exégèses du Coran et les théologiens « in Les Cahiers de Tunisie, tome XXII, N°s 87-88 (1974) - pp 177 - 195

5 - يقع باب الباء في الجزء الاوّل من اللسان (طبعة يوسف خياط، بيروت بدون تاريخ في ثلاثة اجزاء (ص 149 - 304)

1 ـ ان عدد الالفاظ الاعجمية ـ التي صرح المؤلف بعجمتها ـ ثلاثة وستون لفظا (6) هي التالية :

العدد	اللفظ	مادته	الصفحة	العدد	اللفظ	مادته	الصفحة
1	ببر	ببر	154	27	بيزار	بزر	207
2	ببان	ببن	154	28	أبزن	بزن	209
3	بُخت	بخت	167	29	بُسَّذ	بسذ	211
4	بَخت	=	167	30	باسُور	بسر	211
5	بُختَج	بختج	167	31	بَسْ	بسس	212
6	بُدّ	بدد	173	32	بَاشق	بشق	218
7	بَذرقة	بذرق	180	33	بطريق	بطرق	226
8	بَاذِق	بذق	181	34	بِطْرِك	بطرك	226
9	باذنجان	بذنج	181	35	بُطّ	بطط	226
10	بَرْبَط	بربط	183	36	بَاطية	بطا	229
11	بُرجَان	برج	185	37	باعُوث	بعث	231
12	برجَد	برجد	185	38	بعير	بعر	234
13	برّخوا	برخ	187	39	باغوث	بَغث	238
14	بريد	برد	189	40	بَقّم	بقم	246
15	برذَج	بردج	190	41	بَلَسَان	بلس	256
16	بِرْزِين	برزن	194	42	بَالِغاء	بلغ	259
17	برسَام	برسم	194	43	بَمّ	بمم	267
18	ابريسم	=	194	44	بُنْج	بنج	267
19	برطَلة	برطل	196	45	بَنْد	بند	267
20	بَرْق	برق	197	46	بنادرة	بندر	267
21	بَرَق	=	198	47	بُنْك	بنك	268
22	ابريق	=	198	48	بُنْك	=	269
23	بَيْرم	برم	203	49	بَهْت	بهت	274

6 ـ قد أهملنا في هذا الاحصاء ـ عمدا ـ أسماء الاعلام والبلدان والمواضع .

24	بَرْنِي	برن	204	50 بُهَار	بهر	274
25	بُرْنس	برنس	204	51 بَهار	=	276
26	بارِي	برى	206	52 بهرجَ	بهرج	276
53	بِهْرامج	بهرمج	277	58 بَوْس	بوس	287
54	بَهَط	بهط	278	59 بوصي	بوص	287
55	بهنوي	بهنن	282	60 بال	بول	290
56	بَاج	بوج	285	61 بَالة	=	290
57	بورى	بور	287	62 بِيَاج	بيج	293

2 ـ ان ابن منظور قد اورد في هذا الباب الفاظا كثيرة اعجمية في الاصل ، لكنه لم يشر الى عجمتها . نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : « الباذروج » (7) وهي من الفارسية « بادروج » (8) و « بارنج (9) وهي من الفارسية » برنك (10) و « بلاط » (11) وهي من اللاتينة Palatium (12) و « بندق » (13) وهي من اليونانية « Pontika » (14) ... الخ ، فهو قد اعتبر هذه الالفاظ عربية خالصة .

3 ـ انه ترك الفاظا اعجمية مشهورة لم يثبتها في معجمه ، رغم قدم استعمالها : نكتفي منها بمثال « بنفسج الذي استعمل في الشعر الجاهلي (15)

7 ـ انظر مادة « بذرج ص 180

8 ـ انظر حول هذا المقطع ادي شير الكلداني : كتاب الالفاظ الفارسية المعربة (ط) بيروت 1908 194 ص ص 14

9 ـ انظر مادة « برنج » ص 204

10 ـ انظر ادى شير ص 20

11 ـ انظر مادة « بلط » ص 256

12 ـ انظر 2 Dozy (R.) Supplément aux dictionnaires arabes (2 vol. 3éme Edit., Paris,Leyde, 1967, 1³111

13 ـ انظر مادة « بندق » ص 267

14 ـ انظر شع اسماء العقار « لابي عمران بن ميمون حقق النص وترجمه الى الفرنسية ماكس ما يرهف ظ القاهرة 1940 » الفقرة 43 من الترجمة .

15 ـ انظر المعرب من الكلام الاعجمي للجواليقي (تحقيق احمد محمد شاكر)

4 ـ ان المصادر التي ينقل منها لغوية كلها ، واهم مصادره الازهري صاخب « التهذيب » الذي اعتمده ست مرات (16) والجوهري صاحب « الصحاح » الذي اعتمده ثلاث مرات (17) وابو عبيد القاسم بن سلام) الذي اعتمده ثلاث مرات ايضا (18) وابن الاثير ، وابن سيدة ، ابي حنيفة الدينوري ، وابي منصور الثعالبي ، والليث (بن المظفر بن سيار) الذين اعتمد كل واحد منهم مرتين (19) وابن خالوية ، وابن دريد ، وابن السكيت ، والزمخشري ، الذين اعتمد كل واحد منهم مرة واحدة (20) على أنه لا بد من ملاحظة ان ابن منظور لم يكن ينقل عن كل هؤلاء مباشرة ، فمصادره الاصلية خمسة هي « التهذيب » للازهري و « الصحاح » للجوهري و « الحواشي لابن برى » و « المحكم » لابن سيدة و « النهاية » لابن الاثير ، وقد صرح في مقدمة « اللسان » باعتماده عليها اعتمادا كليا (21)

5 ـ ان اللغات التي تنتمي اليها الالفاظ المقترضة ـ حسب تصريحه هو بتلك اللغات ـ ثمانية هي :

أ ـ الفارسية : ومنها 29 لفظا هي بخت ، وبختج ، و « بد » و « بذرقة » و « باذنجان » و « بربط » و « برخوا » و « دبريد » و

ط 2 القاهرة 1969 503 ص ص 127 ـ 128 و « المفصل في الالفاظ الفارسية المعربة » لصلاح الدين المنجد (ط بيروت) 1978 287 ص 16 واللفظ من الفارسية « بنفسه » .

16 ـ اعتمده في « بربط » و « بلسان » و « بنك » و « بهت » و « بهار » و « بهنوى »

17 ـ اعتمده في « بيزار » و « بال » و « بالة »

18 ـ اعتمده في بيان « باذق » و « بهار »

19 ـ اعتمد ابن الاثير في « باذق » و « بربط » وابن سيدة في « بذرقة » و « بنج » و « ابا حنيفة » في « بدنى » و « بهرامج » و « الثعالبي » في « بيزار و « بطرق » و « الليث » في « برق » و « بنك »

20 ـ اعتمد ابن خالوية في « بذوقة » وابن دريد في « بد » وابن السكيت في « بردج » والزمحشري في « بريد »

21 ـ انظر مقدمة اللسان ص ص (د ـ ذ) : وانظر حول مصادر ابن منظور ايضا : « طريقة ابن منظور في تجديد مادة لسان العرب » لرشاد الحمزاوي في حوليات الجامعة التونسية(197310ص ص55ـ72)ص ص 56 ـ 68 .

« بروج » و « برزين » و « برق » و « ابريق » و « بيرم » و « برني » و « باري » و « بس » و « بالغاد » و « بند » و « دبنك » و « بهار » و « وبهرج » و « بهرامج » و « بهطه » و « باج » و « بوري » و « بوس » و « بوصي » و « بالة » .

ب - النبطية ومنها لفظان هما « برخوا » و « برطلة »

ج - السريانية ومنها لفظ واحد هو « باعوت »

د - العبرية ومنها لفظ واحد هو « بعير »

هـ - الرومية ومنها لفظ واحد هو « بلسان »

و - الهندية ومنها لفظ واحد هو « بهرج » وذلك ان هذا اللفظ دخل العربية من الفارسية التي اخذته بدورها من الهندية .

ز - السندية ومنها لفظ واحد هو « بهطة »

ح - القبطية ومنها لفظ واحد ايضا هو « بهار »

6 - ان المؤلف غير مستقر على تسمية واحدة لظاهرة الاقتراض اللغوي ، فقد استعمل 17 مرة مصطلحَ « معرب » (22) وثماني مرات مصطلحَ « دخيل » (23) وخمس مرات مصطلحَ « اعجمي » (24) واربع مرات مصطلح (اعجمي معرب » (25) على انه قد يجمع بين هذه المصطلحات جميعا في وصف لفظ واحد كقوله مثلا لفظ « بجت » دخيل في العربية اعجمي معرب « كما انه يستعمل تسميات اخرى عامة جدا مثل « لا احسب الكلمة عربية (26) او « ليس في كلام العرب » (27) و « غير عربي » (28) « او ليس بعربي » (29) « ما أراه

22 - استعملها في « بد » « بذرقة » « بربح » « ابريسم » « برق » « ابريق » « بيرم » « بارى » « بيلار ابزن » « بطريق » « باطية » بند ، « بهط » « باج » « بورى » « بوس » .

23 - استعملها في « برجد » « برق » « بيزار » « بطرق » « بنج » « بنادرة » « بهنوى »

24 - استعمله في « بربط » « برجان » « باسور » « بطريق » « بم »

25 - استعمله في « ببر » « باشق » « بط » « باغوت »

26 - في ببان

27 - في نفس المادة لفظ ببان

28 - في برنس

29 - في « بسند » و « بال »

عربيا » (30) او كلمة غير عربية (31)

7 ـ اهتمام ابن منظور بتفسير مظاهر اللفظ المقترض من حيث المعجم والاصوات والصرف والنحو والدلالة .

8 ـ تفتح ابن منظور على المعربات من اللغة الفارسية اكثر من اللغات الاخرى ، وذلك راجع ـ بدون شك ـ الى طريقته المعتمدة في النقل ـ اولا ـ ثم لجهله ـ بدون شك ـ باللغات الاعجمية . ونستنتج من ذلك ان اللغات الاعجمية ـ عموما ـ محدودة المنزلة عنده .

9 ـ عدم وضوح قضية الاقتراض اللغوي عنده ، وذلك ما نستنتجه من اضطراب تسميات اللفظ الاعجمي عنده وتعددها .

10 ـ اهتمامه بمظاهر اللفظة الاعجمية ، المعجمية والصوتية ، والصرفية والنحوية والدلالية مهمة جدا ، رغم انه يعيد ـ في طريقة معالجته لتلك المظاهر ـ ما ذهب اليه سابقوه ، وخاصة الجواليقي في كتاب « المعرب من الكلام الاعجمي » ولكن معالجته تلك تعتبر مضطربة ، منقوصة ، واهم جوانب الضعف فيها .

أ ـ خطاه في تحديد اصول بعض الالفاظ ، نذكر من ذلك لفظ « بختج » الذي قال ان اصله بالفارسية « ميبختته » والواقع ان اصل « بختج » هو « بخته » (32) وان « ميبختته » اصل « مي بخته » (33) وهذا الخط في الاصل جعله يخطيء في تعريف اللفظ فقد عرف « البختج » بانه « العصير المطبوخ » بينما « العصير الصلوخ هو معنى المبيختته . ونذكر من اخطائه ايضا قوله عن « البهار » انه لفظ نبطي ، بينما هو فارسي محض (34) وعن برطلة انه لفظ نبطي بينما هو في الحقيقة لا شيء .

---

30 ـ في « بهت »
31 ـ في « بهار » و « بياج »
32 ـ انظر دي شير ص 17
33 ـ نفس المصدر ص 148
34 ـ نفس المصدر ص 29

ب - لم يهتم بالمظهر الصوتي الا في اللفظين التالين فقط (هما بيرم وبالة »

ج - اضطرابه اضطرابا كبيرا في تعريف الفاظه . ونذكر من ذلك تعريفه لفظ « بهار » فقد قال فيه « البهار العِمل . وقيل هو ثلاثمائة رطل بالقبطية ، وقيل اربعمائة رطل ، وقيل ستمائة رطل ، وقيل الف رطل (....) قال ابو عبيد بهار احسبها كلمة غير عربية وأراها قبطية (وقال) الفراء : البهار ثلاثمائة رطل ، وكذلك قال ابن الاعرابي ، قال والمجلد ستمائة رطل قال الازهري وهذا يدل على ان البهار عربي صحيح وهو ما يحمل على البعير بلغة اهل الشام .

وما يمكن استنتاجه مما سبق ، هو ان ابن منظور كان ذا موقف محترز ، متحفظ ، من اللفظ المقترض ، رغم قراره به واعترافه باستعماله في المعجم العربي ، ولعل احترازه هو الذي جعله يتقيد بالمواقف اللغوية لسابقيه ، ولا يتفتح على ما وضعه العلماء التطبيقيون في القضية .

فكان عمله لذلك منقوصًا ، ومضطربا ، اضطراب اللغويين الذين اعتمدهم مصادر ، على ان هناك سببا اخر لتحفظه واحترازه يمكن استنتاجه من مقدمة معجمه ، فقد سجل في مقدمته موقفه الدفاعي على اللغة العربية ضد اللغات الاعجمية التي كانت لها - حسب رأيه - منزلة أقوى من المنزلة التي كانت للغة العربية ، وقد وصف تلك الحالة بقوله « لقد اصبح اللحن في الكلام يعد لحنا مردودا ، وصار النطق بالعربية من المعايب معدودا ، وتنافس الناس في تصانيف الترجمانيات في اللغة الأعجمية ، وتفاصحوا في غير اللغة العربية ، فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفخرون ، وصنعته كما صنع نوح الفلك وقومه منه يسخرون » (35) .

فهل يمكن القول بعد هذا ان ابن منظور كان يقر بمبدأ « ان الاقتراض اللغوي وسيلة من وسائل الخلق والمعجمي » . ؟

---

35 - اللسان المقدمة

المصطلح اللغوي في التعليم الثانوي

عبد العزيز بن يوسف

1) الهدف من البحث

ايها السادة :

ان المصطلح اللغوي في التعليم الثانوي ، يثير - في الواقع - قضية تدعو إلى العرض والتحليل والمعالجة ، خاصة في السنوات الاخيرة ، بعد ان شهدت المدرسة الثانوية التونسية تحويرات جوهرية في برامج العربية وطرقها البيداغوجية ، لشعور الاساتذة بحاجة تلاميذهم إلى التجديد والتطوير ، لتغير واقعهم الاجتماعي والتربوي ، ولئن أصبح من الواضح ان للطرق والاساليب البيداغوجية دورها البارز في تعليم اللغات وتيسيرها ، وسهولة التصرف في صيغها وتراكيبها وخصائصها ! الاسلوبية ، فان القواعد النحوية والصرفية ومصطلحاتها ، متى كانت معقدة غامضة ، فإنها تجعل مهمة الاستاذ عسيرة ، وتحد من نجاعة طريقته ، وفعاليتها .

واذا كان من الطبيعي ان تختلف مناهج البحث اللغوي في المستوى الجامعي ، وان تتنوع المصطلحات ، لاثراء ثقافة الطالب ، وتوسيع افاقه ، واطلاعه على مختلف الاتجاهات اللغوية القديمة أو الحديثة ، فإنه من الخطأ ان تتشتت المصطلحات في

مستوى التعليم الثانوي ، وتتعدد ، لان التلميذ في هذه المرحلة الهامة من دراسته يفتقر الى القواعد المبسطة والمصطلحات الموحدة ليبني كيانه اللغوي ، ويتمكن من التصرف في أساليب اللغة وهياكلها شفاهيا وكتابيا .

ومما يزيد الموضوع تعقيدا ـ والتباسا ، ان التلميذ التونسي يفد من الابتدائي وهو مزود بالمصطلحات المألوفة القديمة (الاعراب التقديري ـ الممنوع من الصرف ـ شبه الجملة) لكن بمجرد انتقاله الى السنة الاولى ثانوي ـ حتى يجد نفسه محمولا على تعويض ما تعوده من مفاهيم ومصطلحات بمفاهيم أخرى ومصطلحات جديدة منها ما أدخله مؤلفو الكتاب المدرسي المقرر (النحو العربي) من تغييرات حاولوا بها ان يبسطوا النحو العربي ومصطلحاته . ومنها ما يقوم به بعض الاساتذة ـ بمحض اجتهادهم ـ من استخدام مصطلحات السنية ، رغبة منهم في تحديث قواعد اللغة ، وإعادة وصفها ، وتجديد مصطلحاتها ، بحكم تكوينهم الالسني في الجامعة التونسية .

وهكذا يتجمع في ذهن هذا التلميذ الغض ، خليط من المصطلحات بين قديمة وحديثة ، اشترك في نسجها سيبويه ، والمهيري ، ودى سوسور ، بالرغم من اختلاف عصورهم ومناهجهم وأوساطهم الثقافية والحضارية ، ولذا أردت في هذا الملتقى اللغوي الهام ـ الذي يضم نخبة من الاساتذة والبحاثين ـ ان اثير هذا الموضوع ، وان اقدم كشفا عن هذا الوضع اللغوي الذي يزداد تعقيدا عاما ـ بعد عام ، وهدفنا من ذلك ان نتعاون جميعا على درسه ، واقتراح ما يجب له من حلول إيجابية ناجعة ، حتى ننقذ ابناءنا من الغموض واللبس ، ونساعد الاستاذ على تحقيق رسالته التربوية السامية في خدمة لغته وأمّته .

2) منهجية البحث

ان عملي في هذه المحاولة ، يرتكز ـ اساسا ـ على تحليل الاتجاهات النحوية ، والصرفية ، المتواجدة في التعليم الثانوي بالاعتماد على بعض الكتب المدرسية . واذا كان من الصعب ان نلم

بمختلف الكتب المعتمدة ، فقد اثرت ان اختار أربعة منها - مشهورة ، تداولها الاساتذة ، واعتبروها مصادر أساسية يرجعون إليها لضبط الدرس وفوائده، بالرغم من اختلاف مناهجها وطرق عرضها .

وهذه الكتب هي « مبادىء العربية في النحو والصرف » للمعلم رشيد الشرتوني (1) وكتاب « النحو العربي » (2) لتلاميذ السنوات الاولى والثانية والثالثة والرابعة من التعليم الثانوي لعبد الوهاب بكير ، وعبد القادر المهيري ، والتهامي نقرة ، وعبد الله بن علية ، وكتاب « التصريف العربي » (3) تأليف الطيب البكوش ، وكتاب الاحرفية (4) ليوسف السودا ، وهذه المؤلفات تمثل - في الواقع - ثلاثة اتجاهات : الاتجاه التقليدي ، والاتجاه الانتقائي المعتدل ، والاتجاه التجديدي الجذري .

---

1) لغوي لبناني (1864 ـ 1906) اشتهر كتابه مبادىء العربية في الاوساط المدرسية طبع مرارا ، اما الطبعة التي اعتمدتها فهي الطبعة السادسة سنة 1952 ـ المطبعة الكاثولوكية لبنان .

2) النحو العربي : كتاب مدرسي تونسي ، اقرت وزارة التربية القومية استعماله في المدارس الثانوية طبع مرارا ، وقد صدرت اولىَ طبعاته سنة 1963 نقحت مادته ومصطلحاته خاصة في الطبعة الاخيرة ، وقد اعتمدت في اعداد هذا البحث على كتاب السنة الاولى الصادر 1979 وعلى كتاب السنة الثانية الصادرة 1980 وعلى كتاب السنة الثانية (1970) وعلى كتاب السنة الرابعة (بدون تاريخ) .

3) التصريف العربي من خلال علم الاصوات الحديث تونس 1973

4) الاحرفية او القواعد الجديدة في العربية بيروت 1959 ويوسف السودا سياسي لبناني احدث كتابه ابان صدوره ضجة بين محبذ وناقد له ، راجع مثلا ما كتبه كمال يوسف الحاج في كتابه (دفاعا عن العربية) ص 110

1) الاتجاه التقليدي

أ ـ الدرس النحوي

يميل بعض الاساتذة الى استعمال القواعد القديمة والمصطلحات المألوفة في دروسهم ، ويحتفظون بها ، دون ان يروا ضرورة الى تجديدها وتغييرها ما دامت شائعة شرقا ومغربا ، بل يؤكدون انها ـ في نظرهم ـ لا تفتقر الى الدقة والوضوح ، فمن المحبذ حينئذ ان تبقى ، وان تستخدم دون غيرها ، تجنبا للفوضى وأحداث البلبلة في أذهان التلاميذ ، فنجاعة الدرس النحوي لا تعود ـ أساسا الى المفاهيم والمصطلحات بقدر ما تعود الى الطريقة البيداغوجية التي يجب تطويرها وتجديدها ، ولذا نجد هؤلاء الاساتذة حريصين على تدقيق المعلومات والتحري في ضبطها : بالرجوع الى المصادر القديمة او المعاصرة ، الا ان أكثرها شهرة وتداولا بين رجال التعليم هي « مبادىء العربية » و « النحو (5) الوافي » لعباس حسن ، فالمادة اللغوية التي يحتويها هذان الكتابان قديمة ، لا تجديد فيها ، سوى طريقة العرض والتقديم ، وقد توخى ـ مثلا ـ رشيد الشرتوني أسلوبا مبتكرا بالنسبة إلى عصره : تمثل في صوغه الأسئلة مدققة ، ثم الاجابة عنها ـ تدريجيا ـ قصد استيعاب مختلف المسائل النحوية والصرفية ، وتقديمها بأسلوب مبسط يخلو ـ أحيانا ـ من التعليلات المرهقة ، والتأويل البعيدة ، كما تفطن إلى قيمة التطبيق في دعم الظواهر اللغوية ، فكان يذيل كل باب من أبواب النحو والصرف بتمارين متنوعة لتدريب التلاميذ على استغلال القواعد والتصرف فيها ، وتعتبر هذه الطريقة ثورة منهجية بالقياس الى طرق التأليف التقليدية التي كادت تقوم على المتون والشروح والحواشي .

وبجانب كتابي « مبادىء العربية » و « النحو الوافي » نجد بعض الاساتذة يجنحون الى استعمال كتب أخرى ، اجتهد اصحابها

---

5) النحو الوافي : كتاب ضخم يحتوي على 4 أجزاء ، جمع فيه صاحبه مادة النحو العربي القديم باسلوب حديث (دار المعارف القاهرة سنة 1964)

في التبسيط والتيسير مثل « النحو (6) الواضح » و « البلاغة الواضحة » لعلي الجارم ، ومصطفى أمين . و « الصرف الحديث » للامجد قدية . ولئن سلك المؤلفون في منهجهم التأليفي الطريقة الاستقرائية التي تعتمد ـ أساسا ـ على استنتاج القواعد من أمثلة حية طريفة ، فإنهم ظلوا أوفياء محتفظين بالمصطلحات التقليدية .

وبالجملة ، فإن التجديد الذي يرومه هؤلاء الاساتذة ، إنما يتجه ـ خاصة ـ إلى الطرق البيداغوجية ، لا إلى محتوى القواعد ومصطلحاتها .

2 ـ الاتجاه الانتقائي المعتدل :

غير ان قسما كبيرا من الاساتذة ، لا يحصرون مشكل تدريس اللغة في الطريقة ، ويعتقدون ان قواعد العربية نفسها تحتاج الى المراجعة والدرس ، ويكون ذلك : بانتقاء رصيد لغوي حي من القواعد والمصطلحات يمكن التلاميذ من التعبير عن حاجاتهم وشواغلهم ، ولا مانع من احداث تغييرات موضوعية في المصطلح الموروث .

ولعل كتاب « النحو العربي » هو خير ما يمثل هذا الاتجاه ! فقد بذل المؤلفون جهدا كبيرا في اختيار القواعد المناسبة ، وسعوا الى التيسير ، وعدلوا عن بعض المصطلحات القديمة وعوضوها بمصطلحات اخرى « وقد اقتصرنا على اهم المسائل والاحوال الكثيرة الاستعمال ... فتجنبنا التقاسيم التي لا تجدي والتفاصيل التي لا تغني ، المصطلحات الغامضة وما لا نفع فيه عن الشكليات ، ولذلك وقع تحوير طفيف فيما هو مالوف : كالغائنا اوجه الاعراب

---

6) النحو الواضح في قواعد اللغة العربية للمدارس الثانوية بمصر اتبع فيه المؤلفان الطريقة الاستقرائية (امثلة البحث ـ القاعدة) تعددت طبعاته وقد اعتمدت على الطبعة الثالثة عشرة دار المعارف بالقاهرة 1965 .

التقديري ، واعتبار ضمير الرفع المتصل علامة تدل مع الفعل على الفاعل ، وتسمية الممنوع من الصرف بالممنوع من التنوين ، وتخصيص كلمة (المفرد) بما ليس مثنى ولا جمعا ، من الاسماء ، وتسمية ما ليس مركبا من الكلام (باللفظ الواحد) ، وتسمية ما هو مركب تركيبا جزئيا من الكلام (بالمجموعة من الالفاظ) وفي اعتقادنا ان كل ما فعلناه غايته التبسيط والتيسير .

فالذي يمكن ان نتبينه من هذه الفقرة ، ان المؤلفين قد قصدوا من التحوير ان يحققوا اهدافا بيداغوجية معينة ، ولم تكن غايتهم احداث تغيير جذري في القواعد والمصطلحات ، بل انهم سعوا في كنف التراث وحدوده - ان يجددوا : بالرجوع - احيانا - الى اراء بعض النحاة القدماء ، او الى قرار المجمع اللغوي بالقاهرة (على ان المسائل التي حاولنا تبسيطها قد شغلت اذهان الباحثين في شؤون اللغة قديما وحديثا : فمشكلة الضمير مثلا كانت موضوع خلاف بين النحاة ، وقد اعتبر المازني ضمائر الرفع المتصلة علامات ، واقتفى اثره مجمع القاهرة فاصدر في الجزء الرابع من مجلته ص 189 القرار التالي : (... علامة العدد التي تلحق الفعل هي في الجمع الواو للذكور ، والنون للاناث ، وفي المثنى : الالف لهما ، وفي المفرد التاء الواحدة) (7) كما قرر المجمع الغاء الضمير المستتر ، والاستغناء عن الاعراب التقديري والمحلي ، وعدم التمييز بين علامات الاعراب الاصلية والفرعية ، غير اننا اذا رجعنا الى الكتب الاربعة المخصصة للسنوات الاولى والثانية ، والثالثة والرابعة فاننا نجد المؤلفين قد تصرفوا في كثير من المصطلحات بالتحوير والتغيير ، بالقياس الى المادة المدرجة في كتاب مبادى العربية طبقا للجدول التالي :

---

7) المقدمة ص 8

اختلاف
المصطلحات بين
مبادىء العربية والنحو العربي

مبادىء العربية	الصفحة	النحو العربي	السنة الصفحة
1) تقدر حركات الاعراب في أربعة مواقع - الاول في المعرب المختوم بألف : الفتى - الثاني في الاسم المضاف الى ياء المتكلم - الثالث في المعرب المختوم بواو بعد ضمة ، او ياء بعد كسرة ، يدعو القاضي - الرابع في ما حذف اخره كقاضي وجوار	109	1) لا تظهر حركات الاعراب في الاسماء والافعال المختومة بالف او ياء او واو كلما كان النطق بها مستحيلا او ثقيلا : يجب على الفتى ان يسعى الى المعالي ان كتابي صديقي	س اولى ص : 23 .
2) المعرب المنصرف وغير المنصرف	112	2) الممنوع من التنوين	س اولى ص : 40 .
3) الضمير المتصل بحسب اعرابه المحلي ثلاثة أقسام : الاول ما يختص بالرفع وهو (التاء ، والالف ، والواو ، والنون ، وياء المخاطبة الخ	122	3) لم نعتبر (التاء والالف والياء والنون ضمائر رفع متصلة ذات وظيفة نحوية وإنما اعتبرناها علامات تقترن بالفعل لتدل على المتكلم	س أولى ص : 47 .
4) الاسماء المبنية بناء لازما هي : الضمائر والاشارات والموصولات	117	4) اسماء الاشارة والاسماء الموصولة مبنية الا المثنى (لتغييره فلا فائدة في قولهم : انه مبني	س اولى

5) الفاعل : قسمان : ظاهر نحو مشى القائد ومضمر وهو اما بارز او مستتر فائدة : الفاعل يكون صريحا كما رأيت او مؤولا بالصريح نحو (بلغني انك نجحت في الامتحان	268	5) يرد الفاعل اذا ذكر : لفظا واحدا : رجع المسافر او مجموعة الفاظ يتمم بعضها بعضا هبت ريح شديدة - مرت حافلة النقل او جماة مبدوءة بإنّ أو أنّ : يجب ان نحترم قانون المرور	س اولى ص : 117.
المفعول به يكون منصوبا بعامل ظاهر او محذوف	217	لنقوم بواجباتنا : بواجباتنا مفعول به تعدى اليه الفعل بحرف جر (الباء)	س اولى ص : 125.
6) الخبر ثلاثة انواع مفرد ، وجملة وشبه الجملة - اذا كان الخبر المفرد اسما جامدا فلا تلزم المطابقة نحو : العلماء سراج الامة		انواع الخبر : يرد الخبر لفظا واحدا (الحياة كفاح) او بمجموعة الفاظ المثابرة مفتاح النجاح القوة في الاتحاد او جملة الدولة تساعد الضعفاء .	
مبادىء العربية	الصفحة	النحو العربي	
7) ينوب عن المفعول المطلق المبين سبعة اشياء : كل وبعض - العدد - الضمير - الصفة - الهيئة - الاشارة - ما وايّ الاستفهاميتان او الشرطيتان	218	7) المفعول المطلق بمجموعة الفاظ مبدوءة بمصدر او بكلمة مضافة الى المصدى (صفة - كل - بعض - عدد) لا فائدة في قولهم ان الصفة وكل وبعض والعدد واسم الاشارة نائبه عن المفعول المطلق	
8) النعت هو التابع الدال على صفة من صفات	313*	3) يرد النعت .. مجموعة الفاظ مبدوعة بكلمة ،	س اولى ، ص : 249.

منعوتة ويقال له النعت الحقيقي او من صفات متعلق بمنعوته ويقال له النعت السببي		وتظهر المطابقة في هذه الكلمة زرت حديقة فاتحة الازهار : يجوز ان يقال ايضا فاتحة ازهارها الا ان هذا التركيب صار اليوم قليل الاستعمال	س اولى ص : 191.
9) البدل : هو كل تابع كان المتبوع عينة او جزءا منه او بعضا من مشتملاته نحو قدم خالد اخوك - وطاب اخوك قلبه واعجبني اخوك علمه	322	9) يرد البدل لفظا واحدا او مجموعة الفاظ وجملة (اشتريت من السوق فواكه مختلفة : اشتريت تفاحا وخوخا وإجاصا	س اولى ص : 262.
10) لا يقال مررت بهذين الطويل والقصير على سبيل النعت ، وانما يقال على سبيل البدل او عطف البيان	316	10) اعتاد النحاه ان يعتبروا الاسم المعرف بال بعد اسم الاشارة بدلا ولكن المعنى يقتضي ان يعتبر اسم الاشارة والمشار اليه مجموعة الفاظ تقوم بوظيفة واحدة قرات هذا الكتاب (هذا الكتاب مجموعة الفاظ تقوم بوظيفة المفعول به .	س اولى ص : 263.
11) الماضي يقسم الى كامل وسابق واكمل وناقص ، فالكامل يدل على حدث القطع تماما دون ان يكون له علاقة في حدث اخر نحو برىء المريض - الخ	10	دلالة صيغة الماضي على الزمن الماضي تدل صيغة الماضي عادة على الزمن الماضي نحو مرض صالح الخ .	س ثانية ص : 16 .
- الجملة : هي الكلام المركب المفيد نحو قام زيد : العلم كنز		الجملة البسيطة : كلام يعبر عن معنى مفيد بجملة واحدة جاء كل عنصر منها	س : الثالثة

ـ الجملة الكبرى : هي الواقع خبرها جملة ـ والصغرى هي الواقعة خبرا ، والجملة التي ليست صغرى ولا كبرى هي الواقع خبرها مفردا نحو العلم نافع

في لفظ واحد : لا تحتقر فقيرا
الجملة المركبة : كلام يعبر عن معنى مفيد ايضا الا انه يتركب على الاقل من جملتين وقعت احداهما موقع عنصر من عناصر الاخرى (العلم كنز لا ينفد)

مبادىء العربية	الصفحة	النحو العربي	الصفحة
13) ـ الجمل التي لها محل من الاعراب سبع : الواقعة خبرا ـ حالا ـ مفعولا به ـ مضافا اليها ـ التابعة لمفرد	355	13) الجمل التي تقوم مقام العناصر الاصلية : الواقعة فاعلا ... الخ	س 3 ص : 55.27
ـ التابعة لجملة لها محل ـ الواقعة جوابا لشرط جازم مقترن بالفاء		الجمل التي تقوم مقام العناصر المتممة الواقعة نعتا ـ حالا... الخ	90.72
ـ الجمل التي لا محل لها من الاعراب سبع : الابتدائية ... المعتزمة ـ المفسرة ـ الواقعة صلة ـ الواقعة جوابا للقسم		الجمل التي تقوم مقام العناصر الاصلية والمتممة : الموصولة ... الخ	108 129
ـ الواقعة جوابا لشرط جازم لم يقترن بالفاء	256	الجمل المتلازمة الجملة الشرطية ... الخ	150 172
		الجمل الاعتراضية والتفسيرية	198 204
14) المركب نوعان : كلامي وهو الكلام المفيد وغير كلامي وهو ما كان في حكم المفرد والمركب	354	التراكيب الجزئية هي: النعت والمنعوت المضاف والمضاف اليه الجار والمجرور	س 4 ص : 16

في حكم المفرد أربعة أنواع اضافي كعبد الله ومزجي نحو سيبوبة وتقييدى كالحيوان الناطق واسنادي كتابط شرا	اسم الاشارة والبدل منه 14)

ماذا يمكن ان تستنتج من هذه المقارنة التي تضمنها الجدول ؟

الواقع اني لم ارد الاحاطة باوجه الاتفاق والاختلاف بين المصطلحات الواردة في الكتابين ، وإنما قصدت - فقط - ان اشير الى التغييرات التي احدثها كتاب « النحو العربي » حتى نتبين الاتجاه الانتقائي الذي سار فيه المؤلفون على انه بامكاننا ان نستنتج من الجدول الملاحظات التالية :

1) ان المؤلفين قد خففوا - فعلا - من وطأة المسائل النحوية ، وتشعب جزئياتها ، وتجنبوا التراكيب الشاذة ، والعبارات النادرة ، والتأويلات البعيدة ، وهذا حسن !.

2) انهم ابقوا كثيرا من المصطلحات القديمة (الفعل والفاعل - المبتدأ والخبر - نائب الفاعل - المفاعيل - الخ ..) ولم يروا جدوى في تعويضها مثلا : بالمسند والمسند اليه والمتممات كما نادى بذلك بعض الاساتذة في المشرق والمغرب .

3) انهم عملوا على تركيز النحو الوظيفي ، لذلك تخلوا عن التمييز بين الجمل التي لها محل من الاعراب والجمل التي لا محل لها من الاعراب ، لان لكل جملة وظيفة تؤديها لخدمة المعنى ، كذلك اهملوا الاعراب التقديري والمحلي وهذا مفيد !.

4) انهم اعتمدوا على التراكيب وانواعها ، حتى يكون النحو نحو تراكيب متناسقة لا نحو مفردات متنافرة ، لذلك اعتنوا بالجملة وانواعها ، وخصائصها ، ومعانيها .

وبالرغم من الجوانب الايجابية التي حققها المؤلفون في تطوير المصطلح وتهذيبه ، وتيسيره ، فان بعض المصطلحات المذكورة في

الجدول قد أثارت لدى الاساتذة احترازات وتساؤلات منها :

1) ان الممنوع من التنوين مصطلح غير دقيق ، لانّ الاسم المقترن بال ، او الاسم المضاف ، لا ينونان كما هو معلوم ، وهما مع ذلك غير ممنوعين من الصرف فيجران بالكسرة لا بالفتحة (بالرجل - بكتاب تلميذ) .

ان مصطلح مجموعة الفاظ عام فضفاض يشمل كل تركيب : تاما ام جزئيا بما في ذلك الجملة التي هي مجموعة ألفاظ أيضا ، ولا يخرج عن دائرة المصطلح سوى اللفظ الواحد ، غير أن المؤلفين - تجنبا لهذا اللبس والغموض - حاولوا تحديد محتواه بذكر أمثلة من مشمولاته وهي (الجار والمجرور والظرف - والمضاف والمضاف إليه (شبه الجملة في المصطلح القديم) المعطوف والمعطوف عليه - البدل والمبدل منه - التوكيد والمؤكد - النعت والمنعوت ...) والملاحظ أن المؤلفين في كتابهم « نحو المعاني » قد اطلقوا مصطلح (التركيب الجزئي) على كل ما يدل عليه مصطلحهم المقترح (مجموعة الفاظ) الذي استخدموه كثيرا في كتاب السنة الاولى .

ثم ان هذا المصطلح قد أقام صعوبات لدى التلاميذ اثناء التطبيق - خاصة - في ضبط علامات الاعراب ، لان العلامة في المجموعة من الالفاظ تظهر حينا على الجزء الاول (المضاف والمضاف اليه وحينا ثانيا على الجزء الثاني (الاسم المحلّى بال بعد الاشارة) وعلى الجزئين معا (النعت والمنعوت وبقية التوابع ...)

وهكذا يكون هذا المصطلح قد أثار غموضا - من حيث أراد أصحابه التوضيح والتيسير .

3) ان اعتبار الاسم المسبوق بحرف جر ، في الجملة الفعلية ، مفعولا به ، أو مفعولا لاجله .. الخ قد عقد القاعدة ، اذ من الايسر على التلميذ ان يعرف ان كلّ المفاعيل منصوبة ، وقد اختار الاستاذ يوسف السودا في كتابه الاحرفية ص 38 هذا المنحى حيث قال التمييز - دائما - منصوب أو في محل نصب ... الخ)

4) الازمنة التي تدل عليها صيغة الماضي والمضارع : تعتبر

مشكلة دقيقة متشعبة ، وقد أدرك الاستاذ تمام حسان (8) ذلك ، حيث ميز بين المستوى الصرفي ، والمستوى النحوي ، في دراسة الزمن بقوله (ان صيغة فعل ونحوها مقصورة على الماضي ، وان صيغتي يفعل ، أو افعل ، ونحوهما أما أن يكونا للحال او للاستقبال ، فلا يتحدد لاي منهما احد المعنيين الا بقرينة السياق ، لان السياق يحمل من القرائن اللفظية والمعنوية والحالية ما يعين على فهم الزمن ، في مجال أوسع من مجرد المجال الصرفي المحدود ، وهكذا يكون نظام الزمن جزءا من النظام الصرفي واما الزمن السياقي النحوي فإنه جزء من الظواهر الموقعية السياقية لان دلالة الفعل على زمن ما تتوقف على موقعه ، وقرينته في السياق ، او تتضح العلاقة بين هذين النوعين من أنواع الزمن الشكل التالي :

الزمن

في الصرف	في النحو
وظيفة الصيغة المفردة	ظاهرة تتوقف على الموقع والقرينة

وبهذه الطريقة التي رسمها تمام حسان ، يمكن ان نقتصر في المرحلة الاولى من التعليم الثانوي على تدريب الزمن في المستوى الصرفي ، وان نرجيء المستوى النحوي على المرحلة الثانية بعد أن ينضج التلميذ ، ويصبح قادرا على اكتشاف معاني الازمنة - تدريجيا - من خلال النصوص الادبية التي يدرسها .

5) ان ما قدمه المؤلفون في نحو الجمل مفيد وطريف - خاصة - في تقسيم الجملة الى بسيطة-ومركبة ، الا انهم تأثروا الى حد كبير بالتقاسيم والتفاصيل التى أدرجها المستشرق الفرنسي بلاشير في

8) اللغة العربية معناها ومبناها - ط - 1973 ص 105 نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب وقد قيّمه الاستاذ محمد صلاح الشريف ببحث ضاف منشور بحوليات الجامعة التونسية (العدد السابع عشر 1979) من ص 193 - 229

كتابه (Grammaire de l'arabe classique) خاصة في القسم الثاني والثالث منه .

والخلاصة : أن المصطلحات التي ادخلها مؤلفو النحو العربي ، لئن اصبحت شائعة مستعملة في المدارس الثانوية التونسية يرددها الاساتذة والتلاميذ في اقسامهم ، فإنها لم تحظ بالاجماع ، وظلت محل جدال وحوار بين الاساتذة في الاجتماعات والملتقيات البيداغوجية .

ب ـ الدرس الصرفي

اذا كان المصطلح النحوي يحتاج ـ كما رأينا ـ الى التوحيد ، فإن المصطلح الصرفي يفتقر ـ هو ايضا ـ الى ذلك ، فقد برزت في السنوات الاخيرة مصطلحات السنية جديدة استخدمها بعض الاساتذة الشبان ، لتفسير الظواهر الصرفية ، في الاعلال ، والحذف ، والادغام ، بالاعتماد على كتاب (التصريف العربي) للطيب البكوش ، ومن المفيد ان نقيم موازنة بين بعض المصطلحات الواردة في كتاب (الصرف العربي) للمهيري وزملائه ، وبين التصريف العربي للبكوش وبعض مصطلحاته على ضوء الجدول التالي :

الصرف العربي المهيري		التصريف العربي البكوش
اذا تحركت عين الاجوف وكان ما قبلها مفتوحا تقلب الفا : قَوَل ـ قال (1	166	تسقط الواو والياء بين حركتين قصيرتين ـ الحركتان فتحتان تا (فتحة طويلة) قَوَل ـــ قال سَيَرَ ـــ سَارَ (1
تحذف لام الناقص مع واو	178	تسقط الواو ، والياء ، بين

الجماعة لالتقاء ساكنين دَعَوْا - يدعون	حركتين ثانيتهما طويلة : الحركتان متماثلتان (ضمتان مع الواو او كسرتان مع الياء) ـ ـ و تو ـ ـو هم : يدنون ـ **يَدْنُونَ**
(2	(2
تقلب عين الاجوف مع المجرد الثلاثي **همزة** في صيغة اسم الفاعل : نَاوِم - نائم بَايِع - بائع	**تقلب الواو او الياء همزة اذا وقعت بين فتحة طويلة وكسرة** قاول - قائل - بايع - بائع

من خلال هذه الامثلة نلاحظ اختلاف المنهجين في تفسير الظواهر الصرفية في الاجوف والناقص ، ولا شك ان استعمال الطريقة الحديثة ايجابي ، وقد حضرت دروسا تجريبية استخدم فيها بعض الاساتذة التفسيرات الصوتية ، فوفقوا ، واستطاعوا ان يصلوا الى نتائج مشجعة . الا ان المشكل يكمن أساسا في الخلط الذي سيحصل في أذهان التلاميذ عند ما تقتضي موازناتهم أن يكونوا بين يديْ أستاذ تعود استعمال التفسيرات المألوفة ، أما جهلا منه بالطريقة الحديثة او اعتقادا منه بعدم جدواها .

ولست هنا في مجال تفضيل منهج على اخر ، وانما اردت فقط ان اقدم مجرد وصف موضوعي لواقع لغوي معقد يعيشه ابناؤنا اليوم ، واذا كان التلميذ - قديما - يشكو من صعوبة القواعد الموروثة ، وتشعبها وجفافها ، فقد أصبح الان يشكو من ازدحام المصطلحات بين قديمة وحديثة ، فكيف يمكن ان يقبل على العربية ، ويحرص على اتقانها وقد اضفنا عسره عسرا . بينما تقدم إليه اللغات الاخرى في أسلوب سهل ميسور .

فما هو الحل اذن ؟ وهل يكمن هذا الحل في تجديد جذري لقواعد العربية ؟

3) الاتجاه التحديدي الجذري

الواقع ان الاساتذة الذين اتصلت بهم في الاجتماعات والملتقيات لم ينادوا بالتجديد الجذري وإلغاء كل المصطلحات القديمة والتخلي عنها جملة ، بالرغم من اطلاعهم على بعض المحاولات الجديدة التي تطمح الى خلق مصطلحات تعوض المصطلحات القديمة ، كمحاولة يوسف السودا في كتابه « الاحرفية » ، فما هي قيمة هذه المحاولة ؟ لقد قام مؤلف « الاحرفية » اولا في مقدمة كتابه بنقد مناهج القدماء في وضع القواعد والمصطلحات ، مقدما امثلة لدعم موقفه ، ثم نادى بالتجديد الجذري ، وبإعادة النظر ـ خاصة ـ في التسمية والتعريف مع الاستعانة بعلم المقابلة ، ولئن كان يعتقد ان الاصلاح الجذري لا يتم ـ الا باتفاق الدول العربية على عقد مؤتمر لغوي لسن القواعد المطلوبة ، فانه بادر بعرض ما وصلت إليه جهوده الخاصة في حذف ابواب وتعديل ابواب أخرى ، واستنباط مصطلحات جديدة يمثل اهمها الجدول التالي :

المصطلح القديم	مصطلح الاحرفية
الفاعل : نائب الفاعل	فعيل
المفعول به ـ المفعول فيه ـ المفعول معه المفعول لاجله ـ المفعول المطلق الحال	تميم
خبر كان واخواتها	مظهر
كان واخواتها	افعال مساعده
اسم الفعل ـ التحذير ـ الاغراء الندبة الترخيم ـ الاستغاثة	يعربيات

الملاحظة الاساسية التي يمكن استنتاجها من المصطلحات المقترحة ، ان المؤلف قد ترجم المصطلحات الفرنسية ، فجاء عمله شكليا ، لا تجديد فيه بالمعنى العميق للتجديد ، لان الرجل لم يكن - اولا من اهل الاختصاص (ليس علم النحو والصرف من اختصاصي) (9) ولانه ثانيا ، انطلق في محاولته من نظرة مزدوجة تخفي وراءها شعورا بالنقص في المنهج اللغوي العربي يقابله اعجاب عارم بتفوق المنهج اللغوي الغربي وقواعده واساليبه ، ولم يتفطن الى ان لكل لغة خصائصها ، وهياكلها التعبيرية التي تميزها عن غيرها من اللغات ، فاللغة كائن حي ينمو ويترعرع في محيطه الاجتماعي والثقافي والحضاري ، ولئن كان من الطبيعي ان تستلهم العربية من المناهج العلمية الحديثة ما يساعدها على التطور والنمو ، فإنه ليس من المنطق ان تنسخ قواعد غيرها وتترجمها بدعوى الحرص على النهوض بها وتحديثها .

3) الخلاصة العامة :

هذه - ايها السادة - ملاحظات وخواطر عن وضع المصطلح اللغوي في التعليم الثانوي ، قد تحتاج في بعض المواطن الى مزيد التحليل والبسط ، ولكنها تصور : بايجاز ما يعانيه ابناؤها من صعوبات ومشاكل ، وينبغي ان نعمل على تذليلها ولذا اقترح :

1) العمل على توحيد المصطلح اللغوي - على الاقل - في مستوى التعليم الابتدائي ، والثانوي ، ولا يتأتى ذلك - الا بالتعاون بين جميع اصناف المربين ، من اساتذة التعليم العالي ، والثانوي ، ومن معلمي الابتدائي ، اذ لا بد من التكامل بين التحليل النظري والدراسات العلمية الجامعية وبين التطبيق البيداغوجي والتجربة العملية ، وفي هذا المقام ينبغي ان نشيد بالمساهمة القيمة التي قام بها الاستاذ رشاد الحمزاوي في جمعه لمعجم ابجدي عربي ضم 1202 من المصطلحات اللغوية الحديثة ، وقد نشره في العدد 14 - 1977 (الحوليات التونسية) ولا شك انه سيساعد على توحيد المصطلح اللغوي المرجو .

---

9) الاحرفية ص 7

2) تنظيم ملتقيات لغوية دورية ، بين اساتذة التعليم العالي والثانوي ، لرسكلة الاطار التدريسي ، واطلاعه على ما جد من نظريات حديثة في علوم اللغة ، لمواكبة التطور العلمي والحضاري .

3) اشراك اساتذة التعليم العالي في تأليف الكتب المدرسية - خاصة - ما يتصل منها بقواعد اللغة ، لتبادل التجارب والاستفادة من الخبرات العلمية والبيداغوجية ، وما كتاب « النحو العربي » سوى عمل جماعي مثمر ، اسهم في بنائه استاذ جامعي واساتذة من التعليم الثانوي .

4) تجنب المبادرات الفردية التي ترمي الى التجديد الجذري لقواعد العربية ، حتى لا ندخل على تلاميذنا بالبلبلة والشكوك ، على انه بامكاننا ان نطور - القواعد - تدريجيا اذا اقتضت النجاعة ذلك ، فالطفرة والجمود اخوان ان اختلفا ، مظهرا وشكلا فانهما يلتقيان في العقم وسلبية النتائج .

5) اعتماد الدراسات اللغوية الحديثة التي حاول اصحابها ان يستلهموا من مبادىء الالسنية ما أعانهم على إعادة وصف العربية ، وخصائص نظامها دون ان يتجاهلوا التراث القديم وجهود السابقين ، مثل كتاب « اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان ، وكتاب « الالسنية العربية » (10) لريمون طحان ، ودراسات في علم اللغة » (11) (القسم الاول والثاني) للدكتور كمال بشر وكتاب (دروس في علم اصوات العربية) (12) لجان كانينو ترجمة صالح القرمادي وكتاب ، (التصريف العربي) للطيب

---

10) الالسنية العربية : ج 1 - ج 2 الطبعة الاولى 1972 (دار الكتاب اللبناني بيروت

11) نشر دار المعارف بمصر الطبعة الثانية 1971

12) ذيل الاستاذ صالح القرمادي الكتاب بمعجم ، اثبت فيه جميع الإلفاظ والعبارات الاصطلاحية الواردة في الكتاب مع ما يقابلها في الاصل الفرنسي من ص 207 - 217 وهو عمل مفيد .

البكوش بجانب البحوث العلمية المفيدة المنشورة في حوليات الجامعة التونسية .

والخلاصة :

لقد ظهرت في العربية عدة دراسات شاملة وجزئية ، حاول اصحابها المزج بين القديم والجديد ، بالرغم مما يحف بهذا المنهج من صعوبات ومشاكل ، ولئن لم تخرج هذه الدراسات عن نطاق المحاولة ، فانها بدون شك تخط امامنا ، اتجاها واضحا يمكن الاستفادة منه في المجال التطبيقي البيداغوجي ، والاستضاءة به في سن قواعد مجدية ومصطلحات موحدة ، فلا حديث بلا قديم ولا فضل لقديم يقنع بنفسه ، ولا يتطور او يتجدد مع الزمن (13)

والسلام

عبد العزيز بن يوسف

---

13) التصريف العربي : ص 22

جهود المجمع العلمي الأول في خدمة العربية
في الشام 1919 - 1934 م

مجلة المعهد الطبي العربي
بدمشق

نحن اليوم ـ بل الى عهد قريب على الاصح ـ ننعم في اذاعاتنا وحفلاتنا ومحاضراتنا ونوادينا ، وصحفنا ومجلاتنا ، وبياناتنا ونشراتنا ، وحتى في خطب بعض وزرائنا وارتجال بعض زعمائنا ، نحن في كل ذلك ننعم ببيان مشرق ولفة سلسلة ، وشعر جيد ونثر رفيع ، وحياة ادبية وسبل ممهدة ومناهج مطروقة ... فنغتبط بكل ذلك ، وينسى اكثرنا عرق الكادحين الذين انضوا اجسامهم واعشوا

★ في البدء ، لا بد من تحديد المراد بالمجمع الاول لان الغريب عن هذه المؤسسة يخلط بين ثلاث تعاقبت ، وكل منها احتل المدرسة العادلية الكبرى تجاه دار الكتب الظاهرية بدمشق وحمل اسم مجمع .

فالاول هو المعروف في البيئات العلمية والمتبادر الى الذهن حين يطلق (اسم المجمع العلمي العربي) وقد عاش خمس عشرة سنة (1919 ـ 1934) حياة حميدة كلها انتاج وخير ، ثم الغي زمن الاحتلال لاسباب ـ زعموا ـ مالية .

والثاني يبدأ سنة 1941 حين اقتضت سياسة المحتلين الدعائية في الحرب الثانية اعادته على شكل ملائم لهم

والثالث يبدأ ـ في الحقيقية ـ بعد وفاة مؤسسي المجمع الاول محمد كرد علي رحمه الله سنة 1953 ثم يصبح فرعا لمجمع اللغة العربية في القاهرة ويحمل اسمه منذ سنة 1960 ، وهو مغاير كل المغايرة للمجمع الاول .

وكلمتنا هذه خاصة بالمجمع الاول الذي الغي سنة 1934 . وليس من شأننا الكلام عما حصل بعده .

ابصارهم حتى مهدوا السبل وتحملوا المشاق ، واوذوا في اموالهم وابدانهم وسيرتهم لتكون للغة العربية حياة في بلادها فتحيا بحياتها العرب . ينسى ذلك اكثرنا الا قليلا من العارفين المعمرين الذين يقولون : « ليت الرعيل الاول من مناضلينا امتدت حياتهم الى هذه الايام ليروا راية لغتهم مرفوعة وسيادة امتهم حقيقة فينعموا بثمرات ما تعبوا في غرسه » .

ولما وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها ونشأ في الشام اول حكم عربي جديد ، واضطلع به اولئك الصابرون من بقايا السيوف ، كان ما ادوا الى العربية في الشام عجبا من العجب : شبان تعلم اكثرهم باللغة التركية في غير بلادهم ، فظلوا بحكم بيئاتهم ومناصبهم لا يتكلمون غيرها ، ثم يتسلمون الاعباء ، فهل سمعتم بدولة ولدت فغيرت اللغة المفروضة على البلاد بجرة قلم ؟

هذا ما جرى بالشام ايام الحكم الفيصلي : حرمت التركية بمصطلحاتها ومواصفاتها جميعا ، ثم عبئت الكفايات في لجان لتعريب مصطلحات الجيش وادارات الدولة وكتب المدارس ... يتولى ذلك كله ، بدأب لا يمل علماء بالعربية ، حتى الطلاب في المدارس فرضوا على انفسهم عقوبات ان هم تكلموا في الفرص بين الدروس بغير الفصحى ، بل كان جو الشام كله حينئذ (سنة 1919) لا يشغله الا عروبة وحماسة لها وايمان بها ، وهمم تتسارع في البناء ، وتسابق الزمن وتسد المنافذ على الاحداث ، تلمس هذا الوعي في الشيخ والطفل والشاب ، والعالم والجاهل ، والرجال والنساء ، وكان يصور هذه الارادة تمثيل ما كنا ننشده كل صباح في صفوفنا الاولية والابتدائية ، ويردده تلاميذ الثانويات وطلاب الجامعات ، والجنود في الثكنات ، والعامة في المظاهرات ، النشيد الذي شرق وغرب :

بلاد العرب اوطاني   من الشام لبغدان
ومن نجد الى يمن   الى مصر فتطوان

وبعد سنتين رفرف فيها هذا العهد العربي كالحلم الجميل ، زحفت جيوش الاحتلال الفرنسي من بيروت ، فخف المجاهدون

من الجند ، والمتطوعة الى (ميلسون) لهذا الزحف مع عدم التكافؤ بين المجاهدين والمحتلين لا في العدد ولا في العدد ، فثبت المجاهدون ساعة استشهد فيها اكثرهم واستشهد قائدهم ، فتقوض الاستقلال ونحن لا نزال في الدراسة الاولية سنة 1920 ، فحملنا قهر العدوان وهمه صغارا ثم اكتوينا بشراسته وجحيمه كبارا ، ولم يبق بأيدينا - على رغمه - الا عقيدتنا ولغتنا .. مضينا في اعتزاز بهما وتمكينهما حتى اطمأننا عليهما ، و كانتا هما النار المقدسة التي أججت النضال خمسا وعشرين سنة حتى ازال الله الاحتلال فماذا كان عمل المجمع العلمي الاول يومئذ ؟

اعلن الحكم العربي المستقل والتركية لغة ادارات الحكومة والجيش وسائر المصالح التي يغشاها الناس في حاجاتهم كل يوم ولا يستغنى عن معاملتها احد ، وكان على المسؤولين تعريبها تعريبا شاملا لا يقتصر اثره على موظفي الادارات نفسها ، ولكن يتعداها الى الناس كافة ، فبدىء بسرعة بإصلاح لغة الدواوين بامداد الحكومة بكل ما تحتاج اليه من مصطلحات تقوم مقام المصطلحات التركية ، وبمصطلحات مستجدة توضع وضعا ، فتألفت لذلك لجنتان :

1 - لجنة عربية خاصة بالجيش برئاسة المرحوم ياسين باشا الهاشمي (1) لوضع جميع ما يحتاج اليه الجيش من ايعازات ومصطلحات فنية ، فقامت بعملها خير قيام ، وقدمت نتائج جهودها فوضعت موضع الاستعمال من غير ابطاء . وما لبث الناس ان الفوا الاوضاع الجديدة واستعملوها .

2 - واللجنة الثانية عامة ، الفها الحاكم العسكري على رضا باشا الركابي - وهو احد الرجالات العظام - في 1918/11/28 اي في

---

1) وعضوية رشيد بقدونس ومراد الاختيار وهما من كبار الضباط ، والشيخ عبد القادر المبارك من علماء العربية رحم الله الجميع .

وتجب الاشارة هنا الى ان العهد الفيصلي في سورية قام على سواعد اعلام شاميين من سورية والاردن ، وفلسطين ولبنان ، وعراقيين وحجازيين ، ولم تكن يومئذ هذه الجنسيات التي ابتدعت فيما بعد .

الشهر الثاني لجلاء الاتراك ، الفها بين ما الف من شعب ادارية وفنية لانجاز اعمال الدولة الجديدة ، وسماها الشعبة الاولى للترجمة والتأليف ، مهمتها تعريب الدواوين ونشر العربية بين الموظفين ، ثم سميت هذه الشعبة بعد ان ضم اليها شؤون المعارف بـ (ديوان المعارف) ، واسندت رياسته الى العلم المشهور محمد كرد علي في 1919/2/12 ، وكانت لجنة المصطلحات فيها برياسة الاستاذ ساطع الحصرى ، وعضوية الاستاذين عزالدين التنوخي وحبيب اصطفان . ثم فصلت الشعبة الاولى عن ديوان المعارف واستقلت باسم (المجمع العلمي العربي) في 1919/6/8 ، ومارس المجمع اعماله مستقلا ثم شرح خطته في بيان بعنوان (اصلاح لغة الدواوين) جاء فيه :

« لما تأسست الحكومة العربية وتألفت دواوينها ومصالحها المختلفة ، احسّ رؤساء الدواوين وكتابها بشديد الحاجة الى كلمات وأساليب ادارية عربية جديدة تخلف تلك الاخرى القديمة الاعجمية في مادتها واسلوبها ، واحبوا ان ينزعوا عن لغتهم التي اشتهرت باسم (لغة الدواوين) عجمتها وركتها ، ثم يحلوها من الكلم والاساليب بما يكون في العروبة اعرق وبالفصاحة اعلق .

وقد صادف اهتمامهم هذا انشاء المجمع العلمي العربي ، فاخذوا يرسلون اليه جرائد (قوائم) تتضمن ما يدور في معاملاتهم وعلى اسلات اقلامهم من الكلمات والاساليب ، ويرغبون الى المجمع في النظر فيها واستبدال غيرها بها . فوافي المجمع رغبتهم في هذا الاقتراح النافع ، ونظر في كلمات وتعابير كثيرة وردت اليه من (ادارات) المعارف ، والاوقاف ، والشرطة ، والمجلس البلدي ، والصحة ، والمصرف الزراعي ، فأبقى بعضها على حاله لصحته وعروبته ، وبدل بعضها كل التبديل ، وعدل الاخر تعديلا قليلا او كثيرا حتى اجتمع لديه من ذلك ما يحسن نشره وعرضه على رؤساء الدواوين ورجال الصحافة فيرون رايهم فيه (2) » .

2) مجلة المجمع العلمي العربي (43/1

ومضى المجمع على خطته التي وصف ، ينجز في كل جلسة عددا غير قليل مما تحتاج اليه مصالح الحكومة من اوضاع وتراكيب . وقد طبع من اجل ذلك على نفقة (ديوان المعارف) سنة 1919 م (رسالة لغوية في الرتب والالقاب وما يقابلها من العربي الفصيح مبنية على الرتب والالقاب في مصر) لاحمد تيمور باشا . وقد اشار المجمع الى ما كان يكلفه وضع المصطلحات من مراجعات في الكتب القديمة ثم مداولات فيها بقوله يعدد اعماله في دوره الاول :

« ومنها البحث في عشرات من الالفاظ المتداولة في اكثر دوائر الحكومة ، وتقرير الفصيح منها اعتمادا على امهات الكتب القديمة مما استغرق النظر فيه جلسات عديدة للمراجعة والمفاوضة والتحقيق (3) » ، « وترجم ونقح بعض القوانين كقانون التعليم الابتدائي وقانون الصحة العامة وقانون الحجر الصحي وبعض القوانين المالية » (4) .

ويشير الاستاذ ساطع الحصري الى هذه الفترة بقوله : « واستحدثت الحكومة دروسا خاصة بالموظفين تستهدف تعليم الانشاء العربي ، واخذ عدد غير قليل من الادباء والموظفين يراجعون الكتب العربية القديمة بغية ايجاد المصطلحات وتقرير افصح الاساليب التي تليق بحكومة عربية حديثة ، وتألفت لهذا الغرض لجان عديدة سعت وراء تنسيق هذه الجهود وتعجيل ثمراتها ، واصبحت بذلك الدولة السورية تستحق اسم الدولة العربية بصورة فعلية (5) . واكثر الذين اشار اليهم الحصري من اعضاء هذا المجمع القديم . حدد المجمع العلمي اهدافه في منشور عام وزعه رئيسه في الشهر التاسع لسنة 1919 باللغتين العربية والفرنسية على مجلات ومجامع ودور نشر في الشرق والغرب ، يعنينا منه قوله :

---

3) مجلة المجمع العلمي العربي (29/1
4) تاريخ المجمع العلمي العربي لاحمد الفتيح ص 17
5) يوم ميسلون لساطع الحصري ص 230 ـ بيروت (مكتبة الكشاف) .

« .. وقد وكل الى المجمع النظر في اللغة العربية واوضاعها العصرية ، ونشر ادابها واحياء مخطوطاتها ، وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون من اللغات الاوروبية ، وتأليف ما تحتاج اليه من الكتب المختلفة المواضيع على نمط جديد .. كما عني بجمع المخطوطات القديمة الشرقية والمطبوعات العربية والافرنجية على اختلاف موضوعاتها ... وعني بالمكتبة الظاهرية (وكان فيها نحو اربعة الاف مجلد معظمها مخطوط فاضاف اليها نوادر المخطوطات والمطبوعات من شرقية وغربية ، فابتاع لها اكثر من الفي مجلد حتى بلغ عدد مخطوطاتها زهاء ثلاثة الاف مجلد بين امهات الكتب المفيدة في التاريخ والادب والفنون المختلفة بخطوط قديمة ، كثير منها بيد مؤلفيها ، ونسخ مضبوطة بقراءتها على كبار العلماء ... ذلك فضلا عن عناية هذا المجمع بوضع بعض التواريخ وتعريب بعض الكتب المفيدة ، وطبع الرسائل العلمية اللغوية في الاوضاع المدنية وغيرها » (6) .

والحق ان المجمع جال في غير ميدان واحد ، ولا اعرض هنا لبيان جهوده في ميادين مختلفة كالبحوث اللغوية الفنية التي حوتها مجلته مما لا يعني الا اهل الاختصاص ، اذ لي في كثير منها راى خاص ليس هذا مجال ايراده ، وانما مجالنا ما قدم المجمع للجماهير من خير غير قليل ، وخدمات عامة اسداها العارفون من اعضائه القدامى الى اللغة العربية ، واستطيع تنسيق ذلك في امور خسمة : تعريب المصطلحات ، والنظر في لغة الكتب المدرسية والمحاضرات العامة الميسرة للجمهور ، وتصحيح الاخطاء الشائعة في الصحف وغيرها والاعداد لمعجمات فنية خاصة .

1 ـ تعريب المصطلحات التي طلبتها مصالح الحكومة او الافراد :

رفع المجمع الى الحاكم العسكري في هذا الشأن قراره الاتي المتخذ في 1919/10/14 وفيه بيان خطته جاء فيه :

6) مجلة المجمع العلمي العربي 6/1

« لما كانت الحكومات المختلفة قد تعاقبت على هذه البلاد بعد الفتح العربي،وغيرت كثيرا من الاوضاع التي اصطلح عليها كتاب الدواوين ، وشوهت محاسنها ، ولا سيما في عهد دول التتر والترك ، مست الحاجة الى تجديد الاوضاع الاولى وتعريب الاخرى منها ، ووضع الفاظ جديدة لمعان لم تكن قبلا ، والغاء الفاظ لا توجد (مسمياتها) اليوم ، فاجلنا النظر في كثير من كتب الخطط والاحكام السلطانية والدواوين والترسل والوثائق وما شاكل ، اهمها :

كتاب « الخراج » لابي يوسف ، « والخراج » لقدامة بن جعفر وكتب الفتوح واشباهها مثل « مقدمة ابن خلدون » وبعض التواريخ المشهورة ، وكتاب « الطرد » للصلاح الصفدى ، « والاحكام السلطانية » للماوردى ، « والاحكام السلطانية » لابي يعلى الحنبلي ، « وسلوك الممالك » لابن ابي الربيع ، « وقوانين الدواوين » لابن مماتي ، و « كنز الكتاب » لكشاجم الرملي ، و « التعريف بالمصطلح الشريف » لابن فضل الله العمرى ، « ومفاتيح العلوم » للخوارزمي ، و « معالم الكتابة » لابن شيث القرشي ، و « صبح الاعشى » للقلقشندى ... الى كثير من اشباه لهذه الكتب من مطبوعة ومخطوطة (وهي) معتمدة عند ارباب اللغة والتاريخ ، وبعضها - ان لم نقل كلها - من النوادر المحفوظة في بعض المكاتب .

وبعد ان اخترنا من هذه الالفاظ ما رأيناه من حاجات دوائرنا اليوم ، اخذنا مصطلحات الدوائر الملكية (المدنية) والعسكرية ، وبدأنا في اختيار ما يناسبها ووضع ما لم نجده ، او تغييره لتغير مفاده اليوم ، فاخترنا لها هذه الاوضاع بعد تمحيصها والمذاكرة فيها ، راجين ان يعم استعمال هذه المصطلحات الفصيحة ، احياء للغة العربية ، ورجوعا الى نضرتها الاولى (7) .

وكان المجمع تنبأ بان بعض مصطلحاته سيخدش الاسماع اول

---

7) وثيقة صادرة الى الحاكم العسكري برقم 358 وتاريخ 1919/1/14 وانظر تاريخ المجمع العلمي ص 17 .

الامر لعدم الفه ، وانها ستصنقل بمرور الزمن فنبّه المواطنين بقوله : « لا يخفى ان مجرد وضع المجمع لهذه الكلمات لا يفيد الفائدة المرغوبة ما لم يتناولها الافاضل رؤساء الدواوين ورجال الصحافة فيستعملوها في كتاباتهم ، ويزيلوا خشونتها ، وغرابتها بالتداول والتخاطب والتراسل بينهم » ، واوصى « اذا استعمل احدهم هذه الاوضاع الجديدة حسن اولا ان يتبعه باصله القديم ، فيزيد بذلك وضوحا ، وشيوعا بين الناس ، فاذا استعمل كلمة (حاشية) مثلا أتبعها (بالمصطلح الشائع سابقا) بكلمة (دركنار) واضعا لها بين هلالين » (8) .

ومع ما كلفهم ذلك من جهود لم يمنوا ولم يتبجحوا ، بل تحلوا بالتواضع حلية العلماء ، شاعرين انهم يؤدون بعض ما عليهم لامتهم ، جاعلين في الوقت نفسه لعامل الزمن والذوق العام حسابا حين قالوا :

« ونحن على يقين من ان ما اخترناه للكتاب الافاضل من هذه الاوضاع والتعابير الجديدة لم يكن خير ما يقال وافضل ما يعول عليه ، اذ قد يتفق لبعضهم ان يخطر له كلمة او تعبير خير مما وضعنا واخترنا ، فله ان يستعمل ما ارتاه ، كما ان لغيره ان يستعمل ما ارتأينا نحن فتحيا الكلمات معا ، او احداهما التي تكون افصح واصلح ... وبعض الكلمات التي جددناها مقتبس من اوضاع الدول العربية القديمة كديوان الخراج وديوان العمائر » .

بعد هذا البيان بدأ المجمع ينشر في الصحف قوائم في ثلاثة اصناف :

1) - صنف حوى كلمات عربت او حولت عن اصلها ، فالمعرب مثل كلمة (الطابو) عربوها بـ (التمليك) ، و (سرقوميسير) عربوه بـ (مفوض اول) ، و (سيقيل قوميسير) عربوه بـ (مفوض التحري) ، و (نوبتجي) عربوه بـ (اذن او بواب) ، و (أوده جي) بـ (فراش) ، و (ذمت وايليشك) بـ (الدين والعلاقة) و (قاصه دفترى) بـ (دفتر

8) تاريخ المجمع العلمي ص 23 فما بعد .

الخزانة) ، و (خرجواه) بـ (نفقة السفر) .. الى اخر الكلمات التركية او الفرنسية المترّكة .

وما حول عن اصله مثل (دائرة الهندسة) حول الى (لجنة التخطيط) ، و (المأمور الصحي) حول الى (الملقح) ، و (الهيئة الفنية لانشاءات الاوقاف) جعلوه (لجنة العمائر في الاوقاف) وهكذا مما وضح المدلول ، وأزال عمومه او اختصر اسمه .

2) ـ وصنف عدلوه بعض التعديل مثل (مدير التحريرات) جعلوه (مدير الرسائل) ، و (القائمقام) جعلوه (القيم) ، و (اوراق موروده) جعلوه (الرسائل الواردة) .. وهكذا .

3) ـ وصنف ثالث حوى كلمات مختلفة تدل على اثاث ، او معلقات ، او غيرها مما يستعمله الناس ، فكلمة (ماض) التركية مثلا عربوها بـ (مكتب) و (قولق) عربوها (متكأ) ، و (دوس) عربوها بـ (اضبارة او ملف) فراجت الاضبارة في الشام وراج (الملف) في مصر وليبية ، و (روزنامة) عربوها بـ (تقويم) وهي الرائجة اليوم في الشام . وتتابعت هذه القوائم حتى سدت حاجة المصالح الحكومية يومئذ .

اضافة الى ما تقدم كانت ترد على المجمع طلبات كثيرة من الافراد تطلب مقابلا لكلمات اجنبية تركية ، وفرنسية ، وايطالية ، يستعملها الناس مما يسميه زملاؤنا في مصر (الفاظ الحضارة) ، فصارت تنشر في الصحف اليومية الطلبات وتلبياتها ، بل تأتي المجمع طلبات من خارج سورية (المختصرة في عهد الاحتلال) ، فهذا الاستاذ بولس الخوري من بيروت قدم الى المجمع اقتراحا « يطلب فيه وضع اسماء للرتب العلمية والالقاب التي تمنحها الجامعات لطلابها ، فأحيل اقتراحه على الاستاذ انيس سلوم فأجاب عليه (9) » .

لم يقتصر هذا التشوف الى التعريب السريع على اجزاء الشام

---

9) حاضر اللغة العربية سعيد الافغاني ص 102 ـ الطبعة الثانية : دار الفكر بيروت سنة 1971 .

(سورية المختصرة ولبنان المكبر ، والاردن وفلسطين ، والاسكندرون بل جاوزها الى العراق ، ويجب الا ننسى ان الشام والعراق غمرتهما حماسة شديدة للعروبة منذ العهد العثماني ، يدلك على ذلك تضافر اعلام من العراق ومصر الى جانب السوريين في إنكاء هذه الروح في مجلة المجمع ، والوقوف بالمرصاد للمشككين من المستتركين في الداخل او المتفرنسين في الساحل ، فهذا الاب انستان الكرملي - من العراق - ينشر في المجلة بحثا حوى الملاحظات الاتية التي تصور في تعبيرها جو التبرم بهؤلاء المشككين :

« اولا - على كل عربي متفرنج الا يقطع بعجز اللغة او ضعفها ان لم يكن له وقوف على اسرارها والفاظها ودقائق معانيها ومباينها .

ثانيا - يحسن به ان يستفتي احد الادباء او يستشيره او يبحث هو بنفسه عما ينشده من امر ضالته .

ثالثا - ان لم يفز بطائل فلينسب العجز الى نفسه ، او الى من اراد ان يغترف من بحار افكارهم ، ولا ينسب شيئا الى اللغة ، فاللغة كنز مدفون او كالمدفون ، فاذا كان لا يوجد من يدلك عليه فهذا لا ينفي وجوده (10) .

كان ذلك قبل 57 سنة اثر الاحتلال الفرنسي والانكليزي ، وقد رحل الاحتلال الان ، رسميا على الاقل،وقامت في عقر دارنا جامعة اجنبية صهيونية (الجامعة العبرينية) منذ اربعين عاما ، تدرس العلوم ، واحدث الاكتشافات بلغة ميتة حقا ، لكنها لغة اجدادهم وتوراتهم على كل حال احيوها ليحيوا ، ونحن ما يزال فينا من جنّد ليردنا مائة عام الى الوراء : فيتساءل - توانيا وكسلا وكعاعة ولكاعة : (اتصلح العربية لتدريس العلوم ؟

هذا عن الامر الاول امر المصطلحات ، فلنتابع الحديث بإيجاز عن بقية الامور الخمسة :

---

10) مجلة المجمع العلمي العربي 239/1 سنة 1921 .

2 ـ الامر الثاني : الكتب المدرسية :

صدرت الاوامر الى المعلمين في المدارس الابتدائية والثانوية بترجمة الكتب المدرسية من التركية الى العربية بالسرعة القصوى ، ثم ينظر في لغة كل كتاب مترجم او مؤلف احد اعضاء المجمع او احد المختصين باللغة العربية ، فيصلح لغتها ، ويشارك صاحب الاختصاص في ترجمة المصطلحات ، وكنت ترى على غلاف كل كتاب ، تحت اسم المؤلف والمترجم هذه الجملة : (نظر في اسلوب انشائه فلان عضو المجمع العلمي العربي) ، واذكر ان كل الكتب التي درست فيها بالمدرسة الاولية تحمل هذه الجملة . ولا يحتاج اثر هذه الخطة في سرعة قلب الاوضاع الى بيان . ثم كثر في المعلمين ارباب السلائق السليمة في اللغة ، فخف العبء عن اعضاء المجمع . وظاهر ان ميدان المدارس اوسع مجالا من ادارات الحكومة ، اذ بعد خمس سنين من الحكم العربي صار اكثر طبقة الموظفين ممن يحسنون لغتهم انشاء وقراءة وذوقا .

3 ـ الامر الثالث المحاضرات :

نشط الاعضاء الى تثقيف الشعب عامة : الطلاب والاميين ، والعلماء والعامة ، فكانت محاضراتهم في ميادين الادب واللغة ، والاجتماع والاخلاق ، والصحة والعلوم والدين .. تعرض ميسرة المعلومات واضحة البيان ، بحيث يفيد منها العالم والعامي كل بحسب استعداده ، وقلّ ان خرج العامي بغير فائدة .

ومما يسرّ الامر على عامة الناس ان دار المجمع في المدرسة العادلية هي في لب البلدة القديمة ، ليس بينها وبين الجامع الاموي الكبير الا خطوات .

كان اثر المحاضرات هذه غير ضئيل في تأليف الاذان على الانس بالفحصى ، والنطق السليم ، وزيادة في التشويق ، كان المجمع يضمن الاعلان عن المحاضرات في الصحف : ان قصيدة للشاعر فلان ستلقى عقب المحاضرة ، واغلب هذه القصائد وطنية تندد بالظلم وتغرى بمقاومته ، فيقبل الناس لينفثوا عن صدورهم

غيظها وضيقها بالمحتلين وليؤمنوا ان القمع مهما يشتد لا يكتم الافواه الحرة ، الذكية . فكانت تغص قاعة المحاضرات عقب صلاة العصر ، كل يوم جمعة ، بالمستمعين ولا سيما في الشتاء . ولقد احصيت في حياة هذا المجمع البالغة خمس عشرة سنة (1919 ـ 1934) (256) مئتين وستا وخمسين محاضرة عامة .

4 ـ الامر الرابع : تصحيح الاخطاء الشائعة :

وهو ما كان ينشره المجمع في الصحف اليومية بعنوان (عثرات الاقلام) . وهي سلسلة مقالات بلغت الثلاثين يعاد نشرها في المجلة بعد ان تنشرها الصحف ، وقد بينوا خطتهم في المقالة الاولى بقولهم :

« رأى المجمع ان ينشر في مجلته ، وفي الصحف المحلية ـ من وقت الى اخر ـ نبذة لا تتجاوز العمودين في نقد ما تهفو به اقلام بعض الكتاب فيما يكتبونه ويحبرونه . وسنجتهد في الاقتصار على ما نظنه خطأ من القول ، مما لا يحتاج الامر فيه الى الرد والمناقشة ... وندع التصريح باسم الكاتب الذي نؤاخذه والصحيفة التي كتب فيها ، فعسى ان يقع عملنا هذا من اهل الفضل موقع الرضا والقبول فيتدبروا ملاحظاتنا هذه ، ويراعوا العمل بها كلما سنحت في كتاباتهم ، او دارت على اسلات اقلامهم » (11) .

« فمن عثرات الاقلام قولهم : (عدم اعتياد الموظفين على كذا) صوابه (عدم اعتيادهم كذا) ... وقولهم : (اجمعت الصحف على حياد انكلترا ، وعدم مداخلتها مع اليونان) واذا لم يكن بد من استعمال (مداخلة) فالافصح ان يقال : (وعدم مداخلتها اليونان) ... وقولهم : (وصل البلد عصاري يوم الجمعة) صوابه (عصر يوم الجمعة) لان (عصاري) ليست في كتب اللغة ... وقولهم : استفسروا من بعضهم بعضا) وقولهم : (ينظرون الى بعضهم البعض) صوابه استفسر بعضهم بعضا) و (ينظر بعضهم الى بعض) (قالوا) وهو غلط فاحش فلينبه اليه . وقولهم (فلان كفوء لوظيفة كذا) و (فلان من الاكفاء

---

11) مجلة المجمع العلمي 173/1 فما بعد .

لكذا) وصوابه (فلان كفي .. وهو من الاكفياء) اي ذو كفاية ومقدرة على العمل ، اما (الكفوء) بالهمزة فهو بمعنى المثل واستعماله بمعنى (الكفي) بالياء خطا ينبغي التفطن له ... وقولهم (جاء القوم بما فيهم العلماء) صوابه ان يقال : (جاؤوا وفيهم العلماء) .. الخ (12) .

ولم يكتفوا بالنشر ، بل كانوا يتابعون اثار تصحيحاتهم ، فحين يرون الخطأ يتكرر ينبهون اصحاب الصحف تنبيه المسيطر المؤاخذ ، فقد جاء في مجلتهم : (اننا عجبنا لاغلاط ننبه اليها ، ونشير الى الصواب او الاصوب ، ثم نراها احيانا في الصحف ، بل اعجب من ذلك ان نرى الاغلاط تعاد وتكرر في الصحيفة التي تنشر (العشرات) ، فنرجو حضرات مصححي الصحف ان يلاحظوا ذلك ، والا لم يكن لنشر (العشرات) في صحفهم معنى ولا قيمة ، وصح ان يخاطبوا بقول الشاعر :

يا ايها الرجل المعلم غيره ... البيتين (13) .

كانت استجابة الناس لهذه التصحيحات استجابة عمل بها في الجملة ، وقد عاد هذا الاصلاح المتسلسل على كتاب الصحف ، والقراء ، والطلاب ، بكل خير في تقويم اساليبهم .

5 ـ الشروع في بعض اعمال معجمية :

اما هذا الامر الخامس فيختلف ، اذ ان الامور الاربعة السابقة كانت ميادينها عامة للجماهير ، اما هذا فميدانه علمي خاص ، عنيت بذلك الالفاظ التي يجمعها المختصون في اختصاصاتهم ، ليكون لهم منها شبه المعجمات الفنية الخاصة ، فبعض اعضاء المجمع اساتيذ في مواد يدرسونها في كلية الطب ، وقد ذيل اكثر هؤلاء كتبهم العلمية ـ وهي في اللغة العربية طبعا ـ ذيلوها بمعجم ملحق في المصطلحات التي وضعوها ازاء المصطلحات الفرنسية ، وذلك اعلق بموضوع الجامعة لا المجمع .

---

12) الحاشية السابقة .

13) مجلة المجمع العلمي 88/2 .

اما شبه المعجمات التي قام بها اعضاء المجمع من غير الاطباء « فبحوث[14] جزئية في اللغة . قدموها للخاصة من المتعلمين ، يحتاج اليها ذووا الاختصاص الضيق ، ولا يستغني عنها غيرهم من المثقفين يسهر اصحابها ليالي طوالا يسردون المعجمات المختلفة مستخرجين منها ما تمس الضرورة حديثا الى استعماله ، وقد احيوا بعملهم هذا مئات من الكلمات كانت غريبة او ميتة ، فسالت على السنة المتعلمين ، وطردت مرادفاتها الاعجميات . واليكم عمل استاذين من الاعضاء :

الاول الامير مصطفى الشهابي رحمه الله ، فقد بدأ سنة 1922 في نشر بحوث متسلسلة عنوانها (الفاظ عربية لمعان زراعية) في تسع حلقات اخرها نشر سنة 1930 (15) وللامير جولات كثيرة في مثل هذا الميدان : فنجد له بحثا في (الفاظ التصنيف في الفقاريات) (16) كما نجد له سلسلة في (اسماء نباتات مشهورة) (17) ولا يكاد .

ومع هذا فاليكم ملحق لجراحة فتق نادرة قام بها احد اساتذة المعهد الطبي بدمشق . وهو جراح فرنسي مشهور وترجمه زميله د . مرشد خاطر الاستاذ في المعهد احد اعضاء المجمع .

فتق مغبني عرطل (géant)
للحكيم (لويس كل) استاذ السريريات الخارجية
ترجمة الدكتور مرشد خاطر

تسمحون لي ، بعد ان ذكرت بعض المجلات الجراحية فتوقا

---

14) من حاضر اللغة العربية ص 104 .
15) مجلة المجمع العلمي العربي 558/5 - 776/10
16) مجلة المجمع العلمي العربي 399/20 ، 466
17) مجلة المجمع العلمي العربي 492/18 .
★ العرطل : الضخم والفاحش الطول وهو ترجمه géant
النص في كتابي (من حاضر اللغة العربية) ص 154 نقلا عن مجلة المعهد الطبي العربي بدمشق .
النص في ص . ص 118 من حاضر اللغة العربية .

مخمة ورسمت رسومها ، ان اقدم لمجلتكم رسمين يمثلان مريضا عمره (31) سنة ، ومهنته لحاد ، كان مصابا بفتق مغبني ايسر ، غير قابل الرد ، فاجريت عمليته في حزيران المنصرم (سنة 1925) ، وقد رغبت في نشر هذه الحادثة ، لان هذا الفتق غريب بحجمه ومحتوياته وطريقة اجرائه .

اما حجمه فهو ضخم جدا ولم اصادف له شبيها ، مع انني مارست الجراحة منذ مدة طويلة ، فهو خليق بان يدعى (عرطلا géant) لانه لا يقل حجما عن الفتوق التي سميت بهذا الاسم ونشرتها المجلات الجراحية ، ولعله يفوقها حجما وهذه مقاييسه :

ـ طوله من العانة حتى قطب الفتق السفلي	45سانتيمترا
ـ محيطه عند جذره	35 سانتيمترا
ـ محيطه في اغلظ مكان منه	65 سانتيمترا

ويخيل للناظر اليه .. انه « ورم فيلي » فهو يتجاوز الركبة في حالة الوقوف ، واما حين استلقاء المريض على ظهره ، فانه ينبسط على فخذي المريض ويقصر سانتيميترين ، الا انه يزداد حينئذ عرضه بقدر ما ينقص طوله . وكانت تبدو على الصفن اوردة متوسعة توسعا كبيرا . اما محتوياته فكانت : القسم الاكبر من المعى الدقيقة والاعور الذي كان كثيفا متوسعا ، يصحبه الذيل الدودى وقسم كبير من القولون .

اما العملية الجراحية فقد تم اجراؤها كما يلي :

بعد ان خدر المريض تخديرا قطنيا بحقن اربعة سانتيمترات (ساتوفايين) جعل في وضعة مائلة ، وشق الجلد شقا لا يختلف عن الشق العادي الا بكونه اطول منه : وذلك من مقتضيات الحالة الحاضرة . وبعد ان فتح الكيس الفتقي ، وفكت بعض الالتصاقات بدات باعادة المعى الدقيقة الى الجوف البطني من وراء القولون . وقد اضطررت الى قطع المنحرفة الصغيرة ، لكي اتمكن من اعادة الاعور والقولون ، اللذين كانا متوسعين وكثيفين ، لان ردهما كان الزمن الاشد صعوبة من أزمنة العملية ، ولم اتعرض للذيل الدودي مع انه كان كثيفا بعض الكثافة اسوة بالاعور ،

وبعد ان تم الرد ظهر المعى كانه جوف كبير قد فقد مرانته ، ولم يكن بد من قطع قسم كبير منه ، وكان قطعه شاقا متعبا . وكان الكيس الفتقي ملتصقا به اشد الالتصاق والخصية اليسرى الضامرة مدفونة في جداره ، فلم اتعرض لتفريقه وانما اكتفيت بتفريق جذره وربطه وسد الفوهة البطنية ، ثم قطعت القسم الكبير من المعى ووجدت صعوبة كبيرة في قطع النزف الذي كان غزيرا .

اما الايام التي تلت العملية فقد كانت شديدة ، لان المريض اصيب بعد (48) ساعة بذات الرئة اليمنى ، ولان الجرح تمزقت قطبه فابتعدت شفتاه احداهما عن الاخرى ، ولان جذمور الكيس الفتقي الذي كان قد ربط كفم الكيس اصيب بالموات ، غير ان هذه الاعراض الموضعية تحسنت جميعها بعد اجراء حقن (سيانور الزئبق) ، وكان يجب ان يحقن بها المريض قبل العملية لو كان انتبه الى الندبة القديمة التي كانت موجودة على ظهر قضيبه . ومهما يكن - فقد شفي المريض شفاء تاما ، وعاد الى مهنته بعد مرور شهرين . وقد رأيته ثانية منذ بضعة ايام ، فرأيت جدار قناته المغبنية متوسعا بعض التوسع ، كما يبين الرسم الثاني غير انه لا يحتاج الى عملية ثانية .

وبهذه المناسبة اوجه انظار الزملاء الكرام الى توسع اوردة الصفن التي كان مصابا بها هذا المريض ، والتي اضطرتني الى صرف وقت طويل اثناء العملية توصلا الى قطع النزف ، فقد روى لي زميل حادثة مريض كان مصابا بفتق عرطل ، فعالجه احد الدجالين بالكي السطحي . ويظهر ان الكي اصاب وريدا فبزله ، وكانت النتيجة ان نزف دم المريض فمات .

مجلة المعهد الطبي العربي بدمشق

ص 512 ـ 516 من جزء تشرين الثاني سنة 1925 م

ألفاظ عربية لمعان زراعية

سعيد الأفغاني

وهذا مطلع اولى المقالات نشر اخر عام 1925 في المجلد 558/5 :

رغب الي بعض خريجي المدارس الزراعية ان استخرج لهم من المعاجم العربية او من كتب السلف الفنية الفاظا زراعية صحيحة يمكن الرجوع اليها ، اما في ترجمة الفاظ اعجمية ، واما في الدلالة على معان لكلمات زراعية ، فنزلت عند رغبتهم ، واستخلصت الى اليوم بضع مئات من كلمات لا تخرج في معناها عن اغراض الفنون الزراعية ، وعقدت النية ـ متى تمت ـ على صوغها رسالة مرتبة على حروف المعجم :

اذا طال الزرع واستاسد من فرط العناصر الغذائية في التراب ـ لا سيما (النيتروجين) منها يقول فلاحو بلادنا : انه (هاف) ويقول الفرنسيون (il a versé) ، واستعمل المصريون كلمة (ترقيد) لمصدر هذا الفعل ... والصحيح هو ان نستعمل كلمة (قصف الزرع قصفا) ، اذ جاء في كتب اللغة ان معناه (طال حتى انحنى من طوله) . ودواء الزرع الذي يستاسد اي يطول على هذا الشكل قطع رؤوسه ، وهو بالفرنسية (Essimage) وبالعربية : شريف الزرع وشريفه) اي قطع شرنافه وهو ورقه اذا طال وصار مضرا به .

ويطلق بساتنة الغوطتين كلمة (عدان) على حظ بقولهم او اشجارهم من الشرب ، وهو بالعربية (السقي ، والقلد) يقال : (كم سقي ارضك ؟ وهل استوفت ارضك قلدها من الماء ؟) ، و (القلد) مصدر (تقالدوا الماء) اي تناوبوه ، يقال (كم قلد شجركم ؟) فيقال : (يشرب في كل عشر مرة) .

وهذه اخر فقرة من المقالة التاسعة المنشورة في المجلد 766/10 الصادر في كانون الاول سنة 1920 :

« وفي شمالي الشام صنف من الضأن يسمونه (العوسي والعواسي) وهو اكثر الاصناف انتشارا . ويظهر انه قديم ، فقد ورد في الامهات ان (العوسي) ضرب من الغنم وانها الكباش البيض ، وان الكبش العوسي منسوب اليها .

واشهر عروق الضأن في العالم النصف المسمى (Nérinos) وشهرته منبعثة من جودة صوفه وغزارته ، وهو يغطي حتى جبين النعجة وخديها ، ويبلغ راس منخرها احيانا . والصوفة مرنة جدا وربما دقت فلم يرد ثخنها على 10 من المليمتر .

والذي يهمنا ذكره ، مما يكاد يكون مجهولا لا يعرفه الا نفر قليلون من علماء الدواجن ان هذا العرق من الضأن ينسب الى بني مرين ، المغاربة المشهورين . ذلك انه عرق المغرب الاصلي ، جوده العرب بعد نقله الى الاندلس، منذ سطعت انوار مدنيتهم فيها. واستعملوا صوفه في صناعة المنسوجات الصوفية الدقيقة التي استفاضت شهرتها في انحاء اوروبة ، وافريقيا والشرق العربي ، ثم احتفظ به الاسبانيون بعد العرب ، فسموه (مرينوس) نسبة الى بني مرين . وهو اليوم اكثر عروق الضأن انتشارا ، ولا تكاد دولة من الدول المهمة تخلو منه وهو يعد بالملايين في كل م[illegible] ، ومن صوفه تصنع نسج الجوخ الدقيقة الحوك » ، ولا يخلو مجلد من مجلدات مجلة المجمع من تتبعاته، وتحقيقاته على مدى سنين طويلة ، ارفد فيها اللغة الزراعية بثمرات ، جهده حتى استوى له فيما بعد معجمه الثمين (معجم الالفاظ الزراعية بالعربية والفرنسية) ، فاسدى الى امته ، والى علوم الزراعة ، اجل الخدمات . ولو كان لنا في كل

ميدان من ميادين العلوم والفنون والصناعات مثل الامير ، لكان بناء نهضتنا اللغوية العلمية يناطح السحاب منذ امد طويل .

والاستاذ الثاني محمد سليم الجندي ـ رحمه الله ـ فقد جمع كل ما يخص « الكرمة » من مصطلحات منذ تكون بذرة الى تساقط اوراقها ، وما يخصها من عناية زراعية ، وما يعتريها من احوال وازمان مع ذكر اسماء مواضعها .. الخ ونشر ما جمعه من دواوين اللغة ، وكتب التراث متسلسلا في مجلة المجمع بعنوان (رسالة الكرم) (1) ، فما يخطر بالبال مسمى لبعض ذلك الا كان مشروحا في بابه .

رسالة الكرم

وقد مهد الاستاذ سليم الجندي لرسالته بسبب تأليفها وخطته في جمعها ، قال :

« سألني بعض الادباء في دمشق عما يرادف كلمة (يبرق) (2) التركية ، من العربي الفصيح ، وكنت لا اعرف لها مرادفا ، فرغبت اليه ان يمهلني في الجواب . ثم طفقت اتصفح كتاب القاموس المحيط للفيروز بادى حتى ظفرت بضالتي التي انشدها ، واعلمت السائل بها .

وقد عثرت خلال البحث عنها على كلمات فصيحة تتعلق بالكرم ، يتداول الناس غيرها من عامي ودخيل ، فارتاحت نفسي الى متابعة البحث والاستقراء وتدوين ما يقع الي في هذا النوعِ في رسالة مستقلة تقرب على الباحث كل قصيّ ، وتذلل كل ابيّ .. فاطلعت على نسخه من (البلغة في شذور اللغة) وفيها كتاب « النخل والكرم » والمنسوب للاصمعي فالفيتها غزيرة المادة لكنها مشتتة المباحث ، خالية من الترتيب الذي يقرب الوقوف على

---

1) 9 : 280 ـ 762/10 .
2) من اطعمة الشام والاناضول ، وهو ورق العنب يلف على حشو من الارز واللحم المفروم الدفيق .

مسائلها .. فعارضتها بما جمعته ، واصطفيت منها ما لم اعثر عليه من قبل ثم استصفيت ما في « المخصص » لابن سيده ، واضفت ذلك كله الى الرسالة . حتى اشتملت على كثير من المباحث الطريفة والاسماء النادرة ، وافردت لكل نوع من اجزاء الكرم مبحثا مستقلا اتيت فيه ما وقع لي من الاقسام ، والاسماء ،والاوصاف التي تتعلق به وتلائمه ... الخ (3) .

وله ايضا (رسالة الطرق) (4) جمع فيها الالفاظ المتعلقة بالطرق وانواعها ، وتمهيدها واحوالها ، فاحيا عشرات الالفاظ المحتاج اليها اليوم ، ورتبها على حروف المعجم فجاءت معجما وافيا فيما يتعلق بالطرق .

ويلحق بعمل هذين الاستاذين ما صنفه الاستاذ عزالدين التنوخي ـ رحمه الله ـ بناء على طلب قدم اليه ، حين حصر كل اجزاء الالة الكاتبة ، فصورها ورقم اجزاءها ، ودرس عملها ، ثم وضع لها المصطلحات المقابلة لمصطلحاتها الفرنسية الرائجة ، ونشرها في المجلة ، ثم طبعت في كراسة تخاطفها طلاب مدرسة التجارة ومعلمو الالة الكاتبة ، والضاربون عليها . وفعل مثل ذلك بالدارجة (البسطليت) (5) وراجت اكثر هذه المصطلحات ، وخطته في ذلك سليمة المنهج .

وحسبنا اعمال الشهابي ، والجندي ، والتنوخي ، نماذج جيدة لما صدر عن المجمع في هذا الباب .

اما بعد ، فهذه جهود المجمع الاول المباركة البناءة في عمره الذي لم يجاوز خمس عشرة سنة ، وهذا ما قدم افاضله لامتهم . ولقد مضى على الغائه 44 سنة خطا الزمان فيها خطى فساحا ، ومضى بالعربية قدما الى الامام . فما صنعه من بعده الحاذقون من اساتذة الطب والعلوم في الشام ـ وهم كثر ـ ادق واغزر ، والزمن بنا ماض لا

---

3) 9/280 ـ 10/762 .
4) 88/411 ـ 20/331 .
5) 13/363 .

يتوقف : كثر عندنا المختصون في علوم وفنون ، ولم يعد اكثرهم بحاجة الى استنجاد بمن يصنع له مصطلحا ، او ينظر له في اسلوب انشائه ، الا استشارات بين الحين والحين لمن عرف بالقوة والذوق وسعة الافق في العربية خاصة والثقافة عامة، يعرض عليه عمله ليفيد من نظره وملاحظاته ، والاساتذة ـ من المختصين ـ ماضون في سد حاجة طلابهم من التأليف ، ووضع المصطلحات التي تستعمل ، وتعيش من ساعة طرحها ، فيتلقفها الطلاب متابعين مع مدريسهم سير العلم .

فان سألتهم مالذين أسعفهم بحاجاتهم ؟ اجبتكم بما اعرف عن بعضهم : أنهم حازوا ثلاث خصال :

1 ـ قوة وتمكنا في اختصاصهم ، ومتابعة له وشغفا به حتى العشق .

2 ـ ادامة النظر في مؤلفات الاسلاف في فنونهم نفسها ، فجنوا ربحا مزدوجا : عثورهم غالبا على مصطلحات موائمة لما يبتغون ، واطلاعهم على صفحات من تاريخ العلم الذي اختصوا به .

3 ـ أنسهم الشديد بصحبة المعجمات التي حفظت لنا عبقرية لغتنا ، وأمتنا يستنطقونها بصبر وأناة ومنهجية .

موضع الكرم

الفردوس : الموضع تكون فيه الكروم ، مذكر وقد يؤنث ، قال في اللسان : (العرب تسمى الموضع الذي فيه الكرم فردوسا ، واهل الشام يقولون الكروم والبساتين : الفراديس . ويقال مفردس اي معرّس .

الجنة : الحديقة ذات الشجر والنخل ... قال ابو علي في التذكرة : (لا تكون الجنة في كلام العرب الا وفيها نخل وعنب فان لم يكن ذلك وكانت ذات شجر ، فحديقة وليست بجنة .. الخ)
مجلة المجمع 466/10

الوشيع والخطيرة

الوشيع : حظيرة الشجر حول الكرم والبستان ، الجمع :

وشائع .. يقال وشعوا على كرمهم توشيعا : حظروا عليها بالشجر ، ووشع كرمه : جعل له وشيعا ، وهو ان يبني جداره بقصب ، او سعف يشبك الجدار به وهو التوشيع ...

الحفر والركايا

الشربة بالتحريك : كالحويض يحفر حول الشجرة ويملأ ماء ... فتتروى منه ... وشرّب الارض النخل جعل له شربات .

الفقر : ركايا محفورة بعضها الى جنب بعض . وينفذ بعضها الى بعض واحدها فقير الخ ..

مجلة المجمع 468/20 .

وقل فيهم من لم يسرد « القاموس المحيط » باجزائه الاربعة من الغلاف الى الغلاف ، بل منهم من طالع « مخصص » ابن سيده باناة ومصابرة للزمن مهما يطل ، يجدون في ذلك لذتهم . ان ظفرهم من المعجمات بما يبتغون انساهم تعبهم وسهرهم في الغوص والبحث ، جنوا الى جانب ذلك من الفوائد ما لم يكونوا يحتسبون ، حتى لكان (اناتول فرنسي) اياهم وصف في مقال له عن معجمات اللغة وبلسان حالهم قال :

« اني احب معجمات اللغة ، فانا لا أحبها بمجرد فائدتها الغظيمة ، ولكني احبها لانها تحتوي على شيء فخم ، النظر الى معجم (غازية) او الى غيره من المعجمات ، وتصور إنك ترى روح وطننا كله في هذا المعجم ، ليتصور ذهنك ان في هذه الصفحات التي يبلغ عددها الف صفحة او (1300)صفحة : عبقرية فرنسا وطبيعتها . ليتصور ذهنك ان فيها افكارنا وافكار اجدادنا ، وافراحنا وافراحهم ، والامنا والامهم ، ليخطر بالك ان في هذا المعجم اثار الحياة العامة ، واثار الدور والمنازل اثار الذين استنشقوا الهواء الصالح ، وشموا النسيم العليل الذي نشمه اليوم ، ليخطر ببالك ان كل كلمة من كلمات المعجم يقابلها فكر من الافكار كان فكر طائفة من البشر لا يعلم عددهم ، وكل عاطفة من العواطف كانت عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم ، ليهجس في صدرك ان كل

هذه الكلمات المجموعة انما هي لحم الوطن والبشر ، ودمهما ، وروحهما » (6) .

ايها الاخوة الكرام ! هذا هو الطريق

دمشق ـ سعيد الافغاني

---

6) من محاضرة (في الادب) القاها علينا الاستاذ شفيق جبرى في كلية الاداب قبل خمسين سنة ونشرها المجمع العلمي في مجلة 371/10 .

الازدواجية والثنائية وأثرهما في الواقع اللغوي

عبد السلام المسدي

لئن اكتسب موضوع اللغة في العصر الحديث أهمية لم يعرفها من قبل حتى أصبح علم اللسان فلسفة العلوم الانسانية الحديثة فإن موضوع اللغة أشد خطرا في البلاد التي عرفت الاستعمار السياسي حقبة من الزمن ، فاضطرت إلى بعث مقوماتها التاريخية والفكريّة ، بغية استعادة ذاتية متكاملة ، وخطر الموضوع عند العرب أعظم ، لما للغة عندهم من شأن جليل : لسانا ، ودينا ، وتراثا .

ويتجلى مدى خطر مشكل اللغة في أنه يثار على صعيدين : صعيد الساسة ، وصعيد الريادة الفكرية ، فإذا جمع بعضهم بين الانتماء السياسي في السلطة ، والانتماء الفكري الى النخبة المبتكرة ، صرّح بأن « حياة اللغة العربية وحياة المغرب الكبير ، وحياة افريقيا ، جوانب حقيقية واحدة هي النضال من أجل الحياة الحية « وهي » مظاهر لحقيقة واحدة هي معركة الوجود الاكمل

ويعدّ الثلث الأوّل من القرن العشرين عهد انبعاث قوميّ في مختلف بلدان الامّة العربية ، ولقد نتج عن هذا الانبعاث وعي بوضع اللغة العربية بالنسبة إلى غيرها من اللغات ، خاصة لغات الامم الغربية ، فأثار المفكرون قضية اللغة العربية ، وعكف المعنيون بأمرها على دراسة مشاكلها ، وغايتهم في ذلك رفعة لغتهم

إلى المكانة اللائقة برباط العروبة المتين ، فبدت بذلك مظاهر الازمة الغوية في المجتمع العربي الحديث عموما .

لقد قوي الوعي اللغوي عند العرب في العصر الحديث الى حدّ الشعور بأن اللغة العربية تجتاز أزمة حادة ، وقد أجمع كتاب الشرق إبان الثلث الأوّل من هذا القرن على ان اللغة العربية فقدت ما كان لها من قوّة بين لغات الامم فيما مضى ، إلا أن لاستفحال الازمة اللغوية بتقدم الزمن دوافع أوّلها : أن العرب فطنوا إلى ان لغتهم اليوم في مفترق من الحضارات ، تتجاذبها مقتضيات عديدة ، وهي عاجزة عن استيعابها تلقائيا لاسباب متنوّعة ، منها : التقدم التقني وما استوجبه من تدقيق المفردات ، ومنها افتقار اللغة العربية إلى مصطلحات مضبوطة ، ومنها تعلق العرب بسلامة اللغة الفصحى تعلقا شديدا .

ولكن أهم عامل داخلي يتمثل في بعد اللغة عن الاستعمال الحي ولظاهرة الثنائية هذه نتائج مباشرة على تعدد مستويات اللغة في المجموعة الالسنية العربية ولا سيما إذا تفاعلت معها ظاهرة الازدواجية .

غير ان النهضة الحديثة ، وما تلاها من وعي ثقافي عام ، واتصال دائم بالغرب ، قد زادت هذه الظواهر تشعبا بما خلقته من مستويات لغوية متعدّدة ، في صلب اللسان العربي نفسه ، تنافسها في أغلب الاحيان لغة أجنبية ، إن هي أفادتها بما تقدّمه من تطعيم يستجيب لمقتضيات العصر الحديث فكثيرا ما يتشعب بوجودها مشكل اللغة عموما .

وإذا بحثنا في تعدد المستويات اللغوية في صلب اللغة العربية نفسها وجدنا مستويين رئيسيين : مستوى كتابيا ، ومستوى لسانيا ، والأوّل مستوى العربية الفصحية ، والثاني مستوى العربية الدارجة ، ويطلق عليها احيانا اللغة العامية او لغة التخاطب . وتتفرع كلتا اللغتين الى مستويين اخرين : فتشمل العربية الفصيحة مستوى الفصحى القديمة ، ومستوى الفصحى المعاصرة ، بينما تشمل العامية اللهجة المهذبة ، واللهجة الساذجة .

فالفصحي القديمة وتسمّى العربية الكلاسيكية ، وتعرف بأنها اللغة البليغة المنزهة عن اللحن ، أمّا وظيفتها الاجتماعية النفسية فتتمثل في انها : الباب الذي تنفذ منه التربية الاصيلة في الدين والثقافة ، فهي باب العربي المسلم إلى القران والحديث والشعر والادب .

وأمّا الفصحى المعاصرة فهي لغة المدارس ، والكتب التعليمية ، والصحافة السيارة ، والاجهزة الاعلامية ، وخاصيتها أنّها تقوم على ما حدث من تفاعل بين الفصحى القديمة وعناصر أجنبية عنها تفاعلت معها بموجب احتكاكها بطبقة لغوية سفلى ، وطبقة لغوية عليا ، ولهجة دارجة معايشة لها منذ القديم ، وميزتها أن لها قابلية في التعبير عن الفكرة الحديثة تلقائيا .

وأما اللهج المهذبة فهي دارجة المثقفين ، وتقوم على نسبة كبيرة من العربية المبسطة ، وتستعمل عادة في المحادثات الرسمية ، وفي خطب الساسة والادارة ، وكذلك عند نخبة المثقفين ، وهي تجمع بين ما سهل من الفصحى وبين معطيات مختلف اللهجات الدارجة صوتيا وصرفيا ونحويا .

ثم لدينا أخيرا اللهجة الساذجة ، وهي دارجة عامة الناس ، تفرعت عن العربية الفصحى ، وباينتها ، فاختلفت حسب الاوطان العربية اختلافا جوهريا حتى أصبحت لغات متميزة لا رابط لها سوى انتمائها تاريخيا إلى أصل واحد . أما قيمتها الاجتماعية فهي مركز التعامل اليومي ، في شؤون الحياة وسط المجتمع .

ويوزع علماء الاجتماع هذه المستويات حسب رموز الانتماء في المجتمع على النحو التالي :

الفصحى القديمة لغة « الابوّة »
والفصحى المعاصرة لغة « المعلّم »
والدارجة المهذبة لغة « السياسة »
والدارجة الساذجة لغة « الامومة »

وإذا التمسنا وصف الواقع اللغوي وصفا شاملا ، وجب أن نشير

إلى أن كل هذه المستويات - في البلاد التونسي خاصة - تتعايش مع اللغة الاجنبية تعَايُش المزاحمة ، إلى حدّ الصراع ، طالما اطّرد لدى كثير من الناس أن اللغة الاجنبية هي التي يعبّر بها عن التراكيب الفكرية والتجريبية ، وبالتالي هي مترجم الحضارة العصرية .

ونتيجة لما أسلفناه فإن الفرد منا تتجاذبه واجهات لغوية متعددة ، لان مستويات التعبير ، وإن تعايشت فهي في حالة اصطراح باطني مما يجعل الفرد في حالة تمزق لغويّ يضعف الطاقة التعبيرية عنده ، رغم ما يقدمه له من خصب وثراء .

على أنّ لظاهرة تعدد المستويات اللغوية هذه نتائج نوعية تتلخص في أربع :

أ - ضعف الرابطة اللغوية بين أفراد البلاد العربية وهي نتيجة لانقسام اللغة إلى مستوى مكتوب ، واخر منطوق بالممارسة ، وتفرع كل منها إلى فروع ولهجات ، واللهجات كثيرا ما تكون عائقا دون الفهم بين أبناء القطر الواحد ، فضلا عن أبناء الاقطار المختلفة ، فلم يعد للاقطار العربية لسان واحد ، وإنما اختلف اللسان بينهم باختلاف أوطانهم .

ب - ضعف الانتاج الثقافي ، وهي ظاهرة تعزى إلى أن وسيلة الابلاغ تشغل الفكر أكثر مما تشغله مادة التفكير ، فيقصّر عن الخلق والانتاج .

ج - انعدام وسيلة لغوية موحّدة تمكن الانسان من التعبير عن ارائه ، وغاياته ، شفاهيا وكتابيا ، ببعد واحد ، فعملية الافصاح تتقاسمها السبل المتراكمة والمتعاظلة .

د - الشعور بالغربة الناتجة عن تعدد الواجهات اللغوية : فالانسان الواعي يشعر - وهو في حماية بيئته - أنه غريب ، بين لغة رسمية ، ولغة تعاملية ، ولغة غازية يؤكد أنصارها أن العجز والقصور في اللغة لا في الفهم .

فالرابط الجدلي بين اللغة والواقعِ مفصوم في واقعها ، نتيجة هذه

الاوضاع اللغوية قبل كل شيء ، أضف إلى ذلك المشاكل النفسية ، وما تولده من مركبات إزاء اللغة .

فمنها مركب النقص ، ويبرز في ظاهرة فقدان الثقة بمستقبل اللغة العربية ، والياس من سيطرتها على زمام العلم والمعرفة ، وسببه التاريخي انتشار لغة المستعمر في حقول معينة ، بحيث توهم الناس ان اللغة العربية لا طاقة لها بمنافسة اللغة الاجنبية في تلك الحقول ، وإنما تبقى - حسبهم - لغة دين وتاريخ وأدب على أقصى الاحتمالات .

ومن تلك المضاعفات النفسية مركّب الانسلاخ والتنكر ، ويتجلى في مظاهر عديدة أخطرها : حبّ التظاهر والمباهاة بكل ما هو أجنبي في اللغة ، فيصبح التعامل باللغة الاجنبية - مشافهة أو كتابة - سمة من سمات الحداثة ، والرقي في السلوك ، ومن مظاهره إكبار الاجنبي في منتوجه الفكري عبر قداسة اللغة . وهذا المظهر يتجاوز السلوك ، فيصبح نمطا من العقيدة ، ويؤدي الى تفضيل اللغة الاجنبية على العربية إطلاقا في كل منتوج فكري .

ومن بين المركبات النفسية ما تستفزه تلك الاوضاع من ردود فعل ، تتجلى أحيانا في مركب التعصب للعربية ، والانتصار لها بموقف معياري ينقض كل قيم اللغات الاخرى ، ودوافع هذا الموقف كثيرا ما تكون عقائدية صراعية .

هكذا تتجاوز نتائج المشاكل النفسية حدود اللغة ، باعتبارها أداة إفصاح ، إلى جوهر الثقافة العربية ، بما تبحثه من شعور بأن قصور اللغة يؤدي إلى قصور الثقافة ، وبالتالي تنحسر دائرة الاشعاع العربي ، بمجرد مقارنتها بطاقة الثقافة الاجنبية .

هذا الوضع اللغوي لا شك يخلق إحساسا بالقطيعة مع التاريخ ، بين الماضي والصيرورة الراهنة ، وهي قطيعة مريبة ، لانها لا تفضي إلى رفض الماضي نهائيا ، ولا تسمح بالانصهار التام فيه ، وانما هو تأزم وصراع بين المنزلتين .

على أنّ المسؤولية التاريخية - لئن لم تُلق في شأن ظاهرة الثنائية

على أحد إذ هي إفراز حضاري زمني - فإنها ، في ما يخص الازدواجية ، ملقاة على عاتق المسؤولين على قيادة الشعوب ، ولا سيما بعدِ الاستقلال السياسي ، وقد أدّى إبقاء النظام السياسي على مبدإ الازدواج اللغوي ، في التعليم ، والادارة ، والمؤسسات ، إلى ظواهر ذات ابعاد اجتماعية ونفسية وتربوية بعيدة الخطر .

فأمّا الابعاد الاجتماعية الحضارية فتتصل اتصالا مباشرا بمفهوم الذاتية العربية ، ذلك أن الازدواجية خطر يهدّد كيانِ الفرد في المجتمع ، لان اللغة الاجنبية في مزاحمتها اللغة الام تُطفىء شعور الفرد بذاتيته المتأصّلة ، ومعلوم أن للغة القومية وزنا انطولوجيا ليس لباقي اللغات في كيان الانسان ، إذ عليها يتوقف اللباب النابض الذي يفجر من أغواره كنوز النفس .

ولا شك أن الابقاء على الازدواجية مُؤداه القضاء على شخصية الفرد في هذا المجتمع العربي - أصالة وانتماء ، ونتيجته أن يأتي الزمن على حقيقته الحضارية ، ويعظم خطر اللغة الاجنبية على ذاتية الفرد كلما سمح لها باقتحام ميدان الاستعمال اليومي ، والغزو النفسي الذي تحققه بيننا اللغة الاجنبية يساهم - على التدريج - في محو الاصالةِ ، والاقرار بالتبعية ، وانفصام الذات .

ولا ننس أن اللغة الاجنبية - مهما تضلع بها الفرد والجماعات - عاجزةِ عن النفاد الى أعماق الشعور الوجداني ، لذلك فهي لباس خارجي يرتدى اصطناعا حينا ، واعتباطا حينا اخر ، ثم لا يلبث أن يلابس صاحبه حتى يحل محل الجلدة الحساسة في جسم الانسان ، فلا هو يتلاءم مع الاعضاء ، ولا هو يترك اللسان الام يؤدّي وظيفته في حمل الشعور ، والحس ، وجلاء العفوية الطافرة .

فخطر الازدواجيةِ على اللغة بيّن ، لان تعايش اللغة الاجنبية ، واللغة القومية ، أنما يقوم على الصراع الدموي الصامت . فالازدواجية شلّ لطاقةِ الفرد في المجتمع ، وبالتالي ، فهي شلّ للمجتمَع عامّة ، والابقاء عليها هو تكريس للقطيعة الفكرية القائمة بين الابنية العلوية في المجتمع وأبنيته القاعدية .

إن الازدواجية جدار من المحظورات أمام تطلع الشعب في وعيه وصفاء شعوره ، هي جواز للنخبة الفكرية ، والقيادة السياسية ، والجمهور المثقف من الابناء والشباب لكي يدخلوا به حياض المحظور ، وحوزة المجهول : المحظور أمام القاعدة الشعبية غير العارفة باللغة الاجنبية ، أو غير المتعلمة إطلاقا ، فالازدواجية تأشيرة لاقامة حوار بين القيادة الفكرية والقيادة السياسية وطبقة المثقفين ، في لغة لا يفهمها بقية افراد الامة .

إن الناشيء التونسي يواجه عقبات تربوية عديدة تعزى إلى أنه ينتقل بين مستويات لغوية ثلاثة : هي اللغة الدارجة ، واللغة الفصحى ، ثم اللغة الاجنبية ، وهكذا ينضاف خطر الازدواجية الى خطر الثنائية ، فيعجز الناشيء بذلك عن حذق اللغة العربية ، وهو من أكثر المشاكل خطرا على مصير العربية ، فنحن نكلف أبناءنا مشقة كبيرة في استيعاب لغة ثانية استيعابا كاملا لا بد منه للتمكن منها ، زيادة على التعب الذي يلاقونه في تعلم لغتهم القومية لبعدها عن لغة التخاطب اليومي في المنزل والشارع .

غير أن أزمة الشعور بالغربة مع اللغة الاجنبية ، تمس مجموعة أخرى من افراد الشعب بشكل رهيب ! وهي طبقة المثقفين ثقافة مركزة على درب المدارس ، والشهادات ، والتكوين الشخصي ، ولكنهم من « ذوي اللسان الواحد » ، معنى ذلك أنهم لا يعرفون غير لغتهم العربية ، ولا تقدر مأساتهم إلّا بقدر شناعة هذا اللفظ المبتكر Unilingue ، وكأن الكائن السويّ في الوجود هو الذي برز ، من بين أعضائه لسانان !

في ظل واقع الازدواجية يعيش ذلك الصنف من أبناء الامة التونسية الأغتراب الى حدّ الاغتيال الفكري في عقر داره ، فيعيش على هامش الواقع : مع الادارة ، والبنك ، والصكوك ، والعقود ، ثم مع التلفزة بعيد العشاء .

إن تواصل حيرة التونسيين الواعين من أجل مصير لغتهم وتضاعفها ظاهرة تعزى إلى أن الاستقلال السياسي ، لم يكن فيصلا في القضية الجوهرية بالنسبة إلى الذاتية العربية ، والحيرة اليوم

تتحوّل إلى قلق حضاري متكاثف يقوم مقام الشهادة التاريخية المرّة ، وما لم يكن للساسة موقف صريح ، فعلي ، جازم ، فإن كثرة الحديث عن مشكل اللغة بيننا سيظل هو نفسه عاهة تتآكل بها يقظة الوعي حتى تتكلس عنه أصحابها .

دَوْر الأسْلوبيّة التطبيقيّة في وصْف نِظام اللّغة

الأستاذ محمد الهادي الطرابلسي

ان وصف نظام اللغة أول واجب على دارسها أداؤه . ومن باب أولى وأحرى أن يكون أول واجب على الداعي الى تنميتها أو تطويرها ، ، والا فكيف تتسنى تنمية ما لم تدرك خصائصه ، أو تطوير ما لم تدرك أطواره ؟

وبالحديث عن وصف نظام اللغة ، رمنا المساهمة في الكلام على أسس تنمية اللغة وتطويرها .

لكن الرأي السائد اليوم ، هو أن اللغة العربية وصفت بما فيه الكفاية ، وحظي نظامها بنصيب من الاستقرار ليس في حاجة إلى زيادة ، وأن الذي تم لها في ذلك منذ ثلاثة عشر قرنا ، بفضل كتاب سيبويه ـ على الاقل في أبواب الاصوات والصرف والنحو ـ شفى الغليل ، وما زال يشفي .

الا أن وصف العربية ـ في رأينا ـ بقي منقوصا . فهو مجرد من بعدين : بعد منهجي ، يتجاوز التنظير الى التطبيق ، ويزيد الى العناية بالمجمع من مظاهر اللغة ، العناية بما فتىء يتجمع ، وبعد مبدئي ، يحول النظر الى اللغة من الوجهة التوقيفية ، الى الوجهة الاصطلاحية ، أو من وجهة التولد الاصطناعي ، الى وجهة التولد الذاتي .

والالسنية الحديثة ، تتطلع اليوم الى سد هذه الثغرة ، بمختلف ما تفرع عنها من طوم . و قد برهن الاستناد اليها في لغات أخرى ، على واقعية ، وسجل تقدما .

ولسنا بمركزي الحديث ، في هذا المقام ، على دور الالسنية الحديثة في وصف نظام اللغة الا في اخر علم تفرع عنها ، وهو علم الاسلوب ، أو الاسلوبية . ذلك أن الاسلوبية ، اذا لم تعدم الانصار ، ولم يخف دورها في وصف ما تجاوز اللغة في الكلام ، فإنه قد يعسر الاقتناع بدورها أيضا في وصف نظام اللغة ذاتها . فما هو دور الاسلوبية التطبيقية في وصف نظام اللغة ؟

عندما نتحدث عن نظام اللغة ، نعني الجهاز الكلي المجرد الذي ينتظم قواعدها المختلفة ، الجارية في أبوابها المتنوعة . فلسنا بالنظام نعني المادة اللغوية وحدها ، يعني بطرق جمعها وتبويبها ، وبضبط وسائل تنميتها . ولسنا بالقواعد نعني مجرد النزعات الصوتية ، أو مجرد الاحكام الصرفية والنحوية فيها .

انما المقصود بنظام اللغة الاطار الذهني الشامل ، الذي لا يقتصر على إحكام المادة اللغوية ، والمقصود بقواعدها الاحكام العامة التي لا تخص أبواب الاصوات والصرف والنحو ، دون باب المادة اللغوية .

وإننا لنستطيع أن نستخرج للغة نظاما كليا مجردا ، من خلال ما سطر علماء اللغة في مختلف أبوابها ، حتى ما سطروه في باب البلاغة ، ينتظم القواعد التي استنبطوها من سماع قديم ، أو قياس قويم ، ونضبط له حدودا ، نتوهم أنها تفسر ما طرأ على اللغة من تغيير ، وقادرة على تفسير ما قد يطرأ . وهذا ما وقع فعلا في نطاق العربية . لكن الاكتفاء بهذه المصادر ، واعتبارها أصول اللغة العلمية أبدا ـ بينما هي لا تتعدى أن تكون أصولها التاريخية ـ لا يوقعنا على جهاز كلي يصف اللغة في تطورها ، ولا يمكننا من نظام شامل يترصد خطواتها في تحركها . ان هذه النظرة وهذا المنهج ، لا يقدمان لنا الا صورة عامة عن وضعية اللغة في عصر من العصور ، لا نشك في صحتها وصلاحيتها ، ولكن نشك في كمالها .

فاذا أخذنا الحركة المعجمية ، في تاريخ العربية مثلا ، لاحظنا أنها لم تخرج عن اتجاهين اثنين : فكانت اما نازعة الى جمع اللغة ، بدعوى المحافظة على مادتها ، والخوف عليها من الفساد والتلاشي ، وصبها في معاجم تمثل نقطة وصول ، وفي هذا المضمار تحفز ابن منظور الى جمع لسان العرب ، واما نازعة الى تصفية اللغة ، بدعوى توحيد الجهود المختلفة العاملة على احيائها وجعل العربية مواكبة للعصر ، بغية أن يمثل المعجم المفقود منطلق العرب في تعاملهم وعملهم ، وفي هذا الاطار تندرج اتجاهات الحركة المعجمية التي نشاهد اليوم .

والحركة المعجمية التي عرف العرب قديما وحديثا ، لم يكن لها بد من أحد الاتجاهين المذكورين ، لسبب منهجي : ذلك أنها تعتمد اللغة في شكلها الموجود المتجمد عادة ، ولسبب مبدئي : يتمثل في ايمان الدارسين عادة بأنها عملية قابلة لتفض بصفة نهائية مطمئنة . فلم تنطلق - رغم ثقل التاريخ - من نظرة تاريخية ، بل لم تنطلق - وهي عملية لغوية - من نظرة لغوية . فلم تثمر الثمرة المرجوة لذلك .

ليس معنى ذلك أنه ينبغي أن يقل حظنا من الاعتماد على قديم القواعد وغابر المقررات . ان هذه - في الحقيقة - لم تكن في الاصل الا معتبرة الى حد ما جانب التطور في اللغة ، هو التطور الحاصل ، الذي تم في فترة معينة ، لا تقل عادة عن قرن ونصف قبل الاسلام ، ولا تزيد عن قرن ونصف بعده . لكننا نعتمدها على أنها تصور طورا ما من أطوار العربية ، يكمل دراستنا لاطوار أخرى ، لا على أنها هي وحدها الاسس العامة التي يرجع اليها والمراة المثلى لخصائص نظام العربية .

ان الذي يفتقر اليه وصف نظام العربية اليوم ، هو الدراسة التطبيقية ، والمقصود بالتطبيقية ، الدراسة التي تنبع من النصوص ، أي من المصادر التي تعيش فيها اللغة وتتكيف مختلفة باختلاف المنشئين وأنواع الانشاء ، وباختلاف الزمان والمكان . ان التطبيق اختبار يعتمد الاجراءات المحسوسة .

والدراسة التطبيقية لا تكون صادقة ولا شاملة ولا مواكبة لتطور

اللغة ، الا اذا كان أساسها الوصف العلمي المجرد ، وقام الوصف على التوسع والتجديد ، لا هو بالعمل - الاستقطابي ينتهي الى الانغلاق والتجميد ، ولا هو بالعمل الاشعاعي يفضي إلى التشعب والتشويش .

وفي عبارة الاسلوبية التطبيقية ، إشارة إلى علم ومنهج . وقد اتضحت - فيما سبق - من حيث هي منهج ، ويعسر توضيحها في عجالة من حيث هي علم . ونكتفي بالاشارة ها هنا إلى أن الاسلوبية علم ألسني ، وأنه اخر ما تفرع من علوم اللسان ، وأنه قام على أنقاض علم البلاغة الكلاسيكي ، وقد بانت ثمرته مبكرا وأصبح يعتد به في مجالات علم اللغة ، ويعول . على أنه لم تستقر أصوله بعد . وهذا من عجائب العلم . ولكنها الحقيقة . أما موضوعه فهو اللغة في جانبها المتحول .

فالهدف القريب الظاهر من الاسلوبية التطبيقية هو دراسة الجانب المتحول دون الجانب الثابت من اللغة ، بل بصرف النظر عن مظهر الثبات فيها وبدون الرجوع إليه ، من حيث أنها تعنى بمظاهر التصرف في استخدام اللغة التي تميز بها منشيء ما ، في عصر من العصور اذا كانت انية ، والتي تميز بها طور ما من أطوار اللغة ، اذا كانت زمانية .

والثابت في اللغة هو كل مظهر من مظاهرها شاع في الاستعمال وتواتر ولم يَمَل عنه المنشؤون ولا خطأه القراء ، ولم يداخله تغيير ولا تحريف ، منذ استعماله الاول الى وضع اللغة الراهن ، فأصبح من مظاهر اللغة المميزة ، ومن بناة قواعدها الثابة ، ومن علامات نظامها المحكم .

وأما المتحول فيها ، فمختلف المستويات ، متعدد الوجوه ، يستقطبه نوعان على الاقل : المتحول المشترك ، ويضم الاستعمالات التي شاعت في كلام منشيء من المنشئين ، أو في كلام عدد من المنشئين ، في عصر من العصور ، أو في نوع خاص من أنواع الانشاء ، وحصلت لها نسبة معتبرة من التواتر ، مما قربها من مأخذ القراء ، فجعلهم لا يفكرون حتى في شرعية دخولها في اللغة ،

أو عدم شرعيتها . والمتحول الخاص ، وهي الاستعمالات التي تظهر هنا وهناك في ما يكتب الكتاب وينظم الشعراء ولا يكون لها حظ من الشيوع والتواتر ، عند غير صاحبها ، بل لا يكون لها حظ من التواتر معتبر حتى عند صاحبها ، فالمتحول الخاص لا يبرح باب الخطأ واللحن، حتى يعممه معمم أو يندثر .

وحصيلة الدراسة التي لا ترى للاسلوبية التطبيقية الا ذاك الهدف القريب ، لا تعدو أن تكون كاريكاتورا للغة المدروسة .

لكن للاسلوبية هدفا أسمى ، يضم الى هذا المقصد القريب ، مقصدا اخر جليلا ، يتمثل أولا في تلمس خصائص تصرف المنشئين في اللغة من خلال قواعدها ونظامها ، ويتمثل ثانيا في مزيد ضبط قواعد اللغة ونظامها النظري وتعهده بالتعديل ، مواكبة للتطور في اجراءاتها وتطبيقاتها .

ذلك أن الاساليب المتنوعة المتجددة عند دارس الاسلوب ، هي وحدها المخابر الكفيلة بمعالجة اللغة ، وحقنها بما يضمن لها النمو المستمر .

وسلامة اللغة عنده وحياتها الحق هي في أن تدخل من حين الى حين مخابر الاساليب لتغذيها وتتغذى بها .

ان الاسلوبية التطبيقية تستمد قوتها من كونها تنطلق مما ليس ثابتا في اللغة ، بمراعاة الثابت في اللغة ، لغاية الرجوع الى الثابت في اللغة ، وبيان حده ، وبالرجوع - في نفس الوقت - الى المتحول وبيان مداه .

فلئن لم يكن وصف ثابت اللغة من أهداف الاسلوبية في منطلقاتها المنهجية ، فهو من مولدات ، نتائجها العلمية . فإن الاسلوبية - بالعمل على ادراك أهداف أخرى - تفيده ، فهي تصفه بطريقة غير مباشرة ، وذلك ليس بالانطلاق مما هو وإنما بالانطلاق مما ليس هو .

وعمل الاسلوبية التطبيقية على وصف نظام اللغة ، ليس كافيا وحده ، ولكن لا غنى عنه فهو يكمل العمل على وصف هذا النظام

المستخلص من كتب نظريات اللغة وقواعدها المعروفة ، بل أنه يصف ثابت اللغة من الزاوية التي لا يتطرق اليها وصف المنظرين ولا المقعدين عادة .

والاسلوبية التطبيقية التي لا تصف - في الظاهر - نظام اللغة الا بالسلب ، انما تصفه في نظرنا بأبلغ الايجاب وأخفاه . ذلك أنها في اعتنائها بما ليس من ثابت القواعد ، تعتني بمظهرين من اللغة في نفس الوقت : مظهر سلبي حقا ، وهو ما لم يكن من استعمالاتها ، وما لا يؤمل أن يصبح من استعمالاتها . ولهذا ومثله يفتح باب الخطأ واللحن ، وليس عليه المعول في نمو اللغة . ومظهر ايجابي تماما ويتفرع الى ما كان من ثابتها ونزع في الاستعمال الى التحول عنها ، أو ما هو متحول ونزع في الاستعمال الى الثبات فيها ، بمقتضى الشيوع والتواتر . على هذه الظواهر الوسطى التعويل في وصف اللغة في حياتها ، وترصدها في ما كانت عليه ، وآلت اليه ، وما ستكون عليه في المستقبل ، مما يوضح سبيل تنميتها وتطويرها .

ان هذه الظواهر الوسطى نزعات لغوية تمثل المعين المثالي الذي يتغذى منه نظام اللغة ويعكس مدى حيوية اللغة . واستقصاء هذه النزعات تكملة لوصف نظام اللغة لا بد منها .

ومن خصائص الاسلوبية التطبيقية أنها لا تجعل الاولوية في الدرس لاي مظهر من مظاهر اللغة على الاخر . فليست هي دراسة عمودية فحسب ، وانما هي دراسة أفقية تتكون من حلقات عمودية ، تنتظم كل مظاهر اللغة البارزة ، وتستوي بينها في حظ العناية . انها تعنى باللغة من حيث موادها وأنواعها ، مبانيها ومعانيها ، كما تعني بتراكيبها ووظائفها كما تعنى بعلاقات عناصرها البعض بالبعض ، ومنازل بعضها من منازل البعض . والذي يؤهلها الى ذلك أنها تنطلق من النصوص ، وهذه تتعايش فيها مختلف عناصر اللغة بدون استثناء . إن الاسلوبية التطبيقية - بذلك - تتجنب التفاوت الذي قد يحدث في حظ العناية بين مستويات اللغة المختلفة .

ان صورة وصف نظام اللغة الوصف الصحيح - فيما نرى - هي

تلك التي تعالج تعيش في النصوص وتجري على الاساليب ، والتي تعالج الاساليب التي توفر في اجراءاتها بعض الانتظام والتقعيد . هي تلك التي تشخص اللغة متفاعلة مع الاسلوب ، متحاورة معه . فإنه اذا تم التفاعل بين القضيتين المتلازمتين ، وقام الحوار ، نمت اللغة وتطورت الاساليب . واذاك يأتي الدارس ليضبط خصائص الاساليب ، وفي نفس الوقت ليحكم نظام اللغة بمقتضى ما داخلها من نمو .

فما اللغة الا الاسلوب يقعده الشيوع والتواتر ، وما الاسلوب الا اللغة في طور اجراءاتها الفطرية الاولى .

نقول ان اللغة هي الاسلوب يقعده الشيوع والتواتر ، ونعني بذلك مستوى من النضج يغلب على بعض اجراءات الكلام ، يتمثل في عدم رفض نظام اللغة لقوالب هذه الاجراءات الذهنية وفي عدم عزوف مستعملي اللغة عن أمثال هذه الاجراءات في مدى من الكلام معين ، أو مدى من الزمان مضبوط ونقول ان الاسلوب هو اللغة في فطرتها الاولى ، ونعني بذلك وضعية الكلام لا يدخلها الاستحكام ولكنه قابل ليدخلها .

من هذا الموقف يتضح أن لا سبيل الى تعيين الحد بين اللغة والاسلوب ، ليس في مستوى اجراء الكلام فحسب ، بل في مستوى دراسة الكلام أيضا ، كما يتضح أن لا سبيل إلى إقامة قاعدة متحجرة في المنطلق لقياس الاساليب ودراستها . فالتطور الذي أكدناه في حياة اللغة والذي لا يحتاج إلى تأكيد في اجراء الاساليب ، ينسحب أيضا على قاعدة القياس الوهمية .

قد يشكل عدم الانطلاق من قاعدة بينة المعالم لدراسة الاساليب مطعنا في منهجها التطبيقي ، لكنه مطعن سرعان ما يزول ، لان التقدم في التطبيق يمكّن شيئا فشيئا من تبين خصائص القاعدة في تطورها . فالاسلوبية التطبيقية لا تنطلق من قاعدة متحجرة ، ولا تؤول الى التقعيد المتحجر ، ولكنها تستند الى قاعدة متطورة تساهم هي نفسها في بلورتها بأكبر قسط .

وقد تُرمَى الدراسة الاسلوبية بقصور الرؤيا ، ويؤاخذ دارس الاسلوب في العربية ـ مثلا ـ على تقيده بالنصوص العربية وحدها مما ليس من شانه ان يطلعه على ما قد يحون العربي هي حاجة الى استعماله ولم تستخدمه النصوص العربية ، ولا أن يطلعه على ما استخدم في لغات أخرى من أساليب قد يحتاج اليها العربي ، فيتولد عن ذلك اخلال بمبدأ تنمية اللغة بما يجعلها تواكب العصر .

وعندنا أن ليس في اعتماد هذا المنهج قصور ، ولا نرى خطرا في أن يهمل واصف اللغة ما قد يكون العربي في حاجة إلى الالمام به من استعمالات تجري في لغات أخرى دون لغته ما لم تصحبه حاجة ملحة اليه . فاذا ألحت الحاجة ، تولد دافع الابتكار . وفي هذا المجال لا بد من نصيب من الحرية في الابتكار حتى تأتي الثمرة المبتكرة مثرية للغة بدون منازع في نصوص لغته ينازعها . كما لا نرى خطرا في أن يهمل واصف اللغة ما قد يكون حدث في لغات أخرى ، ولم يحدث في العربية ، ولم تظهر حاجة العربية إليه ، وان تكهنا بامكانية حصولها .

ليست حياة اللغة ولا مواكبتها العصر في أن تكون نسخة مطابقة لاصول لغة أخرى أو لغات أخرى لا تختلف معها الا في الاشكال .

على أنه من باب الفائدة يكمّل العمل التطبيقي في نطاق العربية مثلا ، بالعمل على تعمير المحلات الشاغرة : محلات الاستعمالات الشاغرة في أوضاع اللغة العربية في ذاتها انطلاقا من حاجة التعبير ، ومحلات الاستعمالات الشاغرة في العربية بالنسبة الى استعمالات غيرها من لغات .

وقد يحترز من الاسلوبية التطبيقية لانها لا تعمل على الحفاظ على مكاسب اللغة ، عند من يرى أن كل ما ثبت في اللغة يوما أصبح من مكاسبها التي لا تفريط فيها . والجواب أن نعم ، ان الاسلوبية تنمي اللغة بالكسب وأيضا بالتضييع ، وجوهر عملها هو التعديل ، أي أنها قد تؤدي الى استثناء مجموعة من قواعد اللغة بمقتضى انعدام اثارها في النصوص ، فتقضي عليها ، وقد تحصر

مجموعة أخرى لم تثبتها القواعد ، فتجعل لها في النظام مكانا بمقتضى حضورها في النصوص .

والارهاصات التي تنتاب اللغة في تاريخها الطويل ، لا يخشى أن تمسخها في أمد بعيد . كل ما في الامر أنها تغيرها ، وقد تصل بها الى مستوى تكون فيه مخالفة كثيرا لما كانت عليه في القرون الاولى ، وما في ذلك خطر . بل بالعكس ، ان ايماننا بأن اللغة مؤسسة اجتماعية ينبغي أن يكون مقرونا بإيماننا بتغيرها . اننا - هكذا - لا نفهم المحافظة على مكاسب اللغة الا بتنظيم ما يطرأ عليها من ارهاصات حتمية .

وقد لا يعتد بالاسلوبية التطبيقية في وصف نظام اللغة لما قد يلاحظ من تطابق بين كثير من نتائجها وبين نتائج الوصف اللغوي النظري ، بينما هي بهذا الاتفاق تبعث الاطمئنان الى القواعد وبذلك تقوي الايمان بصلاحيتها . أما اذا اختلفت النتائج ، فانها تنبه الى وجوه التحول ، وتعلن وجوه الحذر . ان أبسط دور تلعبه الاسلوبية التطبيقية هو دور الميزان يتثبت به من مدى صحة القواعد وحدودها .

ولعل أجل أدوار المنهج الذي ندعو إليه ، والعلم الذي نعمل فيه ، أنه يضبط في اللغة نسبة شيوع الظاهرة اللغوية وتواترها . فنلمس إلى أي حد كان للظاهرة حظ من الاستعمال في مختلف المقامات ، وعند مختلف المنشئين ، وفي مختلف العصور ، فنتبين حقيقة انصهار صورتها المجردة في نظام اللغة أو عدمه ، وإنسجامها معه أو عدم انصهارها . ونتبين درجة تردد الظاهرة في الاطار الواحد وأشكال ترددها ، وصور تعايشها في النصوص .

وقد يبدو هذا اللقاح الذي ندعو الى التعجيل به لتنشيط العربية ، محدود الاثر ، ضيق الافق ، لا يتجاوز مجال البحث العلمي ، من قبل أن البحث العلمي ان كان يفي بوصف نظام اللغة فانه لا يستأثر وحده بكل الطاقات المنتظرة لتنميتها وتطويرها . وما الدراسة الاسلوبية الا وجه من وجوه البحث العلمي .

هذا صحيح . وإلى محدودية البحث العلمي ذهبنا - في غير هذا

لتنشيط البحث العلمي وقلنا (ان الدراسات العديدة حول اللاتينية مثلا لم تنته الى تطوير اللاتينية في حد ذاتها بقدر ما انتهت الى وصف نظامها ، وكشف خفاياها) .

نعم ، ان وصف نظام اللغة شيء وتنميتها أو تطويرها شيء اخر . لكنهما عملان يلتقيان على أثمر ما تكون اللقيا في باب الاسلوبية التطبيقية لان الوصف العلمي فيها يرتكز على الاجراء العملي أولا . فلا العلم يثبت بغير التعامل ، ولا التعامل ينمو بغير العلم .

الاستاذ محمد الهادي الطرابلسي

الرّصيد اللّغوي العَربي والتدريس العَصْري

أحمد العايد

ان الدول العربية تواجه اليوم مشكلة هامة ألا وهي : مشكلة ضبط سياسة لغوية أصيلة متفتحة ، تمكن من التطور الثقافي والاجتماعي والاقتصادي ، وتحقق الذات العربية الاسلامية ضمن عالم دائما متجدد .

أولا : الرصيد اللغوي الوظيفي في مستوى المغرب العربي :

من بين الدول العربية نذكر بالخصوص اقطار المغرب العربي ، التي لئن مرت في هذا الميدان بسبل التفكير والانعزال أو التردد والترقب ، فانها اليوم تبدو ساعية لاتخاذ سياسة لغوية مصممة المراحل ، منظمة الاهداف ، تعمم بها استعمال اللغة القومية العربية في ديارها ، هذا بالاضافة الى تعديلات تدريجية ضرورية في تعليم اللغات الاجنبية من فرنسية إلى انكليزية ، الى اسبانية إلى ايطالية ، والمانية وروسية ... باعتبارها اساسية للتفتح الحركي على عالم اليوم .

لهذا وجد اللغويون المغاربة انفسهم في هذا الظرف التاريخي الحاسم امام ميادين لغوية من الواجب البحث فيها :

ـ وصف شامل للواقع اللغوي ، وتحليل علمي للغات المتعايشة

في البلاد ، ودراستها من زوايا المعجمية وعلوم الاصوات والصرف والنحو .

- المشاركة في التعريب .

- المشاركة مع زملائهم المربين في تأليف الكتب المدرسية ذات الطابع القومي المتعصر .

- ضبط رصيد لغوي - في مستوى التعليم الابتدائي ، يؤهل الطفل الى ما يحتاج إليه من معلومات اساسية بدونها لا تأصل ولا تعصر ، وانجز فعلا هذا الرصيد في مستواه الاول كما يلي :

عملا بقرار وزراء التربية والتعليم بالمغرب العربي - المغرب والجزائر وتونس وليبيا - المنعقدة بتونس من 14 الى 20 فيفري 1967 انطلق العمل اعتباطيا - اول الامر - ثم اتجه اتجاها علميا عمليا وفي تؤدة حسب مرحلتين :

1) **المرحلة الاولى** : (يناير 1969 أكتوبر 1971) مرحلة تجريد المكتوب والمقول : في إجتماع الهيئة الاستشارية للتربية والتعليم بالجزائر (يناير 1969) تقرر تجريد المكتوب والمقول حسب تحديد زمني دقيق .

أ - تجريد المكتوب : قدم مندوبو اقطار المغرب العربي ، في اجتماع الندوة الثالثة لوزراء التربية والتعليم بالرباط (يونيو 1969) ما جرد من كتب مدرسية (1) في قائمة الفبائية ، وتواترية ، ومحورية :

ان هذا العمل التمهيدي بين محتوى ما يدرس في المغرب العربي وهو بين الافراط والتفريط : من جهة غنى مفرط (لمفهوم واحد الفاظ عدة : مثلا لمفهوم الحصان نجد مفردات عديدة حصان -

---

1) يحسن ان نلاحظ ان قسم الالسنية التابع لمركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية أنتج سنة 1968 عملا أجراه اربعة من اعضائه : الاساتذة عبد القادر المهيري ، واحمد العايد ، وعبد المجيد عطية ، وصالح القرمادي : دراسة لغوية لمحتوى كتابي القراءة العربية الاوليين المستعملين بتونس (انظر كراريس السيراس السلسلة اللغوية عدد أكتوبر 1968 (بالفرنسية) .

فرس ـ جواد ـ خيل ـ خيول) ومن جهة أخرى فراغات لا تغتفر لا يوجد مفهوم الصاروخ .

ب ـ تجريد المقول : ضبطت في ملتقى تونس المنهجية فيما يخص المقول المغربي والوقوف على مفاهيم الغير اعني : الاطفال الغربيين من نفس العمر ، وانحصر العمل منذ خريف 1969 في الخلايا اللغوية الثلاث التالية ـ ليبيا اعتزلت عنا مع الاسف منذ خريف 1969 ـ : معهد الدراسات والابحاث للتعريب بالرباط . ومعهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر ، وقسم اللسانيات بتونس ، فسجلت هذه الخلايا الثلاث كلام الصبي (قبل الدراسة او في الروضة ، وفي السنتين الاوليين من التعليم الابتدائي كما يلي :

ـ اخترنا تقسيم الاطفال على مستويات ثلاثة : ما قبل الدراسة (4 ـ 6 سنوات) والدراسة المستوى الاول (6 ـ 9 سنوات) والدراسة المستوى الثاني (9 ـ 12 سنوات) وكانت اغراض الحديث مختلفة في كل واحد من هذه المستويات بحسب العمر والبيئة الجغرافية ، والثقافية ، والاقتصادية ، وشملت الاطفال ما بين 4 و 9 سنوات .

اما وقد تم اختيار العينة ، فانه وجب الشروع في التسجيلات التي تدوم حوالي ساعة من الحديث مع كل طفل ـ سواء في منزله او في المدرسة ، فيتعود الطفل على وجود الة التسجيل ثم يتدرج الى الحديث عن مشاغله ، ورأينا لذلك ثلاثة أنواع للتسجيل :

1) تسجيلات غير موجهة تهدف الى ترك الصبي يتكلم بحرية ، وفي حالة وجود المسجل مجموعة من الصبيان يستدرجهم الى ان يتناقشوا ، فيسجل عنهم عفويا كلامهم ، فيساعده ذلك أكثر إلى معرفة مشاغلهم ، وتوجد طريقة أخرى في هذا الباب وهي تقديم صور غامضة للصبي يحاول أن ينسج عليها قصة . فهي نوع من الروائز الاسقاطية يستغلها المسجل لتغيير الاحوال التي يريد الطفل ان يتكلم فيها .

2) تسجيلات شبيهة بالتوجيهية تكون على مراحل :

○ وصف اشياء عامة ، او الحديث في اغراض مقترحة ، الاسرة ـ

المدرسة ـ المسكن ـ الطبيعة ـ الحيوانات ـ الالعاب ـ النقل ـ الاسفار الخ .

○ سرد احاديث بالانطلاق من صور واضحة تمثل مشاهد من الحياة اليومية (صور صيد بحري وبري ، وصور اشهارية ، وصور للحوادث اليومية الخ .....) والغرض من هذه الصور : استدراج الطفل إلى استكمال مجموعة من النعوت الخاصة ، ويطلب منه أيضا ان يغير الصور ، وان يقارن بينها ، وان يحكم فيمكن المسجل ذلك من الحصول على مجموعة من المفردات الدالة على غير الملموس ، وعلى مفردات حسية (خاصة بالنسبة إلى الاطفال بين 9 و 12 سنة) .

ـ ولمعرفة الرصيد الموجود عند الطفل فاننا ندعوه إلى سرد 10 او 20 مفردة تتبادر الى ذهنه عند ذكر حادثة (حوادث الطرقات ـ اختراعات ـ انتصارات الخ .....) او عند سماعه عبارات مثل شارع ومسرح ومحطة الخ ...

3) تسجيلات موجهة تحتوي على :

○ اجابات في اسئلة يطرحها المسجل .

○ تعيين اشياء مختلفة على الصبي ان يسميها ، وللوصول الى هذا الغرض فانه تستعمل غالبا صور لاشياء لا تقع تحت نظر الصبي .

ثم بعد التسجيل بعثت تلك النصوص المرسومة بالحروف اللاتينية ، المفصولة فصلا يمكن منها ضبط المفردة المعجمية ، والمفردة الاداة ، إلى معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر لتعالجها الالة الرتابة (الالة الحاسبة الالكترونية)

ثم احصت الالة رغم جدة العمل :

1) الالفاظ المغربية المقولة المشتركة في قائمتين الفبائية وتواترية وهي 6777 مفردة على مدونة CORPUS بها 110.538 مفردة .

2) **المرحلة الثانية** : (اكتوبر 1971 جوان 1974) مرحلة

ضبط فيها الرصيد العربي بالاعتماد على المقول ومفاهيم الغير . والمكتوب حسب الاختيارات العلمية التالية : التواتر والتوزع الجغرافي ، والكمون والتدخل ، واعتبار الاستمرار المكاني والزماني .

أ ـ استغلال المقول ، تفصيحه ، حسب مبداي التواتر (FREQUENCE) (FREQUENCY) والتوزع الجغرافي (RANGE : REPARTITION GEOGRAPHIQUE) ضبطت الفاظ اتفق عليها حسب التواتر ـ والتواتر يفيد القطع (ادناه عشرة) والتوزع في الاقطار الثلاثة .

ضبطت الفاظ اتفق عليها حسب التواتر (ادناه عشرة) والتوزع في قطرين على الاقل . ضبطت الفاظ اتفق عليها ، حسب التواتر (ما دون العشرة) وبدون اعتبار التوزع .

هذه الالفاظ المدروسة :

ـ ان كانت فصيحة سجلت كما هي : بْغ ـ بَغى ، بَاسْ ـ صَرُوخ ـ مْنِينْ ـ مِنْ أَيْنَ (ظرف مكان)
ـ ان كانت دارجة فصحت مثل : بَاشْ ـ لِـ ، مْنِينْ ـ عِنْدَمَا (ظرف زمان) أَلَ ـ الذي وَلَ ـ صار .
ـ ان كانت دخيلة : ترجم المفهوم مثلا : كُرْدَ Corde حبيلة
ـ استغلت اللفظة الحية المستعملة في احد الاقطار لاداء المفهوم مثلا فُلَرْ ـ بخنق Foulard
ـ وضعت للمفهوم الجديد لفظة عربية مشتقة مثلا : مَيُو Maillot معامة
ـ عربت اللفظة الدخيلة والحقت مثل : شْلاط : Salade ـ سلاطة بَرْيُوش Brioche بريوش

اخذت كما هي : مثلا دُومِينُو

هكذا نلاحظ ان مبدا اخر ـ وجه اعمالنا ، بالاضافة الى مبداي التواتر ، والتوزع ، الا وهو الاستمرار في الزمان وفي المكان (Continuity in space and time (Continuité dans l'espace et dans le

temps) اذ رصيدنا رصيد عربي لا مغربي لا يقطع عالم اليوم عن عالم أمس ، وكيف لا ولنا في تراثنا واحيائه الكنوز التي تجعلنا نهتدي إلى المفردة باعتبار المفهوم المعاصر مثلا شروب .

ب) سد فراغات المكتوب والمقول حسب مبداي الكمون : (Availability, availables words) (Disponibilité) والتدخل : (Intervention) اضيفت الفاظ كامنة (Disponibles) تلك التي كان من المتوقع من الطفل ان يلتفظ بها ولم يفعل حتى يكون التوازن الحي بين الروح والمادة مثلا : الحلال - الحرام الخ ..... كذلك ضبطت قائمة مفاهيم حضارية عصرية ، يعيشها الطفل الغربي ندّ الطفل المغربي .

ثم كانت مجموعة ثانية اشتملت على الفاظ وضعت عملا :

باحياء اللفظة العربية المناسبة ان وجدت : مثلا : شروب : Sirop (Syrup) بتضمين اللفظة العربية القديمة مفهوما جديدا مثل : خف : pantoufles (Sliper) بوضع لفظة - ان لم توجد تؤدي نفس المفهوم وذلك :

○ بمراعاة قياس العربية وباعتبار الصيغة الصرفية القابلة للتصرف قدر الامكان مثلا من قطار وضعت مقطورة wagon de train (Railway carriage)

○ بمبدا حذف الكلمات الهجينة المدلول في قطر من الاقطار

○ بمبدا عدم الالتباس بلفظة اخرى (لمدلول واحد دال واحد ، او لمفهوم واحد لفظة واحدة) لكن احيانا احتجنا الى مفردتين : احداهما من لغة الصبي العاطفية مثلا : باس يبوس بوسة وقبّل يقبّل .

كذلك اضطررنا الى الاخذ بمفردة في قطر ضد مفردة في قطرين ان كانت ادق مثلا ادخار (Epargne - Saving) (تونس) عوض توفير (الجزائر والمغرب) .

هكذا انجز الرصيد العربي في المستوى الاول من التعليم الابتدائي حسب مرحلتين واضحتين :

ـ ضبط المكتوب والمقول من يناير 1969 الى اكتوبر 1971 شارك فيها باحثو الخلايا اللغوية الثلاث .

ـ ضبط الرصيد بالاعتماد على المقول ، والمكتوب (محتوى الكتب المدرسية المستعملة اليوم في المغرب العربي) ومفاهيم الغير (الاطفال الاجانب من نفس العمر) بما في ذلك من تفصيح ، وتعريب من اكتوبر 1971 الى جوان 1974 شارك فيها الاستاذ احمد الاخضر غزال بالرباط ، والاستاذ عبد الرحمان الحاج صالح بالجزائر ، وأحمد العايد بتونس ، وقدمت اللجنة الدائمة للرصيد اللغوي الرصيد اللغوي الوظيفي رسميا الى الندوة الرابعة لوزراء التربية والتعليم بالمغرب العربي (تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا) (فيفري 1975 بتونس) فوافقوا عليه .

ـ هكذا انجز الرصيد العربي في قائمات اربع .

1) قائمة الفبائية عربية فرنسية

2) قائمة الفاظ فرنسية عربية

(هاتان القائمتان انجزتا وطبعتا)

3) قائمة الفاظ انكليزية عربية ، وعربية انكليزية ، وقائمة الفاظ عربية فرنسية انكليزية هي بصدد الاعداد .

4) واخيرا قائمة حسب مجالات المفاهيم .

هكذا كان هذا الرصيد وبه نعني « مجموعة مفردات عربية تؤدي مفاهيم الطفل المغربي العربي في سن معينة . تلك المفاهيم التي وردت على لسانه ، وتلك التي اضيفت اعتبارا لحاجته ، وهي مجموعة تمثل ما قد يحسن على التلميذ ان يلم به في السنوات الثلاث الاولى من التعليم الابتدائي » (انظر مقدمة الرصيد الذي سحب في كل من الاقطار الثلاثة : تونس ، والجزائر ، والمغرب اعتمادا على نسخ فلمية ، من مصنف الرصيد ، اعدت بالمغرب مطبوعة بالطريقة المعيارية ، وبالتصنيف الضوئي وبالشكل التام .

هكذا كانت هذه القائمة الوظفية للسنوات الاولى ، والثانية والثالثة ، من التعليم الابتدائي ، المحتوية تقريبا على 4000 وحدة - معجمية ، او نحوية هذه الوحدات الوظيفية هي تارة :

أ ـ حرف : أ (ادارة استفهام) هل — Est-ce que? Do you

ب ـ كلمة : انسة (وحدة معجمية) — Demoiselle; Miss

أنت (وحدة نحوية) — Toi, tu; you

ايه (وحدة نحوية) — Et alors! and what then? sowhat?

ماهر (وحدة معجمية صفة) — Habile, adroit; clever; skilful

ابتسم (وحدة معجمية فعل) — Sourire; to smill

ملاحظة : تعاد الكلمة ان اختلفت معانيها

اقلع (للسفينة) — Lever l'ancre; To weigh anchor

اقلع (للطائرة) — Décoller; To take off

اقلع (للمركبات) — Démarrer (Véhiculo); to start (vehicule)

(ج) كلمتان : الة الخياطة — Machine à coudre; sewing-machine

عجلة امامية — Roue avant; front weel

احتاج الى — Avoir besoinde; to need

جاء بـ — Amener, Apporter; to bring

(د) تعبير جزئي : من الاحسن ان — il vaut mieux que... it is better to that

خيت على ... (للاستهزاء) — hieu! hieu! boo

(هـ) تعبير كامل : اليس كذلك — N'est-ce pas; is not it / isn't it

اصيب بزكام — S'enrhumer; to catch (a) cold

ارجع الصرف — Rendre la monnnaie; to give change for

هذه الوحدات هي وظيفة ، تؤدي مفاهيم يريد الصبي ان يعبر عنها ، ولنذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض مجالات المفاهيم :

أ ـ في محور الفلاحة وتربية المواشي :

منقلة (مفعلة) اما نقالة باليد (على وزن فعالة فهي للالة بمحركها)
قرنفل خضير شقائق النعمان

ب ـ في محور الملابس :

باج — Slip briefs (= underpants)

خف	Pantoufles; slipper
سريدة	Tricot; knitwear
سريل	Short; shorts
سير	Lacts (chaussures); shce lace
بخنق	Foulard; wowan's scarf
نطاق	Jupon; petticoat; underskirt

ج ـ في محور الرحلات ووسائل النقل :

ساعفة	Ambulance; ambulance
صفاق الطوق	Chambre à air inner-tube
مدلجة	Bidon; car-drum
مقطورة	Wagon de train; railway-carriage

د ـ في محور الترفيه :

مكرج ـ مانيج	Manège; merry-go-roud
لعبة الطارة	Cerceau; hoop
قفيزة	Saute-moutons; leap-frog

هـ ـ في محور الاخلاق والدين :

حلال	Licite; licit (authorized by religion)
حرام	Illicite; un authorized by religion
وَعَدَة	Voeu (fait à un saint) vow (to a saint)

و ـ في محور الحرف :

حلواني	Confiseur; confectioner
راسم	Dessinateur; draughtsman
رسام	Peintre; painter (artist)
طلاء	Peintre bâtiment; house-painter
سَمْنَت	Enduire de Ciment; to cement

ز ـ في محور الحيوانات

نجد في الدواب الاهلية مثلا : ضَرْع	Pis; udder; dug(of cow

مرعى	Paturage; grazing
نجد في الدواب البرية مثلا : رَتّ	Sangulier; wild-boar
حديقة الحيوان	Zoo; Zoo
ونجد في الطيور مثلا : ببغاء	Perroquet parrot
خَمّ	Poulailler hen-coof
مِقنَب	Gibercière de chasseur game-hag
ونجد في الحشرات والزواحف مثلا : جُبْح	Ruche (bee) hive
عَظايَة	Lézard; lisard
بَلَم	Anchois ; anchovy
خُمخُم	Grade; crab

ح - في محور البناء والمساكن والاثاث :

سَهْوة	Placard; wall-cupboard
قعيدة	Tabouret; stool
قُمامية	Poubelle ; dustbin ; refuse bin
خمّل المنزل	Faire le menage - to do the housework
مَدْخنة	Cheminée; chimney
مَرفع (او صيهور)	Buffet; sideboard

على سبيل الاختيار لفظة عربية مستعملة في المغرب مرفع او لفظة فارسية معربة قديمة .

ط - في محور الطعام والشراب :

بريوشة او ملكة) لفظة دخيلة ولفظة قديمة : على سبيل الاختيار

شربة	Soupe; soup
حدمة	Cocotte-minute; pressure-cooker
تنقيلة	Dessert; dessert
طَلّمة	Tarte; tart
مَريسة	Purée; mash
برمة	Chaudron; caldron
حَسائية	Soupière; soup-tureen

ي - في محور الجسم

بنّي	Marron; marroo
تزلج	Patiner; to skate
زَحْلاقة	Ski; ski
فاتح (لون)	Clair; clear
مِشَن	Douche (appareil) shower (tath)

ك - في محور المدرسة :

قلم جاف	Stylo; pen
انضباط	Discipline

ل - في محور الانسان واطوار حياته :

رضّاعة	Biberon; feeding-bottle
عيد الميلاد	Anniversaire; birthday

م - في محور المدينة

أسرية	Vitrine; shop-window
بلدية	Municipalité; municipality
مُتحف	Musée; museum

ز - في محور الدولة :

أخُوَّة	Fraternité; brotherhood
حرية	Liberté; freedom

في محور الكون والطقس والفصول :

شط	Plage; beach
عَجاج	Vent de poussière; sand-wind
مِظلة	Parassol de plage; sunshade

1) لكن لاحظ البعض ان هذا الرصيد غزير الالفاظ (حوالي 4000 وحدة) عديم التراكيب ، مشيرا الى ان صعوبة تعلم لغة من اللغات على قدر غنى مفرداتها ، وتنوع تراكيبها ، ذاكرا في ذلك ما

بينه اخيرا (GUIRAUD) من ان 4000 لفظة تقريبا - توجد بنسبة 97 % في النصوص المكتوبة ، متسائلا لماذا اضيفت الى مدونة المقول ، الى مشاغل الصبي ومفاهيمه مفاهيم اخرى اخذت - عملا بمبدا التدخل - من قائمات كتب اجنبية ، قد لا تتماشى وحاجات الصبي المغربي ؟ لماذا تحمل اللغوي مسؤولية المربي وتجاوز حدوده ؟ لماذا اهمل امرا ذا بال الا وهو : ضبط قائمة التراكيب ، التي بدونها لا تستغل هذه القائمة ؟

ان الجواب على هذه الحيرة هو :

أ - ان هذا الرصيد قائمة وظيفية ، تؤدي مشاغل الصبيان المغاربة وحاجاتهم ، تلك التي ابرزتها التسجيلات ومدونة المقول ، وتؤدي كذلك ما يمكن ان يعيشه الصبيان الاجانب من مشاغل حضارية عصرية ، تلك التي - بدورها - بدات تغزو صبياننا بفضل الاذاعة - والتلفزة ، والاعلام.

ب - ان هذه اللغة التي نعتناها بالوظيفة ، سنجربها بعض السنوات ، وسنرى نسبة قبول الصبي لها ، او رفضها ، وستمثل تلك النسبة المقبولة اللغة العربية الاساسية في مستوى الصبي المغربي

ج - ستضبط قريبا الالة الرتابة بالجزائر - قائمة التراكيب ، والاستاذ الحاج صالح هو بصدد اعداد مشروع في هذا الامر ، ويحسن ان نشير في هذا الصدد : ان المعهد القومي لعلوم التربية بتونس قد جرب - بعد - قائمة تراكيب - في مستوى السنة الاولى والسنة الثانية والسنة الثالثة - ضبطت ضبطا تجريبيا ، يمكن ان ننطلق منها هيكلا لمفردات الرصيد بوثائق الحوارية (انظر مشروع قائمة تراكيب للسنين الاولى والثانية اعداد المعهد القومي لعلوم التربية بتونس)

د - ان كلام الصبي اعتبر - بنسبة مرموقة - ان كان يتماشى ومبدا الاستمرار المكاني والزماني : لا قطيعة مع الماضي ، ولا قطيعة مع الاقطار العربية الاخرى اليوم : لان العربية الفصحى وحدت العرب قديما . وهي عنصر التوحيد اليوم . فهذا الرصيد الموحدة الفاظه ، والموحدة اغراضه ، الطريف من نوعه لانه انطلق من كلام

الصبي ووضع للصبي (2) يتماشى والحاجات المعاصرة اليومية . ويستطيع ان يصارع صراع الند اللغة المحلية من جهة ، واللغة الاجنبية من جهة أخرى - بشرط الا يبقى مكتوبا في الكتب ، بشرط ان يصبح مستعملا في البيئتين الاخريين (في الدار والشارع) وان يكون للمحيط اللغوي مسؤولية تطبيقية في كل المجالات .

2) - وسيلاحظ ايضا ان هذه المدونة غير كافية : العينات بها محدودة ، والتسجيلات دون المطلوب فالنتائج اذن غير مرضية .

لا شك ان احصاء 110538 لفظة فقط موزعة على اقطار شمال افريقيا ، مما نؤاخذ عليه لكن هذا العمل الطريف في منهجيته ، الطريف في ابعاده ، ليس خاليا مما يعاب على كل بحث من نوعه . وسيعدل حتما في القائمة الثانية . وهو ضرورة قابل لكل تنقيح بعد تجربة ستدوم ثلاث سنوات متتالية .

اذن ان هذا الرصيد ضبط بالاعتماد على تلك المقاييس : تواتر وتوزع ، ولكل مدلول دال ، وقياس وكمون ، وتدخل واستمرار في المكان والزمان ، والذي نعتناه بالعربي الوظيفي يحتوي على الفاظ اساسية ، يستحسن ان نعتبرها بعيدة عن الاقليمية المغربية ، متفتح على العالم باسره ، رغم اعتبارنا لمبدا التقريب - قدر الامكان - بين مستويي الفصيح والدارج . وهو رصيد يطمئن المربين الحيارى : اذ سددت فراغات المقول ، (من مفاهيم والفاظ مفقودة) وفراغات المكتوب (من مفاهيم معدومة ومن الفاظ مترادفة قديمة) فهو متفتح كذلك لكل زيادة ونقصان ، اذ اللغة حية متطورة ضرورة .

هذا الرصيد العربي الوظيفي الموحّدة الفاظه ؛ الموحّدة اغراضه ، انجز بفضل الاتصالات العضوية الدورية ، بين باحثين تفانوا لتحقيق حلم توحيد لغة التدريس ، ولا شك ان النجاح سيكتب

---

2) وهو يختلف في ابعاده عن الانكليزية الاساسية « او الاسبانية الاساسية » تلك اللغات التي ضبطت للكهول الاجانب خاصة ، اما على الطريقة المنطقية وعالمية اللغة ، (الانكليزية الاساسية) واما على الطريقة التواترية الاحصائية (الفرنسية الاساسية والاسبانية الاساسية)

لهذه القائمة المشتركة الموحدة بالاستعمال البيداغوجي المناسب ، في نطاق التأليف المدرسي ، وفي نطاق التربية الشاملة في كل مجالات الحياة (3) .

حقا ان هذا الرصيد لكي يحيا الحياة الفضلى ، عليه ان يدرّس حسب طرق بيداغوجية متجددة . ولنذكر في تونس ما لنا فيها من تجارب طبقت الرصيد او ستطبقه .

أ ـ ما طبق الرصيد من تجارب

1 ـ التدريس بالطريقة الحوارية : (4) تلك التي بدات تطبق حصيلة الرصيد اللغوي ، تلك التي جربت بمعهد علوم التربية ، وتوسع استعمالها رسميا في المرحلة الاولى من التعليم الابتدائي . ومن اختيارات هذه الطريقة :

أ ـ ان اللغة تبليغ لا موضوع تحليل مجرد .
ب ـ ان لا بد من اعتبار الواقع اللغوي للطفل من ثنائية (صراع بين الدارجة والفصيحة) وازدواجية (صراع بين الدارجة والفصيحة والفرنسية)
ج ـ ان الاسبقية في التدريس للمقول على المكتوب ، وذلك بتخريج لسانه على السجل الشفوي الذي لا يبتعد كثيرا عن اللغة الام ، والذي يجب ان يكون اداة طيعة للتعبير ، والتبليغ والتحاور ، في وضعيات تعليمية حية يعيشها الاطفال .
د ـ ان التدريس يعتمد خلق حالات بها الحوار والترغيب
هـ ـ ان لا بد من تدرج لغوي ضمن تدرج تركيبي : وذلك

---

3) على سبيل الاعلام اجتمعت لجنة الرصيد اللغوي لاقطار المغرب العربي الاسبوع الماضي من 22 الى 25 مارس 1978 بتونس للنظر في توزيع الرصيد حسب مجالات مفاهيم للسنوات الثلاث الاولى ، وللنظر فيما انجز في مرحلة السنوات الرابعة ، والخامسة ، والسادسة الباقية .

4) انظر وثائق الحوارية : ـ وثائق منهجية للمعلم : الحوارية السنة الاولى الحوارية السنة الثانية
ـ وثائق للتلميذ : اكتشف القراءة ـ السنة الاولى ابتدائي
اكتشف القراءة : السنة الثانية ابتدائي

باعتبار مكتسبات الطفل اللغوية ، والتدرج بها نحو اللغة الفصيحة ، مثلا الولد قعد ، لا جلس الولد ، الجملة الاسمية بفعل قعد ، اقرب اليه من الجملة الفعلية بفعل جلس .

ب ـ ما سيطبق الرصيد من تجارب

1 ـ تجربة التربية الفنية : والغاية منها ايجاد الصلة بين التعبير الفني التلقائي والتعبير الشفوي الحر الاصيل ، والغاية منها حمل التلميذ على الخلقية دون قيود .

2 ـ الترغيب في المطالعة : (تجربة تشمل السنوات الثالثة ، والرابعة ، والخامسة والسادسة) وبها ثلاث مراحل .

أ ـ مرحلة توجيهية يختار فيها المعلم عنوان المصنف ويقدمه .

ب ـ مرحلة الترغيب الجماعي ، تأخذ فيها مجموعة من الفصل على نفسها : اختيار مواضيع المطالعة ، ودراستها ، وعرضها على الاخرين من التلاميذ .

ج ـ مرحلة التأليف التجريبي فيها تنطلق المجموعة او التلميذ بعد لذة المطالعة الى لذة التأليف . وهكذا يصبح القارىء مؤلفا ، او مشاركا في التأليف .

3) التدريب على العمل اليدوي في السنوات الخامسة ، والسادسة ، والسابعة .

هو برنامج متولد عن اعتبارات عدة اهمها :

ـ ضرورة ملاءمة التعليم لمتطلبات النمو الاقتصادي والاجتماعي ، باعتبار ايجاد التوافق بين تكاليف التربية ومردودها .

ـ قلة مسايرة النظام التعليمي ـ التقليدي لمقتضيات العالم المتعصر .

ـ اعطاء التعليم وظيفة اجتماعية ، وغاية اقتصادية ، واعداد الطفل منذ التعليم الابتدائي للدخول في الحياة ، بواسطة التدريب على العمل اليدوي ـ مدمج مع بقية نشاطات التعليم العام . يكون عنصر تجديد للتعليم الابتدائي محتوى ـ وطرقا وهذا التدريب يكون اما بالمدرسة (بالورشة او بالحقل المدرسي) او خارجها بالمؤسسات المحيطة .

وهو يهدف الى :

- تبصير التلميذ بنبل العمل اليدوي وصنلا حيته .
- اشعاره بانه قادر على ان يخلق ، ويصنع بالفكر واليد معا .
- تزويده بمبادىء في التكوين العملي ، ترغبه في النشاط اليدوي ، وتهيئه تربويا الى متطلبات مجتمع متطور اقتصاديا واجتماعيا .

وهذا التدريب بتونس خاص بتلامذة السنوات الخامسة ، والسادسة والسابعة ، من التعليم الاساسي . متلائم مع مختلف الاوساط الحضرية ، والريفية والساحلية ، في تفاعل وتكامل مع المحيط .

4) لاحقة التعليم الابتدائي او السنة الثامنة

هي دورة تكوينية تدوم حسب الاماكن سنة من شأنها ان :
- توفر للشاب مجالا اوسع في اختيار احد ضروب التكوين العلمي ، والتقني ، باعتبار المعطيات المحلية .
- تدعيم ، الى جانب نشاطات التكوين ما قبل المهني او المهني ، الزاد المعرفي العام الذي اكتسبه التلميذ - خلال دراسته الابتدائية - وتواصل اثراءه في اتجاه ممارسة مشاكل الحياة الاقتصادية الملموسة الحية ، « على عين المكان بالمؤسسة المحيطة حسب نوعيتها » .
- تربط الصلة بين محتوى برامج التدريس والتكوين من ناحية - وبين مشاريع التنمية المدمجة من ناحية اخرى .
- تنسق بين البرامج الموازية للمدرسة - والموجودة بصفة غير نظامية - وذلك لتجميعها في مسلك منسق من النشاطات ، يدعم بعضها الاخر .

واخيرا لا شك ان نتائج الرصيد المغربي « ستثري ان شرع في انجاز قسمه الثاني في مستوى الابتدائي باعتبار التغييرات والتحسينات التالية :
- توسيع رقعة ميادين التحقيق ، حتى تصبح «المدونة» CORPUS اكثر تمثيلة للواقع اللغوي .

- تحسين الطرق الفنية التي استعملت لنسخ نصوص المدونة ، وتجزئتها لاستغلالها عن طريق الالة الرتابة استغلالا أدق .

- مع ضرورة تجريد المكتوب ، والمقول ، والكامن ، «واعتبار مفاهيم الغير العالمية الشيوع (5) .

ثانيا : الرصيد اللغوي في مستوى البلدان العربية :

تجاوز هذا العمل اللغوي التربوي اقطار المغرب فاذا به يصبح مشروعا شاملا كل البلدان العربية ، تتبناه المنظمة العربية للتربية والثقافة ، وتشرع في انجازه منذ 1976 وذلك :

1) بعقد اجتماع اللجنة الفنية لحصر الالفاظ التي تعلم لتلاميذ الصفوف الاربعة الاولى من التعليم الابتدائي ، في البلاد العربية (الجزائر 1-4-7-1976) وقد رسمت اللجنة منهجية العمل ومراحله ، منهجية مستوحاة من عمل اللجنة الدائمة للرصيد اللغوي بأقطار المغرب العربي ، التي تتكون من الاساتذة احمد الاخضر غزال المغربي ، وعبد الرحمان الحاج صالح الجزائري ، وأحمد العايد التونسي .

2) بعقد اجتماع رؤساء لجان حصر الالفاظ بالبلاد العربية (الجزائر 15-24 نوفمبر 1976) الذين تدربوا تلك المدة على المنهجية المتفق عليها ، والتزموا كمرحلة اولى - بتجريد الكتب المستعملة بدولهم ، في الصفوف الاربعة الاولى ، وتجريد كتابات التلاميذ للصفين الثالث والرابع .

3) بعقد الاجتماع الثاني للجنة الفنية بالجزائر دائما من 2 الى 9 ديسمبر 1977 ، نظرا الى وجود الالة الرتابة بالعاصمة الجزائرية ، تولى معهد العلوم اللسانية والصوتية بها جمع حصيلة اعمال البلدان العربية ومعالجتها منفصلة وضمن المجموعة ، نظرت اللجنة فيما انجز في البلاد العربية ، واعدت المنهجية المزمع اتباعها لضبط المرحلة الثانية مرحلة ضبط المقول .

---

5) تقررت منهجية القسم الثاني من الرصيد ومراحله في ملتقى لجنة الرصيد اللغوي باقطار المغرب العربي (جانفي 1977) وشرع بعد في الانجاز كما بدا في ملتقى اللجنة الاخير (بتونس مارس 1978)

4) بالاستعداد الى الاجتماع الثاني لرؤساء لجان حصر الالفاظ المزمع عقده بالجزائر سنة 1978 .

ومشروع حصر الالفاظ هذا اصبح : مشروع الرصيد اللغوي العربى بفضل التوصية الاحدى والعشرين من توصيات مؤتمر وزراء التربية والوزراء المسؤولين عن التخطيط الاقتصادي في الدول العربية ، الذي نظمته اليونسكو مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بأبو ظبي (الامارات العربية المتحدة) من 7 إلى 16 نوفمبر 1977 .

واليكم التوصية عن الرصيد اللغوي :

ان المؤتمر ،

نظرا لما بين اللغة العربية والوجود العربي من ارتباط عضوي في الماضي والحاضر والمستقبل .

وتيسيرا للاتصال اللغوي ، وتوحيد المفاهيم بين الاقطار العربية ، ينوه بمجهودات لجنة الرصيد اللغوي باقطار المغرب العربي ، التي انجزت الرصيد اللغوي الوظيفي للسنوات الثلاث الاولى من التعليم الابتدائي .

ويبارك مشروع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لضبط رصيد لغوي في مستوى البلدان العربية كلها - انطلاقا من التعليم الابتدائي ، فالاعدادي فالثانوي .

ويوصي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بحشد مزيد من الجهود في هذا الصدد .

ثالثا : ابعاد الرصيد اللغوي العربي :

لكي يكون التعارف بين العرب جميعهم في المشرق والمغرب بالاثنتين وعشرين دولة ، لكي يكون التعاون الحقيقي بين الانظمة التربوية في البلدان العربية فلا بدّ من توحيد المناهج التربوية شكلا، ومضمونا ، وطرق عمل وذلك :

1) بتوحيد سلم التعليم وسنوات الدراسة .

2) بتوحيد المحتويات خاصة : لاجل ان نخاطب اطفالنا بنفس اللغة يشترط فيه :

أ ـ رصيد مفردات مشتركة ، لان المفردات مختلفة من جهة الى اخرى مثلا :

الدلاع بتونس ، والبطيخ بدمشق ، والجبس بحلب ، والخبخب بالحجاز ، والرقي بالعراق ،

والبطيخ بتونس هو الشمّام او الرقاوي بالمشرق

والخوخ بتونس هو الدراقن بسوريا والدُرّاق بالاردن .

والعوينة بتونس والبرقوق بالمغرب هو الخوخ بالمشرق .

والبردقان بتونس هو التشينا بالجزائر وبردان في سوريا

والمندرية بتونس هي يوسف افندي بالقاهرة .

ب ـ رصيد مفاهيم اصيلة متعصرة ، في قوالب وتراكيب يتدرج بها من السهل الى الصعب ، باعتبار مكتسبات الطفل عند دخوله المدرسة . واحلال مؤلفات المغاربة عند المشارقة والعكس الاحلال المتساوي : في التعريف والشرح ، وذكر الحقائق والصفات ، وقد تعرضت الى هذا الامر ندوة خبراء اللغة العربية لبحث وسائل تطوير اعداد المعلمين في الوطن العربي (الرياض 15 ـ 20 مارس 1977) اذ اوصت في الاعداد العلمي التخصصي للمدرّس بالتركيز على دراسة نصوص منوعة ، متعددة المجالات ، من شتى البلاد العربية دراسة فنية تحليلية يستعان بها على تكوين الذوق والنقد لدى الدارسين . (6) .

في هذا المجال لا شك ان مجلات المشرق لها محاولات اعلامية موجّهة . اما في المغرب العربي فمجلة الفكر التونسية تقوم بمجهود مشكور : على سبيل المثال : خصصت عدد ديسمبر 1976 « للادب في المغرب الاقصى »

عدد افريل 1977 لـ « المؤتمر العام الثاني للكتاب والصحفيين الفلسطينيين »

عدد جوان 1977 لـ « الادب التونسي منزلته ودوره في التعليم

---

6) وكما قال الاستاذ محمد مزالي وزير التربية القومية بتونس في افتتاحية مجلة الفكر التي يديرها ـ بعدد جانفي 1977 ـ : « وانه لمن اليسير الشروع فورا في وضع خطة سريعة التنفيذ تتعلق بتوحيد المواد المكونة للذهن ، والاحساس ، كالفلسفة والتاريخ ، والادب والتربية الوطنية والدينية » .

والثقافة » عدد نوفمبر 1977 لـ « الادب الموريتاني »

عدد ديسمبر 1977 لـ « المؤتمر الحادي عشر للادباء العرب »

يضاف الى هذه الشروط امر ذو بال في رأيي الا وهو ان تكتب التاليف المدرسية مشكولة بكل الحركات ، حتى تتعلم اللغة العربية ، وما يكتب بالعربية من علوم انسانية ، وعلوم صحيحة وتقنيات تعلما لا لبس فيه ولا لحن ، وقد تعرضت الندوة بالرياض الى هذا الامر الهام ايضا في « مناهج الاعداد التربوي » اذ اوصت بـ « رغبة في معالجة ضعف كثير من معلمي اللغة العربية في استخدام العربية الفصيحة في التدريس كلاما ، وكتابة ، وقراءة ، ومعاونة لهم على تجنب استعمال اللهجات العامية .

اذن اذا علمنا ان العالم العربي الاوسطي ترك للعالم الحديث ثلاث مؤسسات هامة : المستشفى ، والمرصد ، والجامعة ، وان المراكز التربوية العليا باروبا قد ظهرت بعد بيت الحكمة ببغداد ، وجامعة القرويين بفاس ، والازهر بالقاهرة ، والزيتونة بتونس ، واذا علمنا ان الامة العربية انتجت ابن سينا ، وابن رشد ، والخوارزمي ، وابن الهيثم ، وابن الجزار .

واذا ارجعنا الثقة الى انفسنا وتذكرنا ما يكتب عنا مثلا :

أ ـ ما كتبه اناتول فرانس (ANATOLE FRANCE) في القرن التاسع عشر كتابه « الحياة المزهرة » (LA VIE EN FLEUR) سأل السيد دوبوا (DUBOIS) السيدة نوزيير (NOZIÈRE) عن اشأم يوم في تاريخ فرنسا ... فقال لها دوبوا : « أنه يوم معركة بواتيي (POITIERS) عندما تراجع العلم والفن والحضارة العربية سنة 732 ميلاديا امام الهمجية الفرنكية » .

ب ـ ما كتبه اخيرا المفكر الفرنسي الماركسي المسيحي روجي قارودي (ROGER GARAUDY) « من اجل حوار بين الحضارات (POUR UN DIALOGUE ENTRE LES CIVILISATIONS) » ان الغرب مدين النهضة الى حد كبير للفتح العربي ، الذي استطاع ان يخلق الظروف الفكرية الضرورية لتفتحه » .

واذا احتقرنا بعض العنصريين أمثال جيراردي فيليي (GERARD DE VILLIERS) الذي صرح منذ اربع سنوات لاحد الصحفيين الفرنسيين عن العرب بقوله : « اني اضعهم في اسفل السلم مباشرة بعد الكلاب » اذ هم في نظري « مكثف العيوب البشرية » .

اذا تذكرنا القيم العربية الاسلامية التي ضاعت في الغرب ، وتناساها في البلدان العربية من سار على دربهم .

قيمنا هي سرد ذاتيتنا العربيه الاسلامية . وتحقيقها لا يكون الا بالحوار مع النفس ومع الغير في نفس الحين ، مع الماضي والحاضر ، وهذا لا يكون الا باجماع القلوب : بالتعبئة والفناء في الغير لفائدة الذات والغير معا . ويجدر هنا ان نقول : ان المربي هو مبلغ ما نريد ، لانه مركز للحركة المفيدة الدائمة ، شاب دائما لاتصاله بالصبية في جهاد - لا مع العيش فقط وعن مكان التدريس الافضل بالقرب من مسقط الرأس - بل هو في جهاد حضاري ، يقف عنده غدا التاريخ وقفات طويلة ، ليحاسب اعمال المربين في السبعينيات .

ثم اذا اقتبسنا توصيات مؤتمر وزراء الدول العربية ، عن تطبيق العلوم والتكنولوجيا على التنمية (الرباط 15 - 25 اوت 1976) واقتراحاته الايجابية حول نشر العقلية العلمية وروح الخلق والابداع ، وتسخير الموارد العربية والطاقات البشرية لخير العالم العربي وازدهار شعوبه ، ماديا ، ومعنويا ، وذلك بتخصيص حد ادنى للانفاق على البحث العلمي ، يبلغ نهاية السبعينيات الى ما لا يقل عن 0،5 % من اجمالي الناتج الوطني - في الدول المتطورة يخصص ما بين 2 % و 3 % وفي الدول العربية من 1 % ، 0 الى 0،4 % - ومنها كذلك السعي الى اعداد علميين عاملين في مجال البحث والتطوير التجريبي الى حد أدنى قدره 500 فرد لكل مليون مواطن (7) .

---

7) هل نعلم ان بالولايات المتحدة واروبا حوالي 20.000 عالم عربي منهم رئيس القسم والوكيل بالجامعة والباحث في الفضاء وعلوم الذرة والطب ... واللامع في العلوم الاجتماعية والدراسات النفسية والاقتصاد .

كذلك اذا تسلحنا بالتفاؤل ، وحملنا وزراء التربية والاقتصاد ، ورؤساء الدول اصحاب الحل والعقد على تطبيق ما جاء في مؤتمر التربية والوزراء المسؤولين عن التخطيط الاقتصادي (ابو ظبي) من توصيات رامية إلى تنسيق السياسة التنمية والتربوية ، وتحقيق استراتيجية شاملة لتطوير انظمتنا التربوية العربية .

دخلنا في جدلية مع انفسنا ، فحققنا المناعة الحضارية لامتنا ، واسترجعنا مجدنا التليد وذلك :

- ○ بتطهير عقول شبابنا من التلوث العقائدي الاخلاقي الغربي .
- ○ بالحرص على تحقيق ديمقراطية التربية والتعليم للجميع - على الاقل في الابتدائي - في نفس الهياكل وبنفس المحتوى لتكوين عربي الغد .
- ○ بايجاد الكفاءات العلمية والصناعية والتقنية ، والحض على خلق عقلية الابتكار والاختراع .
- ○ بالحث على تعلم اللغات الاجنبية حتى يقحم العالم العربي مباشرة لا عن طريق الترجمات وهي حتما دون المطلوب اداء وزمانا .
- ○ بجلب المفكرين العرب للكتابة بالعربية ، اذ ظهرت نزعة جديدة منذ بضع سنين تمثلت في : تخلي نخبة من المفكرين العرب عن الكتابة باللغة العربية ، واستخدام اللغة الفرنسية والانقليزية اداة لتحليل القضايا السياسية والحضارية التي تهز العالم العربي (على سبيل الذكر لا الحصر هشام جعيط التونسي ، عبد الله العروي المغربي ، سمير امين المصري الخ ...) يكتبون باللغة الفرنسية .

ودخلنا كذلك كما قال الاستاذ محمد مزالي وزير التربية القومية في ابو ظبي اخيرا « في جدلية حضارية مع الغرب . ذاك الذي له احكام جائرة في ذات الحضارة العربية الاسلامية ، متعمدة او غير متعمدة . والحوار الحضاري يتطلب منا ان نتطهر من كل ما علق بنا من اوهام واخطاء حتى نساهم في البشرية الفاضلة ، اذ الانسانية نهر كبير نحن جميعا روافده ، لا عصمة لجهة دون أخرى . وهذا الاتصال يمهد الى السلم والتفاهم بين البشر » وكما قال ايضا بمجلة

الفكر الذي يديرها بعدد جويلية 1977 . « ان مستقبل البشرية مشروع حضاري متجدد متناسق يساهم فيه كل البشر بدون ميز ولا تفوق » .

★ ★ ★ ★ ★

وختاما ان وحدة المصير العربي ومناعته موكولتان الى مدى وعينا الجوهر وضبط رصيد لغوي للطفل ، والشاب ، والكهل من الجوهر ، لان لهذا الرصيد ابعادا توحيدية اجتماعية ، ثقافية اقتصادية : مفاهيم والفاظ مشتركة موحدة ستصبح غدا ـ ان صح منا العزم ـ :

ـ موحدة بفضل تعليم سليم بالمدرسة على يد المعلم الفاضل . ذاك الذي يشعُر بأنه ينتمي الى بلاد عربية مسلمة ، متفتحة على الحضارة وبأنه يريد ان يكون شبابا اصلا لهذه البلاد الغنية بثروتها المادية والمعنوية ، قابلا بان يصبح فيها منتجا صالحا متأصلا ، لا فريسة لبعض المغامرين من الداخل والخارج . هو كمرب يشعر بانه يسوس العقول حسب ما يريد ، متذكرا وصية الصحابي عتبة بن ابي سفيان لمعلم اولاده حين سلمهم اليه :

« يا عبد الصمد ليكن اول اصلاحك لولدي اصلاحك لنفسك : فان عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح عندهم ما تركت ... وهددهم في ادبهم دوني ، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء ... واياك ان تتكل على عذر مني ، فقد اتكلت على كفاية منك » (العقد الفريد 196) .

وبفضل تبني الرصيد من البيئتين الاخريين : الاسرة ، والشارع ، وعن طريق كل وسائل الاعلام .

ان وحدة المصير العربي ومناعته موكولتان الى شعورنا بالمسؤولية عن قضايا الذات العربية ، وعن ارادة مساهمتنا في الحضارة الانسانية العصرية ـ بالانتاج الادبي المرضي والرصيد بعد زمان لبنة منه ـ وما قيل عن المؤتمر عشر للادباء العرب بطرابلس (سبتمبر 1977) على لسان البشير بن سلامة رئيس تحرير مجلة الفكر التونسية ليدعو إلى التفكير اذ حرك السواكن بقوله : « لعل

مؤتمر طرابلس كان منعرجا ، لانه اظهر اكثر من غيره من المؤتمرات الاخرى - استنادا بالطبع الى ما يطفو على السطح - ساساة الفكر العربي ، وضحالة الادب العربي المعاصر - والا النادر القليل - ودفع الادباء المفكرين إلى ان يشعروا ، جاد الشعور ، بأنه من الواجب ان يغيروا مناهجهم وطرقهم وانساق تفكيرهم » .

وبكل انتاج فعال من علوم انسانية ، وعلوم صحيحة وتكنولوجيا ، اذ حاضر البشرية ومستقبلها تساهم في نحته كل الامم من اخذ وعطاء ، في تعاون بين الثقافات ، وحوار بين الحضارات ، وما مشروع الرصيد اللغوي ضمن المشروع الاروبي لبنك الكلمات ، الا دليل على اهتمام الغرب بالعرب الذين هم في سعي جاد الى كسب رهان الحضارة دون تنكرات للدّين على وعي من حضارتهم الاصيلة دون افراط في التغني بالماضي والامجاد ، والمكتسبات المتفتحة على عالم اليوم ، دون تفريط في الاساسيات .

أحمد العايد
استاذ بكلية الاداب والعلوم الانسانية
مدير التعليم الابتدائي بالجمهورية
التونسية

دور التعليم الثانوي في تنمية اللغة العربية

عبد العزيز يوسف

مقدمة :

يقوم هذا البحث على عنصرين رئيسيين : اولهما نظري وثانيهما تطبيقي ، اما القسم النظري فسأتعرض فيه الى موضوع التعريب ، وواقع اللغة العربية في تعليمنا الثانوي بتونس، خلال الحماية الفرنسية وبعد الاستقلال ، وسأركز في القسم الثاني التطبيقي ، على دراسة الرصيد اللغوي الذي اعدته مجموعة من معهد علوم التربية وبقا لمحاور مدرجة في البرامج الرسمية ، تتعلق بمادة (التنمية اللغوبة) .

التعريب :

ان موضوع التعريب هو موضوع الساعة ، الذي يشغل بال رجال التربية والثقافة في تونس . ومن المعروف ان اقلاما متعددة مختلفة المشارب والاتجاهات قد تناولت بالدرس والتحليل قضية تعريب التعليم والادارة ، وتعمقت في ابراز جوانبها التربوية ، والحضارية ، والعلمية . ويمكن للباحث ان يقوم بدراسة وصفية تحليلية لهذه القضية ، بالرجوع الى الجرائد والمجلات (1)

---

1) راجع خاصة ما نشر في مجلة الفكر من مقالات عالجت موضوع التعريب ، واذكر على سبيل المثال ما كتبه الاستاذ محمد مزالي في العدد الرابع من هذه المجلة السنة 16 بعنوان «ثبات على المبدأ» ...

التونسية المكتوبة باللغتين العربية والفرنسية ، غير اني سأكتفي في هذا البحث بتلخيص اجمالي لوجهات النظر العامة تاركا لغيري مزيد التعمق في تحليلها ، وتوسيع ابعادها . ويبدو ـ ايها السادة ـ ان مبدأ التعريب اصبح الان امرا مسلما به لدى اغلب المربين والمثقفين عموما ، لا ينازع فيه الا شاك او متشكك في اصالة الشخصية التونسية ـ العربية الاسلامية ـ ولا شك ـ ان هذه الفئة لا تمثل اتجاها جماهيريا ينبع من ارادة الشعب التونسي . وليس لها من الحجج ما يدعم موقفها او يبرز وجهة نظرها . غير ان النزاع الجاد قد تركز ـ خاصة ـ حول ما يعترض التعريب من صعوبات في مجال التطبيق ، وفي طرق انجازه واجاله . على انه بامكاننا تحديد هذا النزل في اتجاهين بارزين : اولهما يدعو في حرارة وحماس الى التعريب الشامل العاجل لكل البرامج التعليمية والمؤسسات الادارية . دون تردد ، او تباطؤ ، لتخليص الذاتية التونسية من الذبذبة والتناقض ، ومن رواسب الفرنسة التي شوهت الى حد كبير شخصيتنا القومية ، وهددت وجودنا الثقافي بالمسرح والذوبان . الا أن هذا الاتجاه رغم ما ينطوي عليه من مقاصد طيبة واهداف نبيلة ، فانه يبدو ـ حاليا ـ مثاليا ـ لتجاهله الواقع التاريخي الذي فرضه الاستعمار على البلاد ، وجعل من اللغة الفرنسية ـ عمليا ـ لغة الاستعمال ، والمعاملات في اغلب مؤسساتنا التربوية والادارية .

اما الاتجاه الثاني فانه يلتزم بمبدأ التدرج في تعريب التعليم والادارة ، وينادي بتوخي ـ الواقعية والموضوعية في مجابهة المشكلة ـ لتعقدها ودقتها ، نظرا لما ورثناه عن عهد الحماية من اوضاع لا يمكن تجاهلها او الغض من اثرها في حياتنا الاجتماعية ، والثقافية والتربوية .

واعتقد ـ ايها السادة ـ ان هذا الاتجاه ـ رغم واقعيته وموضوعيته الشكلية ـ يفتقر الى الجد والحزم ليبرهن عن نجاعته وصدقه : فالتعريب المرحلي لا يمكن ان يخضع للصدف ، او العفوية او تفرضه المناسبات الارتجالية . وانما هو نضال عملي ، وكفل دائب ، يقتضي من المؤمنين به اولا ان يخططوا له ، وان توضع له برامج محكمة ، وتحدد له اجال مضبوطة ، وان تسخر له المواهب

والكفاءات ـ بالتأليف والترجمة وانشاء المصطلحات (2) العلمية والتقنية ، لا سيما وان لنا الاطارات القادرة على القيام بهذا الدور المصيري ، وعلى انجاح التعريب وتحقيق غاياته .

التعريب واللغات الحية :

تصور كثير من كتابنا واساتذتنا ، ان التعريب قد يفضى الى الغض من قيمة اللغات الاجنبية او التنكر لدورها في تفتيق افاق الانسانية . والحقيقة ان التعريب لن يوتي ثماره ناضجة ، كاملة ، الا اذا لقحت تجربته المباركة باللغات الحية : فالازدواجية اللغوية لا ضرر فيها ، ولا خشية من استمرارها في بلاد نامية كبلادنا في حاجة الى اطارات قادرة على مسايرة تطور العصر ، ومتطلبات الحياة الصناعية والفنية المسيطرة على العالم المتحضر ، المعاصر ، فالنظرة الواقعية تفرض تعايش العربية لا مع الفرنسية فقط بل مع سائر اللغات الحية المتقدمة ، لتأخذ منها ، وتتأثر بأساليبها وفلسفتها وعلومها ، كما تأثرت في الماضي بالفارسية ، واليونانية ، والهندية ، واثرت هي بدورها في اللغات الاوروبية ، شأن اللغات في تأثر بعضها ببعضها الاخر : اذ الحضارة ـ ملك الانسانية ـ لا تختص بها امة دون اخرى مهما كانت تلك اللغة التي ادت مضامين تلك الحضارة وجوانبها المختلفة المادية والروحية . الا ان هذه الازدواجية التي ندعو اليها ، لا نعني اعتبار اللغة العربية امرا ثانويا في برامجنا التعليمية او في مجال الادارة والحياة الثقافية . بل يتعين ان تكون هي اللغة الاولى التي يجب ان نستعملها ، ونعمل على نشرها في كل مجالات الحياة . فالازدواجية اذن لا خطر فيها في حد ذاتها ولكن الخطر يكمن ـ بشكل يقيني ـ في استمرار التشكك والتردد في قدرة العربية ، والطعن في سلامتها ، واتهامها بالعجز المطلق ، والفشل الكامل ، واحلال الفرنسية محلها .

---

2) راجع ما كتبه الاستاذ محمد السويسي في موضوع (المصطلحات) بعنوان (المصطلحات العلمية في اللغة العربية) وقد نشره في مجلة الفكر السنة الاولى العدد ـ 3 ـ ديسمبر 1955 .

والواقع ان التونسيين متفتحون الى اللغات الاجنبية ، فقد ادركوا منذ القرن التاسع عشر قبل الاحتلال الفرنسي اهميتها وقيمتها في تطوير البلاد وتنمية العربية : فقد ذكر ابن ابي الضياف في «اتحاف اهل الزمان» ان احمد باي قد رتب مكتبا حربيا بباردو 1837 لتعليم العسكر النظامي من العلوم والمساحة ، والحساب وغيرها ، ولتعليم اللغة الفرنساوية ، لان اكثر كتبها مدونة بهذه اللغة (3) .

فالتونسيون اذن - قد تصوروا بوضوح العلاقة السليمة بين الفرنسية والعربية ، ولم يجدوا اي ضرر في ادراج هذه اللغة الحية في البرامج التعليمية ، لكنهم كانوا يعتبرونها وسيلة للتثقيف وتوسيع افاق التلاميذ لا غير . كذلك قامت المدرسة الصادقية بهذا الدور : فقد كانت غاية مؤسسها خير الدين سنة (1874) ان يصطبغ التعليم التونسي بصبغة قومية - مصرية . فقد ادرجت اللغات الاجنبية التركية ، والفرنسية ، والايطالية ، بجانب اللغة العربية في برامج هذه المدرسة ، وقد نجح خير الدين كما قال (4) الشيخ محمد الفاضل بن عاشور نجاحا عظيما في تحقيق المراد من انشائها ، فكانت بجانب الزيتونة حصنا للعربية ، ومصدر اشعاع فكري وروحي . وقد تمثل هذا النجاح فيما قامت به تلك النخبة من خريجي هذه المدرسة القومية في خدمة العربية وتطويرها . فقد اثرت اساليبها ، وعمقت مواضيعها ، ووسعت افاقها بما اكتسبته من الثقافة الفرنسية . وعلى رأسهم اب النهضة الثاني البشير صفر : فقد اسهم بقسط وافر في تطوير الثقافة العربية ، بما كان يلقيه من محاضرات توجيهية في الجمعية الخلدونية .

والواقع أن الجمعية الخلدونية التي صدر قانونها الاساسي في 10 رجب سنة 1814 ـ1896 اي بعد انتصاب الحماية بـ 15 سنة ، كانت مجسمة لمطمح التونسيين ، من صادقيين وزيتونيين ، في تكوين جيل تونسي يؤمن بقوميته ، واصالته العربية الاسلامية ،

3) اتحاف اهل الزمان ج 4 صفحة 35 .
4) الحركة الادبية والفكرية فى تونس صفحة 40 .

ويعتز بحضارته القديمة ، ويعيش في الوقت نفسه قضايا العصر ومشاكله وعلومه ، فدعوا ـ كما قال الشيخ الفاضل ـ الى تكوين هذه الجمعية للعمل على بث العلوم العصرية باللغة العربية ، سدا للثغرة التي في تعليم جامع الزيتونة . فنظمت بها دروس باللغة العربية في التاريخ والجغرافيا ، والعلوم الطبيعية والرياضية ، ورسم الاراضي والاقتصاد ، واللغة الفرنسية ، فأقبل عليها الشبان من طلبة جامع الزيتونة اقبالا عظيما،وظهرت نتائجها فيهم من عامها الاول) (5).

فمن خلال كلام الشيخ الفاضل ، نستشف مدى حرص المصلحين التونسيين على خلق جيل واع بمسؤوليته القومية : قادر على الانصهار مع واقع الحياة المتجدد ، غير ان هذا الاتجاه التربوي الرائد قد وضعت امامه العراقيل ـ قصد افشاله والتحديد من خطره،فلم يستفد منه الا عدد من الطلبة المتنورين الذين ارادوا بمحض اختيارهم ان يكملوا ثقافتهم الناقصة بالاقبال في حماس على حضور دروس هذا المعهد ، والارتواء من ينابيعه ، وقد تخرج منه عدد كبير من الاساتذة ، وقدموا خدمات عميقة لتطوير التعليم الزيتوني ، وتجديد مناهجه وطرقه . ومن الغريب ان هذا الاتجاه السليم قد وجد معارضة من بعض مشائخ الزيتونة ومن المعمرين معا . فقد اعتبر هؤلاء المشائخ مؤسسة الخلدونية كما ـ قال شال اندري جوليان ـ (عملا مضرا بالدين ، ومنافسة وخيمة العواقب تهدد الجامعة الزيتونية في تعليمها العربي الصرف (6) . ومن الواضح ان انصار النهضة وتلامذة الشيخ سالم بوحاجب ، كانوا من العاملين في هذه المؤسسة ، المدركين لدورها التربوي العظيم ، فقد القى فيها السيد سالم بوحاجب المحاضرة الافتتاحية فكانت درسا علميا في تفسير قوله تعالى (وعلم ادم الاسماء كلها) حسبما ذكره (7) الشيخ الفاضل بن عاشور .

---

5) الحركة الادبية والفكرية في تونس صفحة 71

6) المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي تعريب الاستاذين : محمد مزالي والبشير بن سلامة صفحة 75 .

7) الحركة الادبية والفكرية في تونس صفحة 10 .

اما المعمرون فقد اثارت هذه المؤسسة في اوساطهم تخوفات ، ورأوا فيها مركزا للدعوة الاسلامية . وقد قال احدهم (اذا ما قدر ان تندلع ثورة في البلاد التونسية ، فان هيئة اركان ثوارها تكون قد تخرجت من الخلدونية((8) ، هكذا يتبين - ايها السادة - من هذا العرض التاريخي الموجز - ان التعليم الخلدوني يمثل المطمح البعيد في انشاء تعليم قومي عصري ، يهدف الى تكوين الانسان التونسي المعتز بقوميته واصالته الوطنية ، المتفتح الى الحضارة الحديثة بواسطة اللغات الاجنبية . وقد لاحظتم الموقفين المتطرفين لبعض المشائخ وللمعمرين - من الخلدونية ، وان اختلفا في الاتجاه والمصدر ، فانهما اتفقا في التخوف من هذه المؤسسة الرائدة . فما هو مصير هذه المؤسسة بعد الاستقلال ؟ .

الواقع اننا بعد الاستقلال (9) لم نتجه هذا الاتجاه الخلدوني : فقد عوضنا التعليم الزيتوني ، والصادقي ، والمدرسي ، بالشعب الثلاثة - أ) و -(ب - و (ج) ، وابقينا الاوضاع التربوية الموروثة عن عهد الحماية كما هي ، بعد تغيير شكلي ، فقد ورثت شعب (أ) التعليم الزيتوني العصري ، وسميت بالشعبة القارة ، وكانت تدرس فيها جميع العلوم باللغة العربية - بجانب بعض اللغات الحية : الفرنسية ، والانقليزية . لكنها انقرضت بصورة تدريجية لاسباب لا داعي الان الى التعرض اليها . اما شعبة (ج) فقد عوضت التعليم المدرسي الذي كانت تدرس فيه كل المواد بالفرنسية مع اعتبار العربية لغة اجبارية يجب ان يتعلمها التونسي بعد ان كانت سابقا - لغة اختيارية ، وقد انقرضت هذه الشعبة كزميلتها (الشعبة القارة) ولم يبق من الشعب الثلاثة سوى شعبة (ب) التي عوضت التعليم الصادقي ، الذي كانت تدرس به جميع العلوم باللغة الفرنسية ، مع العناية بدراسة اللغة العربية وادابها ، والتربية الدينية والتاريخ الاسلامي .

8) المعمرون الفرنسية ص 77

9) راجعْ ما كتبه الاستاذ احدم الفاني بعنوان (تعليمات الثانوي السقيم) وقد نشره بمجلة الفكر ، السنة الاولى ، العدد الثالث ديسمبر 1955 .

ولا شك ان المسؤولين عن حظوظ التربية القومية - في بداية الاستقلال - قد جعلوا من النظام الصادقي الموروث عن الحماية مثلا اعلى - ينبغي ان يدعم ، وان ينتشر ويعمم ، باعتباره تعليما مزدوجا ، يجمع بين الثقافتين : العربية والفرنسية ، وقد دعم وجهة نظرهم ما اخرجته هذه المدرسة من اطارات كفأة كان لها الدور الرئيسي في قيادة البلاد - سياسيا وتربويا - بيد ان هذا التعليم ليس - في جوهره - الا تعليم نخبة قد اوتيت من المواهب والحظوظ ما مكنها من الالمام بالثقافتين ، وجعلها قادرة على صهر اساليب اللغتين العربية والفرنسية ، والتصرف فيهما بعمق وبراعة . ولا شك ان التفوق لا يمكن ان تتسم به عقول كل التونسيين على اختلاف مستوياتهم الذهنية ، وبيئاتهم الاجتماعية ، واوساطهم العائلية ، خاصة وقد عممنا التعليم في الارياف ، والقرى ، والمدن ، وأصبح حق التعلم ملكا مشاعا بين جميع التونسيين . والواقع اننا باختيارنا للتعليم الصادقي - على شكله الموروث - قد فرضنا على ابنائنا اتجاها تربويا مثاليا - قد برزت نتائجه السلبية (10) في حيرة شبابنا ، وتذبذبه وعجزه احيانا عن اداء افكاره بلغة واضحة سليمة ، لتشتته بين اساليب لغتين يختلفان ثقافة ، وحضارة ، وفنا ، لم يستطع الملاءمة بينهما على نحو ما قامت به النخبة الممتازة من الصادقيين الاوليين . وهذا هو الجانب السلبي في الازدواجية .

فللازدواجية اذن - وجهان : ايجابي وسلبي ، اما الوجه الايجابي فيتمثل في اعطاء العربية المكانة الاولى في التعليم بجميع مراحله ، وتعريب الادارة بجميع فروعها ، مع اعتبار اللغة الفرنسية - وهي اقرب اللغات الينا - لغة تثقيف وتوسيع افاق فقط ، ولا يمكن ان تحتل المكانة الاولى في التعليم والادارة ، بدعوى التفتح واللحاق بركب الحضارة . لان هذا المفهوم للتفتح يفضي بصورة تدريجية الى الذوبان والضعف ، والانحلال وتفسخ الشخصية التونسية . وقد بدأنا الان نقتنع بوجوب مراجعة سياستنا التربوية ، وحتمية تركيزها

---

10) طالع ما كتبته السيدة علياء بافون في هذا الموضوع ، وقد نشر البحث في العددين السادس والسابع من مجلة الحياة الثقافية ترجمة نورالدين عزيزة .

على اسس ثابتة . وفعلا فان وزارة التربية القومية منكبة في جد وتفان على ادخال نفس جديد على برامجنا التعليمية : فقد عربت مادة الفلسفة ، ومادة التاريخ ، والجغرافية ، ووسعت محاور التربية بادراج محاور حضارية جديدة كانت في السابق ـ خاصة بالفرنسية مثل النزوح ـ الهجرة ـ السكن ـ السياحة ـ وسائل الاعلام ـ السدود ـ المناجم ـ الميز العنصري ... الخ) .

كما ادرجت مادة التنمية اللغوية في برامج العربية ، وهنا اصل الى القسم الثاني التطبيقي من هذا البحث فما هي هذه المادة ؟ وما هو الرصيد الذي اعد لها ؟ وما هي نتائجه بعد التجربة ؟

ـالتنمية اللغوية : ادرجت هذه المادة (11) في البارمج الرسمية قصد اثراء الزاد اللغوي للتلاميذ في بعض المحاور العصرية التي تتصل بالحياة المدرسية والاجتماعية ، والرياضية والطبيعية ، ووزعت على السنتين الاولى والثانية ، حتى يدرك التلاميذ ان العربية لغة حية قادرة على التعبير عن مقتضيات الحياة اليومية . وقد قامت مجموعة من المعهد القومي لعلوم التربية باعداد رصيد (12) لغوي يتماشى والمحاور الواردة بالبرامج الرسمية حسب الجدول التالي :

تبين لنا من خلال الجدول ان الرصيد يحتوي على 1244 كلمة خاصة بمحاور السنة الاولى وعلى1598 كلمة خاصة بمحاور السنة الثانية ، فما هي الطريقة التي اعتمدتها المجموعة في جمع هذه الالفاظ ؟

لقد بذلت المجموعة جهدا جبارا في البحث بين المعاجم الحديثة ، عن الكلمات المناسبة ، معتمدة عل «المنهل» لسهيل ادريس و

11) كان ذلك خلال السنة الدراسية 1970/69 ، وكانت غاية اللجنة تنمية زاد التلميذ اللغوي في بعض المحاور المتصلة بالحياة العصرية .

12) ادرج الرصيد في سفرين : الاول خاص بالسنة الاولى ، والثاني بالسنة الثانية وهو يحتوي على الرصيد وبعض التمارين . وملحق عربي فرنسي وقد صدرا عن المعهد القومي لعلوم التربية .

السنة	المحاور	عدد الكلمات
	1) الادوات المدرسية والمكتبية	96
	2) جسم الانسان	204
	3) الامراض ووسائل العلاج	216
الاولى	4) الرياضة والالعاب	157
	5) الخضر والبقول والحبوب والثمار	65
	6) الطعام	100
	7) الملابس والتجميل والحلي	163
	8) اثاث المنزل والمرافق	218
	الجملة	1244

السنة	المحاور	عدد الكلمات
	1) الفلاحة والاتها التقليدية والعصرية	181
	2) الاشجار والزهور والرياحين والنباتات	161
	3) الحيوانات والطيور والصيد البري والحشرات	398
الثانية	4) الاسماك والصيد البحري	95
	5) الصناعات	365
	6) التجارة	230
	7) المواصلات	163
	الجملة	1593
	المجموع العام :	2837

جبور عند النور ، «ولا روس » و «لسان العرب» وعلى الرصيد اللغوي الذي (13) يقدمه مكتب تنسيق التعريب بالرباط الى اخره ...) .

وقد توخت المجموعة طريقة اعتدمت اولا ـ المعجم الفرنسي ، فرتبت الكلمات حسب الحروف 5 الفرنسية ، الا أن هذا الترتيب قد اثار انتقاد كثير من الاساتذة في ملتقيات جهوية وقومية (ملتقى الحمامات) (14) .

فنادوا بتحاشي هذا الترتيب ، وعدم اعطاء المقابل الفرنسي ، فعدلت المجموعة عن ذلك ، واتبعت طريقة اخرى في الطبعة التي بين ايدينا الان اعتمدت المواضيع والاغراض ، فكانت تجمع تحت كل موضوع مجموعة من الالفاظ ، ثم تشرحها وتوضح مدلولاتها . وعقب الانتهاء من المحور تذيله بقائمة مجردة تشتمل على الكلمات العربية وما يقابلها في الفرنسية ، ورغم ما يحتاجه الرصيد من مزيد التنظيم ، فان المشرفين على اعداد الرصيد قد توصلوا الى تنظيم المادة بصورة متدرجة حسب الحروف العربية . فما هو محتوى المادة اللغوية التي قدموها في هذا الرصيد ؟

الواقع ان الرصيد لم يخضع الى منهج علمي مضبوط ، ولم يصدر عن هيئة علمية مختصة ، وانما هو عمل تجريبي قابل للتنقيح والتحرير ، قام به عدد من الاساتذة ليعينوا به زملاءهم المباشرين الذين لا تتوفر لهم الفرص للبحث في مكان المعاجم عن المصطلحات المناسبة التي يحتاجونها في تدريس مادة التنمية . فهو من هذه الجهة مجرد وثيقة عمل اولى ، ينبغي ان ندرسها ، وان نقيم نتائجها .

وسأقتصر في هذا البحث على اخذ عينات فقط من بعض المحاور ، لابراز موقفي الخاص من محتوى هذا الرصيد والذي

13) حسبما ذكره السيد احمد صوه احد افراد المجموعة في ملتقى الحمامات المنعقد في 30 ماي 1977 .

14) انعقد الملتقى الاول في 2 ديسمبر 1974 والثاني في 30 ماي 1977 .

يمكن استخلاصه من الرصيد هو انه : ضم انواعا من المصطلحات والاسماء منها ما هو فصيح ومنها ما هو عامي تونسي ، ومنها ما هو مترجم عن الفرنسية . اما القسم الفصيح فقد حاولت المجموعة فيه ان تنقل عن المعاجم القديمة الفاظا للتعبير عن بعض المعاني الحديثة مثال :

الكزاز (15) وهو حسب المعاجم داء ، او رعدة من شدة البرد ، وقد استعمله الرصيد العرض :

- **الهيمضة** (16) وهي المرضة بعد المرض وقد استعمله الرصيد للكوليرا.

- **المجول**)17) وهو ثوب صغير «تجول فيه الجارية قد استعمله الرصيد فيما يقابل

- **الغلالة** : شعار يلبس تحت الثوب ، او تحت الدرع وقد استعمله الرصيد فيما يقابل

وقد شرحت الكلمة بما يلي (ثوب رقيق داخلي تلبسه المرأة) .

ورغم تباين مدلولات هذه الالفاظ من اختلاف في الاستعمال القديم والحديث ، فان الذي يبرر اجتهاد المجموعة في اطلاق هذه الالفاظ على مسميات عصرية هو الرغبة في احياء تلك الالفاظ ، واستغلال معانيها العامة ، لادراج بعض المفاهيم الحديثة ، الا انه من المتأكد اذا رمنا الوضوح في المصطلح ان تكون الكلمة معبرة بدقة عن مدلولها الخاص المعين ، تجنبا للغموض والالتباس غير ان هذا المصطلح تحول دون تحقيقه كثرة المصنوعات ، والمكتشفات ، والمخترعات الحديثة ، وتنوعها بصورة سريعة . مما يحمل المجامع العلمية العربية مسؤولية مواكبة التطور في انشاء كلمات جديدة تماشي المبتكرات العصرية .

---

15) الرصيد محور : الامراض ووسائل العلاج صفحة 6 .

16) الرصيد نفس المحور صفحة 7

17) الرصيد محور الملابس صفحة 2

اما القسم الثاني من الفاظ الرصيد فهو ما يستعمله التونسيون في حياتهم اليومية . وقد نقلته المجموعة دون تغيير مثل (بلوزة - كدرون - فوطة - جبة - سفساري (18) مريول .

ومن الواضح ان هذه الالفاظ العامية - وان كانت دالة على مسمياتها بدقة ووضوح - فان ورودها في رصيد مدرسي - قد يوحي بفصاحتها واندراجها ضمن المحصول اللغوي الذي ينبغي ان يستعمله التلميذ في مواضيعه الانشائية . ولعل التساهل في قبول هذا الاتجاه ، قد يفضي الى سيطرة العامية ، وتهديد سلامة الفصحى وبقائها ... والواقع اننا نجد انفسنا كمربين امام مشكل معقد . فكلمة كدرون مثلا التي نستعملها في تونس للدلالة على ذلك الثوب الذي يلبسه التونسي في بعض المناطق ، لا يمكن ان توجد كلمة فصيحة تعوضها ، لان الملبوس تونسي محلي خاص ، بيد ان المشكل يزداد تعقيدا اذا طرحناه على صعيد العالم العربي . فلكل بلد عربي تقاليد محلية خاصة ، واوضاع اجتماعية ، وحضارية ، قد لا يشاركه فيها بلد عربي اخر ، ومن هنا كانت لكل بلد عربي بعض الاسماء والمصطلحات الخاصة ، واذا لم نتدارك معالجة هذه الفوارق فان الشقة ستزداد اتساعا وعمقا : لكل بلد لغته الخاصة . ولا يخفى ما في هذا الاتجاه من خطر على سلامة الفصحى التي تمثل المقوم الاساسي للوحدة العربية ، لذا يتأكد ان نعمل على توحيد المصطلحات حتى تلقن ابناءها في العالم العربية لغة مشتركة .

اما القسم الثالث المترجم صوتيا ، فقد تخلل الرصيد في كثير من المواطن (سلييت سليبات جيب - روبة (19) دوش ...

وهنا نجد انفسنا ايضا امام مشكل اخر اكثر تعقيدا ، وهو سيطره المصطلحات والاسماء الفرنسية في جميع مظاهر حياتنا اليومية ، ومختلف اوجه النشاط في بلادنا . فهل تستغني عن هذه الكلمات ؟ وقد فرضها الاستعمال - وليس في الفصحى ما يعوضها . وقد يرى

---

18) الرصيد محور الملابس صفحة 2
19) الرصيد محور الملابس - صفحة 5

بعضهم ان ادراج هذه الكلمات لا مانع فيه ما دام العرب قديما قد استعملوا الفاظا فارسية ويونانية وهو رأي صحيح - في حد ذاته - ولكن الخطر يكمن في ان الالفاظ الفرنسية تحتل كثيرا من اوجه النشاط الثقافي والتجاري ، والصناعي والفلاحي في بلادنا . فالتساهل في تقبل هذه الالفاظ يؤدي حتما الى ذوبان الفصحى وانحلالها . لذا يجب ان نعمل بتوصية المجامع العربية في استعمال الالفاظ الاعجمية عند الضرورة - على طريقة العرب في تعريبهم . مثل (20) تلفاز - تلفزة - «تلفن» - فرن

وهنا جملة من المصطلحات الفرنسية يبدو ان المجموعة لم تتوصل الى ان توجد لها ما يناسبها في العربية ، فاكتفت بترجمتها وشرح مدلولاتها في عبارة طويلة مثل الاختصاصات الطبية :

اختصاصي في تجميل الايدي ومعالجة امراضها :
اختصاصي في امراض النساء .
اختصاصي في امراض الاطفال .

اختصاصي في تجميل الارجل ومعالجة امراضها :

وكان عليها الاجتهاد في اختيار كلمة دقيقة مناسبة ، او حذفها من الرصيد باعتبار ان هذا الرصيد موجه الى التلاميذ وليس من غايته استيعاب كل المصطلحات : لان ذلك من مهام المعاجم المختصة ، على اني كنت اود لو عوضت تلك العبارات بمجموعات الفاظ على الاقل - (طبيب نساء - طبيب اطفال ...) .

والخلاصة ان الرصيد اللغوي يفتقر الى الغربلة والمراجعة ، وهو لا يخلو من اعتباطية ، وارتجال وسرعة ، وقد اقر المشرفون على اعداده بأن عملهم ليس الا محاولة لا تدعي لنفسها الكمال ، لذا طالبوا في ملتقيات متعددة الاساتذة والمختصين بابداء ارائهم ، ومقترحاتهم في هذه المحاولة ، وتقديم ما يرونه صالحا لتعويض مادة الرصيد بما هو احسن . والحقيقة - حسب رأيي - أن هذا الرصيد قد سد ثغرة في ثقافة التلميذ التونسي التي كانت - قبل ظهور

---

20) الرصيد - المواصلات صفحة 2

الرصيد - محصورة في الشؤون العاطفية والفكرية والروحية ، ولا ننكر نتائجه الايجابية في اثراء الزاد اللغوي للاساتذة المباشرين لتدريس مادة التنمية ، وللتلاميذ معا . فقد قام الاستاذان الحبيب عمار ، والحبيب الصدام ، بدارسة وصفية لوضعية التنمية اللغوية خلال السنة الدراسية 1975/1974 نشرت في المجلة التونسية لعلوم التربية (21) ، واثبتا خلالها ان نسبة 88،67 % من الذكور و 96،67 % من الاناث يستعملون مفردات التنمية اللغوية في حديثهم مع الاستاذ ، وتقل هذه النسبة عند الحديث فيما بينهم ، خارج القسم ، فتبلغ 61،88 % عند الذكور و 66،67 % عند الاناث) وقد اسهم في هذا الاستفتاء 300 تلميذ وتلميذة يدرسون ببعض معاهد تونس العاصمة ، وزغوان وقرنبالية .

ومهما كانت قيمة هذا الاستفتاء وطريقة اجرائه ، فانه يعطينا صورة تقريبية عن وضعية مادة التنمية ، وعن النجاح النسبي الذي حققه الرصيد . الا أن الذي يلفت النظر - حقا - هو ان نسبة الاستعمال لمفردات الرصيد تتضاءل في حديث التلاميذ والتلميذات مع عائلاتهم ، ولعلها تضعف عندما تبلغ الحياة العامة في المجتمع . وهنا نصل الى صميم المشكلة ، وهي : ان جهودنا في تنمية العربية لا تؤتي ثمارها كاملة ما دام المحيط الاجتماعي غير معرب . ولعلنا ننتهي بهذا التحليل الى الربط بين القسم النظري ، والتطبيقي من بحثنا . فتنمية اللغة العربية في التعليم الثانوي لا تكون الا بتعريب التعليم ، والمحيط الاجتماعي . ولا يمكن لاستاذ العربية مهما كان مجهوده جبارا ان يلعب بمفرده هذا الدور التاريخي الخطير ! فقضية التعريب قضية قومية ينبغي ان يسهم في حلها كل التونسيين . ولا بد هنا من الاشادة بما قام به الاستاذ محمد مزالي من جهود في دعم العربية والتعريب : فقد كانت مواقفه في هذا المجال متسمة دائما بالوضوح ، والصراحة والجرأة ، في كل مناسبة . وبعد فهل ادى التعليم الثانوي دوره في تنمية العربية ؟ .

---

21) مجلة علوم التربية - صفحة 15-16 .

الجواب - طبعا - نعم ، فقد اسهمت الزيتونة ، والصادقية ،، والخلدونية ، في المحافظة على العربية وحمايتها من اخطار الفرنسية ، التي كانت ترمي الى القضاء على الروح العربية ! فكانت هذه المعاهد مصدر اشعاع للثقافة العربية الاسلامية . كما قامت المعاهد الثانوية بعد الاستقلال بدورها في تطوير العربية ، وتنميتها ، بما ادرجته في برامجها الرسمية من محاور جديدة ، تتصل بالحياة العصرية وقضاياها الاجتماعية، والاقتصادية والعلمية، فأصبحت العربية بذلك لغة حية يعيش التلاميذ التونسيون بواسطة نصوصها الادبية ، والحضارية والعلمية ، مشاكل مجتمعهم ، وقضايا الانسانية عموما بعد ان كانت في عهد الحماية محصورة في الادب القديم واغراضه الواجدانية والفكرية . وكانت اهداف السياسة الاستعمارية انئذ - اشعار التلميذ التونسي بأن العربية ليست الا لغة المدح والهجاء ، والرثاء والغزل ، وان الفرنسية هي لغة الحياة والفكر الحي المتجدد !. غير ان ما حققته العربية من انتصار في عهد الاستقلال لا يعني انها قد بلغت ما نطمح اليه من شمول في برامجنا التعليمية وسياستنا التربوية : فمازالت بعض الرواسب الاستعمارية التي تعترض طريقها ، وتحول دون ذيوعها وانتشارها ، فلا بد من اجتثاثها لتنطلق العربية انطلاقتها الكبرى . لذا أقترح :

1) اعادة النظر في سياستنا التربوية على اساس التعريب الشامل ، والعمل بصورة جدية على وضع مخطط واضح المراحل ، نسهر جميعا على انجازه - في كنف الايمان ، والحماس الايجابي الواعي :

2)اعتبار الفرنسية لغة حية ينبغي ان تدرس كما تدرس كل لغة اجنبية في بلد مستقل له شخصيته الثقافية الحضارية واللغوية .

3) تنمية اللغة العربية لا تكون بتعريب العلوم الانسانية (الفلسفة والتاريخ) - فقط - وانما تكون بتعريب العلوم الصحيحة بصورة تدريجية بناءة .

4) تكوين مجمع علمي تونسي يشرف على اعداد المصطلحات العلمية ، لتوفير اسباب النجاح للتعريب الشامل .

5) العمل على توحيد المصطلحات تجنبا للتشتت والحيرة .

6) تبني الالفاظ العامية على ان تطبع بفقه اللغة العربية .

هذه بعض المقترحات التي بدت لي وجيهة ـ للنهوض بالعربية ـ . وهي وان لم تكن جديدة فانها تؤكد ما نادى به كثير من اساتذتنا ، ومفكرينا في مناسبات متعددة ، وملتقيات كثيرة من السعي الجاد للتعريب ، وتطوير اللغة العلمية . ومن المعلوم ان النهضة لا تكون في الاهتمام بالجانب الاقتصادي ، والفلاحي ، والصناعي ، فقط بل لا بد ـ ايضا ـ من الاهتمام بالجانب الروحي ، وتكريس الجهود للنهوض باللغة العربية،وتعريب المحيط،وانشاء ثقافة تونسية عميقة الجحذور متفتحة في غير ذوبان ، اصيلة في غير تحجر ، ولعمري ان هذا مطمح زعماء الاصلاح في تونس : هو مطمح قابادو ، وخير الدين ، والبشير صفر ، والحبيب بورقيبة ... فلنسر على هذا الدرب .

ملحق : مجالات المفاهيم

أ ـ الانسان وحاجاته :

ـ جسم الانسان :

1) اعضاؤه والافعال المتعلقة بها

2) صفاتــه .

3) الحواس وما اليها

ـ الحياة العاطفية .

ـ الحياة العقلية .

ـ النظافة والتجميل .

ـ المرض والحوادث والعلاج .

ـ الرياضة .

ـ اللعب

ـ الترفيه والافراح .

ـ الملابس .

ـ الطعام والشراب .

ب ـ الانسان في محيطه الصغير :

ـ العائلة

1) اعضاء الاسرة .

2) اطوار حياة الانسان .

ـ المسكـن :

1) اجزاؤه واثاثه .

2) تدبيـره .

ـ الحياة المدرسية :

1) الاجزاء والاثاث والادوات .

2) الحياة المدرسية .

ج ـ الانسان في محيطه الكبير .

ـ الحياة الاجتماعية

1) الدين والاخلاق .

2) الصلة بالغير .

ـ في المدينة والقرية .

ـ الاسفار ووسائل النقل .

ـ الحياة الاقتصادية .

1) الفلاحة .

2) الصنائع والمهن .

3) التجارة .

ـ الحيوانـات :

1) الحيوانات الاهلية .

2) الحيوانات البرية .

3) الطيـور .

4) الحشرات والزواحف .

5) الاسماك والحيوانات البحرية .

- الكون والطبيعة .
- الزمـــان .
- الدولة ومؤسساتها .

د - الادوات والالفاظ المشتركة المجال :

- العدّ والتقدير .
- ادوات المعانـي .
- الافعال المشتركة المجال .
- الاوصـاف :
  1) الالوان .
  2) الاشكال .
  3) الاوصـاف العامة .
- المصطلحات العلمية والتقنية .

خواطر في لغة الصّحافة

نور الدين صمود

ان لغة الصحافة هي لغة الحياة الحية ، التي تساير الحياة والواقع ، وتعبر عن المجتمع في حاجياته ومتطلباته اليومية ، وادواته التي يستعملها في البيت والشارع ، والمكتب والمقهى ، وفي كل مكان . واصحابها الذين يسبقون المجامع اللغوية الى وضع الالفاظ : لان الحاجة تفتق الحيلة كما يقولون . ولا ينتظرون التوصيات المجمعية الموسمية التي تصدر في سعة من الوقت .

واللغة الصحافية - رغم اعتمادها على الاسلوب الفصيح - وقد تضطر احيانا - الى استعمال كلمات معربة ، اودخيلة او عامية، تقتضيها الحضارة ، وتفرضها الحياة ، لكنهم يخضعونها - عندما يكتبونها - الى الاسلوب الفصيح ، فتبدو في - أول الامر - نافرة ناشزة ، لكنها لا تلبث - بالاستعمال - ان تصير مالوفة مانوسة ، كأنها فصيحة عريقة في فصاحتها . (كالرسكلة) التي شاعت بتونس في السنوات الاخيرة . (الكوادر) الشائعة في الشرق . وكل منهما من الدخيل حديثا .

على اني - لا ازعم ان الصحافيين ولوعون بالدخيل او المعرب يلتجئون اليه في كل ان ، بل على العكس من ذلك نراهم يحاولون استعمال الفصيح السليم من الالفاظ العربية ، ولا يلتجئون الى غيرها

من الالفاظ الا متى كان الامر ضروريا - لا مندوحة عنه . (كالرسكلة) التي يصعب ان نجد لها مقابلا فصيحا في مثل خفتها .. ولم يفعلوا مثل اخواننا المشارقة في كلمة (الكوادر) الدخيلة بل عربوها بما يقابلها فقالوا (الاطارات) بصيغة جمع المؤنث السالم ، ولم يستعملوا جمع التكسير : (الاطر) كما عربها بعض المشارقة الاخرين .

والحقيقة ان الصحافيين التونسيين اشد تعلقا بالكلمات الفصيحة من اخوانهم في بعض بلاد المشرق العربي ، الذين تراهم اكثر مناجراة على استعمال غير الفصيح .

وساكتفي - كدليل على ذلك - بتقديم نماذج من جريدة (عكاظ) السعودية ، التي تحمل اسم سوق من اشهر اسواق العرب ، كان يلتقي فيها الشعراء والخطباء ، والبلغاء ، وتصدر هذه الجريدة في الارض التي ترعرعت فيها اللغة العربية الفصيحة ، ونبغ فيها ارباب اللسان العربي ، ونبعت منها لغة القران ! ، والملاحظ ان هذه النماذج قد اخترتها من عدد واحد ، من هذه الجريدة ، صادر بتاريخ 1977/10/26 .

1) تحت عنوان (3كبائن هاتفية جديدة بمنى وعرفات) .
قرأت الخبر التالي : يجري حاليا تركيب

كبائن : هاتفية بمسطح منى ، كما يتم تركيب **كابينتين** للهاتف الالي ايضا في عرفات ، وذلك بعد ان تم تمديد **كوابل** هاتفية في عدة مناطق بمنى ، وقال ... ان هذه **الكبائن** الهاتفية ستؤدي خدمتها بالاضافة الى المركز الرئيسي في كل من منى وعرفات) .

والملاحظ انه من السهل ان نجد مرادفا لكلمتي **كوابل وكبائن** فالصحافيون في تونس قلما يستعملون هذا الاستعمال للالفاظ الاجنبية .

وفي نفس العدد من جريدة (عكاظ) قرأت هذه النصيحة القصيرة الى المرأة :

(لا تتركي انواع **الباتية** الذي يدخل في تركيبه **القشطة** داخل

الفريزر اكثر من 6 اسابيع ، ويستحسن تغطيتها **بالكريمة** قبل حفظها .

ويمكنك حفظ الكريمة في الثلاجة اطول مدة ممكنة اذا كانت **مضروبة ضربا جيدا** ، ومضافا اليها قليل من السكر) .

فكلمات : الباتية ، والقشطة ، والفريزر ، والكريمة وتعبير : (مضروبة ضربا جيدا ، يانف الصحافيون التونسية من استعمالها ، ويبحثون لها عن مرادف عربي فصيح .

وفي نفس العدد من جريدة عكاظ ، نقرأ هذا الخير : (عالم **اكسسوار** المرأة ليس فيه **غريبابل** على العكس فعواصم **الموضة** تجري وراء كل غريب لتجعل منه **تقليعة** الموسم) .

ففي هذه الجملة القصيرة ، نجد مجموعة من الكلمات غير الفصيحة هي : اكسسوار ، والموضة ، وتقليعة الى جانب الخطأ النحوي في قوله :**ليس فيه غريبا** .

وقبل ان اتحدث عن الاخطاء النحوية في الصحافة اشير ، الى بعض الكلمات غير الفصيحة الواردة في نفس العدد من جريدة عكاظ مثل : فساتين سيدات ، احدث الموديلات ، شنط يدوية ، تشكيلة اكسسوار - والجبن المبشور - والفرن - وغيرها ، وتكثر هذه الالفاظ خاصة في الاعلانات ، والاركان الاجتماعية التي لها مساس بالحياة . في خبر قصير بنفس العدد وردت كلمة (سفلتة) الطرق ست مرات ، وفي تونس نستعمل كلمة (تعبيد) الطرقات ، والتعبيد فصيحة قديمة منها قول طرفة بن العبد :

وافردت افراد البعير المعبد

اي المطلي بالقطران ، وكانوا يطلون الحمال بالقطران اذا اصيبت بالجرب ، ويفردونها لكي لا تعدى بقية القطيع .

وفي المنجد : (عبد الطريق : ذلله ومهده ، والطريق المعبد : المذلل) وحتى كلمة (المزفت) التى تستعمل فى العامية التونسية ، فهي فصيحة : فقد جاء في الصحاح الجوهري : (الزفت بالكسر : القير ومنه المزفت تقول : جرة مزفتة اي مطلية بالزفت) و و عرف

القدماء الطرقات التي نعرفها في هذا العصر لقالوا : (الطرقات المزفتة) .

واعود الى الاخطاء النحوية في الصحافة فهي كثيرة . ومن حسن الحظ ان المطابع التي تطبع الجرائد لا تشكل الحروف ، لذلك لا تظهر الاخطاء الا في المثني الذي يرفع بالالف وينصب ويجر بالياء الساكنة ، وفي الجمع المذكر السالم الذي يرفع بالواو وينصب ويجر بالياء اللينة : فمن نفس العدد من الجريدة المذكورة انفا ، اقتطف هذه النصيحة الى المرأة وهي لا تخلو من الفاظ دخيلة الى جانب الاخطاء النحوية المتمثلة في عدم جر ونصب المثنى بالياء : (عيناك تحتاج (كذا) منك الى عناية خاصة : فبجانب الاهتمام **بالماكياج** المناسب لهما ، لا بد من حمايتهما من التوتر والتعب .

يمكن اداء هذه التمارين ببساطة ... تخيلي نفسك تنظرين الى ساعة كبيرة وحركي **عيناك** ببطء حول المكان الذي يشير الى الساعة الثانية عشرة ، دون ان تحركي رأسك معها ، عودي **بعيناك** الى وسط الساعة واتركيهما ترتاحان هناك **لثانية** او ثانيتين ، ثم انظري بعد ذلك الى الساعة الواحدة ، وعودي ثانية **بعيناك** الى وسط الساعة لترتاحا هناك كالسابق . وهكذا تجولي **بعيناك** حول ارقام الساعة بكاملها عشر مرات ، على ان ترتاحي لمدة دقيقة واحدة بعد كل جولة .

جربي هذه التمارين ، اذا اصبت بوجع الراس فيزال الصداع تدريجيا) (1) .

على ان هذا الخطأ ليس جديدا : فقد قرأت الخبر الطريف التالي في كتاب قديم : (وقف نحوي على بقال وقال له : بكم تانك التفاحتان اللتان بجانبهما الرمانتان ودونهما البطيختان ؟ فقال له البقال ساخرا من تفاصحه : بضربتان ولكمتان وصفعتان فبأي الاء ربكما تكذبان) ولا يدخل في هذا الباب قوله تعالى (ان هذان لساحران) فهذا **كالورد** يشم ولا يحك ويحتاج الى بحث طويل .

ويكثر الخطأ في المثنى والجمع المذكر السالم في صحافتنا عندما

يتقدم خبر (كان) او احدى اخواتها على اسمها ، او يتقدم خبر ان او احدى اخواتها على اسمها لسبب من الاسباب .

فقد قرأت في احدى صحفنا : (اصبح امام الاديب العربي طريقين ...) والصواب : طريقان لانه مبتدأ مؤخر . وقدم الخبر لانه ظرف .

(1) وبمناسبة ظهور الاخطاء النحوية في المثنى فقد قرأت في جريدة بلادي بتاريخ 1977/12/19 عنوانا ـ الى جانب صورة تمثل رجلا طويلا واخر بدينا من انقلترا والعنوان هكذا : ابدن وأطول انقليزيان) بالرفع عوض انقليزيين بالجر .

وقرأت ايضا : (لا مانع من ان يكون لابنك صديقا ....) والصواب : صديق .

وقرأت ايضا : (ان في هذه الاشرطة خطران كبيران : والصواب : خطرين كبيرين .

ويكثر لدى بعض الصحفيين خطأ اخر وهو تعدية بعض الافعال بالحرف ، ، في حين انه يتعدى بنفسه وقد يحدث العكس .

فقد قرأت هذه الفقرات في بعض الصحف :

1) اعطى له شخصية جاهزة : والصواب : اعطاه
2) منح لها منحة : والصواب : منحها .
3) عندما يتذكر المرأة التي سلبت له حافظة نقوده : والصواب سلبت .

وهناك خطأ اخر شبيه بهذا ، وهو معروف عند العرب القدماء باسم «التضمين» اي ان تتضمن كلمة معنى كلمة اخرى ، فتأخذ حكمها ، وتعامل معاملتها مثل قولهم :

« كل واحد منا مجبر باتمام عمله .. « فقد تضمنت كلمة « مجبر » معنى كلمة « ملزم » او « مطالب » اذ انه يقال : ملزم بإتمام عمله ، أو مطالب بإتمام عمله ، ولا يقال : مجبر بإتمام عمله الا من باب « التضمين » .

والتضمين باب واسع الف فيه الدنوشري رسالة سماها «رسالة التضمين » وهو لا يعد عيبا (اذ انه موجود في كتابات القدماء ، وحتى في القران الكريم ، ولكن لا يسمح باستعماله لكل من هب ودب كي لا تفقد العربية مميزاتها ويضعف اسلوبها ، ولعل من اشهر التضمينات التي نحن بصددها قول المصلي اثر وقوفه من الركوع : « سمع الله لمن حمده » فقد تضمن فعل (سمع) هنا معنى « استجاب » اي : (استجاب الله لمن حمده ، واستدلوا على ذلك بأن « سمع » لا يتعدى بالحرف ، بل يقال « سمع الله من حمده » كما قال تعالى (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ، وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما « فلم يتعد هذا الفعل بحرف الجر في المرتين المذكورتين في هذه الاية » على ان « استمع » لا يتعدى باللام بل بالي .

(التحرير بالمقص)

وهناك افة اخرى من الافات التي توقع الصحافة في اخطاء متنوعة ، وهي افة التحرير بالمقص .

اولا : ما هو التحرير بالمقص ؟

نحن نعرف ان المحرر يحرر عادة بالقلم ، لكن القارىء الفطن يدرك ان بعض الفقرات مقصوصة بالمقص ، ولم يتدخل فيها القلم ابسط تدخل ، واليكم هذه النماذج من الاخبار التي تؤكد انها مقصوصة بالمقص من جرائد شرقية بدون اي تحوير :

1) تؤكدالاوساط الفنية ، ان المطرب **محرم فؤاد** سيتزوج الفنانة الايرانية جوجوش ... هكذا بالجيم ، وطبعا فان المقص هو الذي اقتطع الخبر بالجيم كما يكتبه المصريون ، فهم ينطقون الجيم كما ننطق نحن القاف المثلثة ، ففي تونس نكتبها « قوقوش » بقافين مثلثتين .

وبالمناسبة فقد قرأت هذا الاسم في بعض جرائدنا باشكال اخرى حسبما تكتبه البلدان التي قص من جرائدها الخبر ، فقد رأيته مرة (غوغوش) بالغين ،ومرة اخرى «كوكوش» بالكاف ، وفي المغرب

يضعون فوق الكاف نقطة ليصير قافا مثلثة ، وفي العراق يضيفون مطة اخرى فوق الكاف كهذا : كـ مثل الفرس لتصير كالجيم المصرية .

والحقيقة ان كل هؤلاء ينطقون الاسم (قوقوش) ، ولكنهم يختلفون في طريقة الكتابة فقد : « تعددت » الاسماء والشيء واحد « ولكن هذا دليل على استعمال المقص في كتابة بعض الاخبار .
- وقد قرأت اكثر من مرة ، في جرائدنا التونسية ، ان الشيء الفلاني قد وقع في شهر نيسان ، او تموز ، او كانون ، او اغسطس ، وبذلك اكتشف ان المقص هو الذي حرر هذه الفقرة ، ولم يتدخل فيها حتى قلم الاصلاح بشيء من التغيير والتونسة .

- وكم قرات ايضا في جرائدنا عن مقاييس بعض الاشياء فاذا هي كذا «ياردة» «او كذا» «بوصة» وعن ارتفاع بعض الاشياء فاذا هي كذا «قدم» ولو ان الذي حرر او ترجم ذلك الخبر صحافي تونسي لاستعمل غير «الياردة» و «البوصة» و «القدم» في مقاييسه لافهام القارىء التونسي الذي لا يعرف مقدار «الياردة» و «البوصة» و لا «القدم» وانما يعرفها اخواننا المشارقة ممن احتكوا بالانقليز وخبروا مصطلحاتهم .

وقد اقترحت مرة على بعض الاخوان من الصحافيين ان يضعوا في مكاتبهم قائمة باسماء الشهور ، يلتجئون اليها كلما اقتنوا خبرا من جريدة شرقية ، وهي في لبنان وما جاورها :

1) كانون الثاني - 2) شباط - 3) اذار - 4) نيسان - 5) ايار - 6) حزيران - 7) تموز 8) اب - 9) ايلول - 10) تشرين الاول - 11) تشرين الثاني - 12) كانون الاول على ان يراعوا الاختلاف في تسمية الاشهر : ففي مصر مثلا يستعملون اسماء اخرى مغايرة بعض الشيء للاسماء المذكورة . وليس في ذلك أية صعوبة . كما اقترحت عليهم ان يبحثوا عما يساوي « الياردة » و « البوصة » و « القدم » وما اليها ليعوضوها بما يفهم في تونس - عند اقتطاف خبر شرقي يحررها بالمقص - فرحبوا بهذا الاقتراح ، لكني فوجئت بانواع اخرى من اخطاء التحرير بالمقص .

فقد قرأت مرة خبرا عن احد الممثلين الامريكيين المشاهير ، وعن اخر شريط مثل فيه ، وانتهى الخبر بهذه الجملة : « وقد شاهد جمهور المتفرجين العراقيين هذا الشريط في الاسابيع الاخيرة الماضية ... « فقلت : ماذا يهم القارىء التونسي ان يكون جمهور المتفرجين العراقيين بالذات قد شاهدوا هذا الشريط ؟ لكني انتبهت الى الحقيقة وهي : ان هذا الخبر قد حرر بالمقص ، ولم يقع فيه التصرف بالقلم البتة ، بل اقتطع من جريدة عراقية ونشر بحذافيره .

وكثيرا ما قرأت في جرائدنا خبرا يذكر فيها اسم اليوم الذي وقع فيه ذلك الخبر .

قرأت مثلا :«توفيت يوم الاثنين الماضي الفنانة« فلانة الفلانية» وهي مصرية معروفة ـ وكانت الجريدة التي نشرت ذلك الخبر صادرة يوم الثلاثاء . فما هو يوم الاثنين المقصود في هذا الخبر ؟ هل هو يوم امس ام الاثنين الاسبق ؟

لو كان الخبر سياسيا من الاخبار الهامة التي تتناقلها وكالات الانباء بسرعة لصدقنا انه يقصد يوم امس ، لكن الخبر فني يتحدث عن فنانة من الدرجة الثانية او الثالثة ، بحيث لا يمكن ان يكون الخبر قد وصل من مصر الى تونس بمثل هذه السرعة ، خاصة اذا علمنا ان الجريدة وقع اعدادها يوم امس . وامثال هذا الخبر كثير في صحافتنا ، وهو يؤكد ما ذكرته انفا من عيوب التحرير بالمقص ، ولكن لا دخل له في لغة الصحافة .

وهنا خطا اخر يقع خاصة في بعض الافعال الناقصة اي المعتلة الاخر : فكثيرا ما قرأت كلمة (المتوفى) التي هي اسم مفعول من المزيد (يصاغ على زنة مضارعه بابدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل اخره) هكذا : (المتوفي) بصيغة اسم الفاعل « اي بكسر ما قبل اخره » .

وقديما رووا ان رجلا سال رجلا وقد رأى جنازة ، فقال : من المتوفي ؟ (بصيغة اسم الفاعل) فاجابه : الله ، فقال الرجل : يا كافر

هل الله يموت ؟ فأجابه : لعلك تريد ان تقول : من المتوفّى ؟ (بصيغة اسم المفعول) فبهت الذي كفر .

وكثيرا ما يقع الخلط بين (الضاد والظاء) خاصة في الكلمات التى يقل استعمالها ، وتداولها ، مما يشتمل على احد هذين الحرفين . ولعل هذا يكون من باب الاخطاء المطبعية ، فكثيرا ما تتحمل المطبعة اخطاء الكتاب ، وكثيرا ما تورط الكتاب في اخطاء مخجلة .

اما اذا استشهد الصحافي ببيت من الشعر فقلما يسلم من الخطا :

قرأت مرة في جريدة :

ثلاثة ليس لها وجود : الغول والعنقاء والخل الودود وواضح ان كلمة «الخل» في العجز زائدة يختل بها الوزن .

وقرأت اخيرا في جريدة تونسية تصدر بالفرنسية بيتا شعريا كتب بالحروف العربية هكذا :
اذا كان رب البيت بالدف ضاربا : فلا تلومن الصغار على الرقص . والعجز مختل الوزن ولعل صواب البيت :
اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا:فلا تلم الصبيان يوما على الرقص فكم لفق الشعراء الشعر بكلمة (يوما) واضرابها .

وقد تقع الاخطاء حتى في بعض الايات القرانية والاحاديث اليومية او قد يتسرب الى القران او الحديث ما ليس منهما ، وعذر الصحافي في ذلك ضيق الوقت ، فالمطبعة لا تمهله ولا تنتظره حتى يثبت ويحقق ويراجع .

ومن الاخطاء ايضا عدم ربط الجزاء بعد (اما) بالفاء) فهم يقولون احيانا (اما هذا الرسام يمتاز باسلوب واضح ..) والصواب (اما هذا الرسام فيمتاز ...) وقد قال تعالى : (واما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) وقد شاع الخطأ المذكور في التلفزة التونسية بحيث نسمع مقدمات البرامج التلفزية يقلن بين كل فقرة وفقرة (اما الان اليكم كذا ...) والصواب : (اما الان فاليكم ...) .

واختم عرضي للاخطاء التي تقع فيها الصحافة بالاشارة الى هذا الخطأ ، وهو مخالفتها لقاعدة من اشهر قواعد النحو ، في اولى صفحاتها ، فالنحويون لا يجيزون ان يعود الضمير على متاخر لفظا ، ورتبة ، فلا يجوز ان تقول : (كتبته الدرس) فالضمير في (كتبته) يعود على (الدرس) الذي ذكر بعده ... لكن لا يخلو غدد من جرائدنا من هذا العنوان (بعد لقائه برئيس الجمهورية صرح فلان ..) فالضمير في كلمة (لقائه) يعود على (فلان) وهو متأخر لفظا ورتبة .

وكنت اظن أن الصحافيين يريدون ان يذكروا رئيس الجمهورية) قبل « فلان » ليعطوه الصدارة لذلك لم يقولوا : (صرح فلان بعد لقائه برئيس الجمهورية ..) كما تقتضيه القاعدة النحوية ، لكني ادركت انهم لا يخالفون هذه القاعدة لهذا السبب . فقد رأيتهم يقولون : (بعد تنصيبه لفلان الفلاني ، القى الوزير الفلاني خطابا في الاطارات ...) حتى شاع هذا الاسلوب ، فصار يستعمل مع من يستحق التقديم ومع من لا يستحق التقديم . فقد قرأت اخيرا في جرائدنا هذه الفقرة :

في اخر اعدادها كتبت مجلة كذا - والمقال مترجم - فادركت انه اسلوب مترجم من الفرنسية ، بدون مراعاة للاسلوب العربي الذي لا يجيز ان يعود الضمير على متاخر لفظا ورتبة الا نادرا لاسباب بلاغية معروفة كقولهم (في بيته يؤتى الحكم) واشباهها .

تلك هي بعض الملاحظات السريعة عن لغة الصحافة . وقد قلت في البداية انها لغة الحياة ، ولست اعد الاخطاء التي ذكرتها عيوبا خطيرة ونقصا فادحا بل اقول : انها عيوب طفيفة يحسن التخلص منها . وهو امر ليس مستحيلا ولله در ابي الطيب المتنبي حيث قال :

ولم ار في عيوب الناس شيئا : كنقص القادرين على التمام .
وهذا التمام الذي انشده ليس على ذوي العزائم الصادقة بعزيز .

وفي الختام الاحظ ان الصحافيين وحتى الادباء يرتكبون اخطاء

لم تعد الان اخطاء، لانها شاعت وفرضت نفسها على الكتاب والقراء ولو عدت الى هذا الموضوع ، الذي رصدته لذكر الاخطاء الشائعة في الصحافة ، لوجدت فيه اشياء غير فصيحة مثل كلمة (التحوير) التي اصرت على استعمالها . بينما هي غير فصيحة وصوابها (التنقيح) وكلمة (هناك) التي وردت في هذا المقال عدة مرات وهي في الحقيقة اسم (اشارة للمكان) لكني استعملتها بمعنى (يوجد) وبهذا المعنى شاعت حتى اكتسبت حكم الفصيح .

وأنا هنا لا أقف موقف المتزمت المطالب بمعاداة كل جديد في سبيل العودة الى الاساليب الموغلة في القدم ، الواقفة في ميدان الفصاحة بالف قدم ، بل اطالب بالتخلص مما هو سقيم ، رديء مردود ، وبالتعلق بكل ما هو مستقيم سليم ، كلما امكن ذاك وتيسر .

وبديهي اني لا اوجه نقدي الى الصحافيين خاصة بل اقول : ان كل من كتب باستمرار فيها ، اوقعته الكثرة في الاخطاء ، ولله قول من قال : قلّما يسلم المكثار ، من العثار) ثم ان ابواب الجرائد تتفاوت في كمية الاخطاء فهي تقل في الصفحات الثقافية ، وتكثر في غيرها لاسباب تتعلق بالموضوع وبالكاتب .

واني في النهاية لارجو ان يرتفع مستوى لغة الصحافة بما يبذلونه هم ، جادين في سبيل ذلك ، وبما يوفر لهم من الامكانيات لتحقيق ما نصبو اليه جميعا .

نظرية التطعيم الإيقاعي في الفصحى

البشير بن سلامة

لم يزل علماء اللغة العربية ينكبون على قضايا الفصحى : بحثا ، وتنقيبا ، ودراسة ، وتنظيرا ، وتطبيقا . وان المؤلفات المتداولة بين الناس في هذا الباب ، والمعروفة لدى اهل الاختصاص ، تعد بالمئات والمئات ، لان الاهتمام باللغة هو في الواقع اهتمام بحياة الانسان . وما من أمة أهملت لغتها ، ولم تنّمها الا وعرّضت نفسها للذوبان في غيرها ، وسارت حثيثة الى الانتحار .

لهذا فان كل الامم الحية اهتمت وتهتم بطرق تنمية لغتها ، حتى تبقى دائما مستجيبة لمتطلبات الحياة ، فلا تتأخر عن ركب الامم الاخرى ولا تبقى مستهلكة ، بل خلاقة ، علما بأنه لا يمكن الخلق مهما كان علما ، أو تقنية أو أدبا ، الا في اللغة الامّ : هي سنّة من سنن الكون لا « حيلة » في تبديلها ولا مناص من الخضوع اليها .

وان اهل العربية تسابقوا ـ منذ القديم ـ في بحث طرق نمو اللغة الفصحى ، ودراستها ، وما زالوا الى الان ـ ومعهم المستشرقون ـ يستقصون اسرار العربية ، ويضبطون القوانين التي سمحت وتسمح بتنميتها ، وجعلها تواكب اللغات الحية . واهتموا خاصة بالالفاظ وظواهر تغيّرها ، وقالوا بالقياس ، والاشتقاق ، والقلب ،

والابدال والنحت ، والارتجال والاقتراض ، وتوسعوا في هذه الظواهر بصورة مدهشة ، ولكنهم لم يولوا نفس العناية بالجملة وخاصة بنواميس تغيرها ، لا من حيث التراكيب بل من حيث موسيقاها ، ونبراتها ، وايقاعاتها ، وبكلمة اوضح بهذا الذي يجعل الجملة متعانقة مع الحياة الحية ، معبرة عن حركية الواقع وتموجاته متطلعة الى القفز في مجاهل المستقبل ، لا تشدها روابط الماضي الا بالقدر الذي يحفظها من السقوط ويقيها من الجمود .

نعم اهتم الباحثون والدارسون بموسيقى الشعر واوزانه ، ولكنهم لن يفيضوا في سرّ حيّويته وحركيته : وهو الايقاع ، اللهم الا في هذه السنوات الاخيرة . ولست بحاجة الى اعادة ما كتبته منذ سنة 1969 في هذا الباب ، ودونته في كتاب بعنوان (اللغة العربية ومشاكل الكتابة (1) . خاصة انني انوي في هذا البحث التقدم اشواطا في بعض الاراء التي صدعت بها في هذا الكتاب ، وهي مازالت تحتاج الى المواصلة والانطلاق بها في مجال التجربة والتجريب وان الذي يثلج الصدر هو ان عدة دراسات اتجهت الاتجاه الصحيح في دراسة الايقاع ، وخرجت من المسارب التي تردّى فيها كثير من العلماء احقابا واحقابا - ولم يتمكنوا من الخروج منها الى مسارب اخرى تؤدي الى الغاية المنشودة في العثور على حقيقة اسرار حيوية اللغة العربية الفصحى ، ويكفيني راحة للضمير ، ان كنت الدافع الى بعض هذه الدراسات ، سواء اشار اصحابها الى ذلك ام لم يشيروا .

واذا كان اهل العربية لم ينتبهوا كثيرا الى ضرورة اعداد قاموس ايتيمولوجي يضبط قصة الالفاظ العربية ، وتطور معانيها حسب الفترات والاعلام ، فانه من باب اولى واحرى الا يتفطنوا الى دراسة تطور الايقاعات في الجملة العربية ، على حسب العصور والاعلام وان هم اهتموا من حين لاخر بصورة من الايقاعات في الشعر عن طريق البحور والاوزان ، والحال ان اهم ما يظهر من تغير للايقاع

(1) - اللغة العربية ومشاكل الكتابة ، الدار التونسية للنشر 1971

في الجملة العربية هو في النثر قبل كل شيء . وهو ظاهر بارز عند عباقرة العربية ، يحس به كل قارىء مطلع ، ويعزوه النحاة الى تطور في التركيب ، او من باب افتراض الاساليب من اللغات الاجنبية من دون ان يغوصوا الى اعمق من هذا .

واذا هم علموا واكدوا ان بالاسلوب تتغاير الكتابات ، ولا حظوا ان الجملة العربية تطورت ، ونمت بعوامل عديدة اجتماعية ، ونفسانية ، وغيرها ، فانهم لم يخرجوا بهذا المفهوم - اي الاسلوب - من الغموض الذي يكتنفه ، وراحوا يخلطون بين المبدع والمقلد . بينما بيّنت سابقا ان هناك الاسلوب من جهة واللغة التجاوز (2) من جهة اخرى ، وان الذين طوروا الجملة العربية النثرية على حسب مفهوم اللغة التجاوز قلة قليلة من امثال عبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع ، والجاحظ ، والتوحيدي ، وابو الفرج الاصبهاني ، وابن خلدون ، وطه حسين ، ومحمود المسعدي ، بقطع النظر عن الجملة الشعرية واقطابها .

ولئن وجهت الاسلوبية الحديثة البحث والدراسة وجهة جديدة بالاعتماد على الالسنية ، فانها لم تفد الدراسات اللغوية العربية : اذ هي مازالت في خطواتها الاولى ، لم تهضم مفاهيمها بعد ، او هي لم تبلغ دعوتها بعض لغويينا الاكارم . ولهذا فان الوجهة الصحيحة للبحث لا تتجه هذا الاتجاه ، بل هي في ظني من الواجب ان تسلك المسلك الذي به تصل الى ضبط الوحدة الايقاعية في الجملة العربية سواء الشعرية منها او النثرية .

وقد نبهت بالنسبة للشعر الى ان التفعيلة لا يمكن ان تكون وحدة ايقاعية ، بل هي وحدة عروضية ، او دائرية تقريبية (3) وعرضت حينذاك اقتراحا ، من حسن الحظ ان تجاوزته دراسات هامة صدرت في ذلك ، وركزت البحث نحو هذا الاتجاه ، وأفادت كثيرا ،

---

2) - نفس المرجع - الفصل الرابع من الباب الثالث ص. 186

3) - انظر كتاب اللغة العربية ومشاكل الكتابة تاليف البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر 1971 ، الفصل الثالث من الباب الثاني ص. ص. 119 - 128 .

ومن واجبي ان أنبه اليها لا نها ستفيدنا في فهم النظرية التي سأعرضها بعد حين .

اريد أن اذكر قبل ذلك بكتاب الدكتور محمد طارق الكاتب ، ولو أنه لم يبحث عن الوحدة الايقاعية لا لشيء الا لانه خرج عن الطرق القديمة ، اذ أقر طريقة اخرى في ضبط موازين الشعر العربي باستعمال الارقام الثنائية (4) ، وترجم المصطلحات العروضية المعروفة ثم التفاعيل بالارقام الثنائية مثل هذا الجدول .

التسلسل	الصفة	المصطلح العروضي	المصطلح بالارقام الثنائية	المصطلح بالارقام العشرية
1	حرف متحرك واحد	لا يوجد	0	0
2	حرف ساكن واحد	لا يوجد	1	0
3	حرفان متحرك ثم ساكن	سبب خفيف	10	2
4	حرفان متحركان ثم حرف ساكن	وتد مجموع	100	4
5	ثلاثة احرف متحركة ثم حرف ساكن	فاصلة صغرى	1000	8
6	اربعة احرف متحركة ثم حرف ساكن	فاصلة كبرى	10.000	16

ولعل هذه الدراسة الهامة ونتائجها صالحة لتستعمل عن طريق الدماغ الالكتروني لغاية الظفر بالوحدة الأيقاعية في الشعر العربي .

وان ما كتبه الدكتور كمال ابو ديب كبديل جذري لعروض الخليل في كتابه «في البنية الايقاعية للشعر العربي» (5) لجدير بالعناية اذ انه يصل الى ان الايقاع العربي لا يخرج عن وحدتين ايقاعيتين (فا) و (علن) ثم هو يجد بعد ذلك ثالثة (علتن) ولعله على صواب ، لان ذلك يوافق ما عرفته السليقة العربية منذ القديم : اذ جاء (6) في

4) ـ الدكتور محمد طارق الكاتب ، موازين الشعر العربي باستعمال الارقام الثنائية البصرة 1971 .

5) ـ الدكتور كمال ابو ديب ، في البنية الايقاعية للشعر العربي (نحو بديل جذري لعروض الخليل ومقدمة في علم الايقاع المقارن ، دار العلم للملايين بيروت 1974 .

6) ـ العروض تهذيبه واعادة تدوينه صنعه الشيخ جلال الحنفي ، الجمهورية العراقية وزارة الاوقاف مطبعة العاني بغداد 1978 .

«التوشيح الوافي والترشيح الشافي في شرح التأليف الكافي في علمي العروض والقوافي » لابن حجر العسقلاني - بعد اسقاط السند - عن الحسين بن يزيد انه قال « سالت الخليل عن علم العروض فقلت هل عرفت له اصلا ؟ قال نعم ، مررت بالمدينة حاجا ، فبينما انا في بعض مسالكها اذ نظرت لشيخ على باب دار وهو يعلم غلاما وهو يقول له :

نعم لا نعم لالا نعم للا   نعم لا نعم لالا نعم للا

فدنوت منه وسلمت عليه ، وقلت له ايها الشيخ ، ما الذي تقوله لهذا الصبي ؟ فقال هذا علم يتوارثه هؤلاء عن سلفهم ، وهو عندهم يسمى التنعيم ، قلت : لم سموه بذلك ؟ فقال لقولهم : نعم نعم ، قال الخليل : فقضيت الحج ثم رجعت فأحكمته » وفي « بغية المستفيد من العروض الجديد » للاستاذ علي ابو الخشب ما نصه : فيما يروى عن الخليل نفسه انه كان بالصحراء فرأى رجلا قد اجلس ابنه بين يديه واخذ يردد على سمعه « نعم لا نعم لالا نعم لا نعم لالا » مرتين ، فسأله عن هذا ، فقال انه التنغيم بالغين المعجمة - نعلمه لصبياننا . وقد تكون لهذا النص قيمة تاريخية مقبولة . ولكن مما يجب ان يعلم ان الرواية لا تشير الى ان ذلك كان معروفا لدى الشعراء في الجاهلية ، او كان ذلك من بعض أدبهم ، وما نسب الى امرىء القيس من مثل قوله :

ألا لا ألا إلّا : ألا لا ألا إلى
فعولن مفاعلين : فعولن مفاعلن

لا يمكن ان يكون الا شيئا وضع لوزن الشعر بعد عصر الجاهلية ، فألحق بأبيات امرىء القيس او ادعى له ، او انه مما صنعه المؤدبون في العصر الاموي لتحفيظ الشعر ، وضبط الفاظه ونصوصه وأوزانه» (7) .

ولو ان الخليل ابن احمد اتجه الى البحث عن الوحدة الايقاعية

7) - المرجع السابق ص 24 و 25 .

في لا ونعم ولم يخرج لنا بالتفعيلة ، وفضله على كل انه لم يخرج بالصمت مثل حبيبة بشار (8) ، لكان تطور الشعر العربي تطورا اخر (ربّما) .

يصل كمال ابو ديب اذن الى هذه النتيجة وهي انه في «مقدورنا ان نصف الايقاع الشعري بطريقة تستقي من النظرة النووية في العلوم وانما بشكل مبّسط . اذا أخذنا النواة (علن) على انها نقطة التمركز الايقاعية ، والعنصر الايجابي الدائم ، ووضعنا النواة (فا) في سياقها او النواة (علتن) استطعنا ان نرسم نماذج من الشكل التالي :

علن ـــــ فا
علن ـــــ فا فا
علن ـــــ فا فا فا
فا ـــعلن فا
فا فا ـــ علن فا

« ويمكننا بهذه الطريقة تقديم وصف نووي لكل التشكلات المعروفة في الشعر العربي التناظري ، وللتشكلات التي نماها الشعر العربي المعاصر لكن الواضح ، طبعا ، ان حركة الايقاع وعلاقات النوى فيه ، حركة أفقية تفرضها طبيعة اللغة ذاتها بكونها تتابعات صوتية ، بتمثيل كهذا يمتنع تحجر المركبات النووية في وحدات منعزلة كبيرة ، ويتلافى الخطر الاعظم الذي احاط بنظام الخليل وحوله الى قوالب جامدة لم تعد تعكس حركة الحيوية والقرار في الكلمة العربية النابضة بالحياة الباحثة ابدا عن قرار».

وليست غاية هذه الدراسة هي تلخيص نظرية الدكتور ابو ديب لان النتائج التي وصل اليها تحتاج الى نقاش طويل خاصّة - وان عمله جاد وعلمي ، لكن الذي يهمني هو انه توصل الى ايجاد وحدة ايقاعية يمكن تطبيقها على الشعر العربي العمودي والحر ، وحتى

---

8) - اشارة الى البيت :

واذا قلت لها جودي لنا ...

خرجت بالصمت عن لا ونعم .

الخارج عن هذين الصنفين : اذ هو اثبت ان شعر أدونيس يخضع لهذه الوحدة الايقاعية ، وانه شعر وليس بنثر . هذا موضوع اخر يطول شرحه في هذه العجالة وسيجد ان شاء الله مكانه في الكتاب الذي يحمل نفس عنوان البحث .

كما ان احمد الطاهر (9) في كتابه « الشعر الملحون الجزائري ايقاعه وبحوره واشكاله » توصل فيما - يخص الشعر الملحون الجزائري - الى الظفر بمقطع سماه المقطع المبالغ في الطول وقال « اذا كان الايقاع هو » عودة انطباعات سمعية متماثلة ، على فترات من الوقت متشابهة ، فانه يمكن القول ان الايقاع في الملحون يعتمد تعادل عدد المقاطع في كل مصراع من نفس الجنس ، وعودة نفس عدد المقاطع ، المبالغة في الطول ، في مواضع متماثلة المصارع ، وبصورة اخرى فانه يكون للبيتين نفس الايقاع اذا استوفيا الشروط التالية :

- أ - نفس عدد المقاطع في كل مصراع من نفس الجنس .
- ب - نفس عدد المقاطع المبالغة في الطول في المصارع .
- ج - نفس الرتبة بالنسبة لكل مقطع مبالغ في الطول في المصارع .

واذا اختل شرط من هذه الشروط فان البيتين ليس لهما ايقاع واحد» .

وهكذا فان احمد الطاهر لم يأخذ بعين الاعتبار النظام الكمي الخليلي ، ولا النظام النبري ، وكأنه ارتضى النظام المقطعي الذي سار عليه الشعر الفرنسي ، ولم يعطنا في الواقع قياسا مضبوطا للمقاطع بينما انواع المقاطع كثيرة .

ونأتي الى عمل اخر اعتبره مهما جدا ! ويحتاج الى تقييم جاد ، وهو ما قام به صديقنا الاستاذ محمد العياشي . واني لا اريد ان انقد

---

9) — Ahmed Tahar La poésie populaire algérienne Malhun) S.N.E.D. « Alger 1975.

كتابه (10) « نظرية ايقاع الشعر العربي » - لا لشيء - الا لاني لم استوف النظر فيه بصورة كاملة ، وانما الذي يخرج به قارىء الكتاب هو انه كتاب فيه تجديد في النظرة ،ووضوح ، واكتمال في مسألة الايقاع اكثر من غيره من الدراسات ، واعتقد انه سيساهم مساهمة كبيرة في تغيير نظرة المهتمين بالشعر العربي ، خاصة انه استعان بالموسيقى ، وترقيمها ، وهو امر ليس بالصعب ادراكه ، وحل مشاكل عديدة لم يقدر الخليل على الاجابة عنها ، ولا بد ان ارجع اليه بصورة مستفيضة في وقت لاحق مع تنبيه الصديق الاستاذ الى ضرورة الاشارة الى مراجعه بكل دقة في طبعة ثانية .

اما ما يهمني الان هو ان الكاتب توصل الى ايجاد عنصرين في الايقاع :

- عنصر مقصور خفيف ويستغرق من الوقت قدر وحدة قيمة .

- عنصر ممدود ثقيل ويستغرق من الوقت قدر وحدتي قيمة .

وأعطى الى كل عنصر ترقيما موسيقيا . فالعنصر الخفيف يناسب المقطع القصير (ف) والعنصر الممدود يناسب المقطع الطويل مثل (نا) او (في) او (تل) ولكنه يبين فيما بعد ان هناك من العناصر ما تسمى هاضمة ، وأخرى مهضومة ، ويعطيها ترقيما خاصا . وكأنها في الواقع ترجع الى ما يسمى بالمقاطع الطويلة المنبرة (accentué)

وغير المنبرة ، (atone)وكنت نبهت اليها عندما تحدثت عن الخلايا الايقاعية في كتابي الانف الذكر . غير ان الاستاذ محمد العياشي اعطاها قيمة مضبوطة اذ المنبرة عنده تساوي وحدة قيمية ونصف وغير المنبرة نصف وحدة قيمية ، بحيث ان :

المقطع القصير : 1

والمقطع الطويل :2

والمقطع الطويل المنبر :2،5

والمقطع القصير غير المنبر : 0،5

---

10) - نفس المرجع ص 91 .

وعلى كل فانني ذكرت هذا ، لانني سأستعمل ما وصل اليه محمد العياشي من الاستناجات التي هي أضبط مما وصل اليه الخليل ، ويمكن تطبيقها حتى على النثر . في انتظار ايجاد مقاييس مضبوطة عن طريق الالة ، وخاصة مسجل الذبذبة بأشعة مهبطية المنسق مع ضابط الصوت.

اخلص الان الى النظرية التي اريد عرضها ، والتي سميتها « التطعيم الايقاعي » فأقول : « ان كل عبقري اضفى على الجملة العربية نمطا جديدا ، غيّر به ايقاع صياغته ونظامها ، فانه قدر في الحقيقة على اقحام ايقاعات لهجته العامية المحلية في الفصحى ، وتطعيم صوغه بهذه الايقاعات من كلامه « ومعنى هذا انني ادعي ان امثال ابن المقفع ، والجاحظ ، وبديع الزمان الهمذاني ، والتوحيدي ، وابن خلدون ، وابن نواس ، وابا العتاهية ، والشابي ، ومحمود المسعدي ، قد طعموا شعرهم او نثرهم بايقاعات لهجاتهم المحلية ، بدون ان يشعروا بذلك ـ لقدرة حباهم الله بها ـ لان اللغة العربية الفصحى ـ باعجازها وطاقاتها الكبرى ـ قادرة على الديمومة والاحتفاظ بعبقريتها : الكامنة في نحوها ، مع الارتباط بواقع اهلها ، المتحول ، المتحرك ، الذي تعتبر اللهجة المحلية جزءا منه ، يحمل خلاصة الحياة المعيشة ويترجم عنها احق ترجمة ، ولكن تبقى الفصحى ـ دائما ـ هي القادرة على السمو بذلك الواقع ، وتلك الحياة . وهذا سر من اسرار بقائها .

واني اريد ان انبه مرة اخرى : انني لا ادعو الى العامية ، ولا الى الاستعاضة عن الفصحى بلهجة من اللهجات ، بل انني اقول هذا ـ رفعا لكل التباس ، وردا على من يتربصون بأعمالنا ـ سواء في تونس او خارجها ـ ولا يناقشوننا في صلب نظرياتنا ، وانما يلبسوننا جبة خيانة الامة العربية ، او يرموننا بالاقليمية : وهي « موضة » متداولة ـ ويا للاسف ـ في العالم العربي اليوم ، لما تردى فيه معظم الفكر العربي الطافي على السطح من دركات ، وما اصاب الامة العربية من ضعف في مستوى الاخلاق الا من رحم ربنا . ذلك ان العلم لا يستنكف من دراسة اي موضوع مهما كان حراما ، او سفسافا ، للوصول الى الحقيقة .

ومعنى هذا - انني ادعو الى دراسة اللهجة المحلية للكاتب العبقري ، او الشاعر المبدع ، من حيث ايقاعاتها ، ونظامها ، ثم ابحث في ادبه عن هذه الايقاعات . وقد قمت - لا محالة - بشيء بهذا، عندما كتبت عن ابن المقفع وابن رشيق وطه حسين ولكنني لم اعط امثلة مستفيضة ، مضبوطة ، لانني - حينذاك لم اظفر - بعد - بالنظام الايقاعي المقارن .

وسأحاول - في هذا العرض - ان اطبق هذه النظرية على طه حسين ، والشابي ، ومحمود المسعدي ، مع العلم ان هذا النوع من العمل يحتاج الى امثلة كثيرة جدا ، ولا يمكن ان تكون الا ضمن كتاب .

يقول طه حسين : « ولك ان تنظر في اي لون من الوان العلم ، والادب ، والفن ، التي تدرس في مصر ، والتي ينتج فيها العلماء ، والادباء ، والفنانون المصريون ، فسترى انها مطبوعة بالطابع المصري القوي ! الذي لم يستطع الزمان ان يمحوه او يعفي اثاره . سترى فيها هذا الذوق المصري الذي هو ليس ابتساما خالصا . ولا عبوسا خالصا . ولكنه شيء بين ذلك ، فيه كثير من الابتهاج ، وفيه قليل من الابتئاس . وسترى فيه هذه النفس المصرية التي تجمع بين الجدّة والقدم ، والتي تثب الى امام وكأنها تستأني ، وقد تقف من حيث تستاني ، وقد تقف من حين لاخر لتنظر الى وراء . سترى فيها الاعتدال المصري الذي يشتق من اعتدال الجو المصري ، والذي يأبى على الحياة المصرية ان تسرف في التجديد» .

واذا ترجمنا هذا على حسب الايقاعات كما حددها نظام محمد العياشي ، وجدنا ان هناك كمية من المقاطع كبيرة (تثب الى الآمام) فكمية اخرى اقل منها (تستأني) فكمية اضعف (تقف) ثم تسترسل الجملة من جديد على نفس النمط .

لنأخذ فقرة من كتاب « علي وبنوه » لطه حسين يقول : وقد كان يرى انه احق الناس / بالخلافة منذ وفاة النبي / ولكنه / صبر / حين صرفت عنه / الى الخلفاء الذين سبقوهُ / فلما جاءته الخلافة / لم تجئه صفوا / ولا عفوا / . «انظر الى صواب هذا التقطيع عندما وافق نوعا

من القوافي المتمثلة في كثرة الهاءات والمختومة بواوين ولو عددنا الكميــات الايقاعيــة ، لوجدنــا علـــى التوالـــــي : 3-8-18-7-4-11-18-17-11-7- وهي ، في تغايرها مع موسيقاها ، تترجم حقيقة عما وصفه طه حسين خلافا لما درج عليه الكتاب العرب القدامى : من توازي الكميات الايقاعية ، مع الملاحظة انه يجدر بنا هنا دراسة العامية المصرية ، وضبط خصائصها الايقاعية . ولكنني ارجىء هذا الى وقت اخر لمزيد الاستقصاء .

ولنأخذ الان امثلة تونسية ونقتصر على الشابي ، ومحمود المسعدي . يقول محمد العياشي «العامية التونسية فقدت المقطع المقصور تماما ، واصبحت تقوم على المقاطع الممدودة لا غير ، وابتدؤوا بالساكن . والفصحى لا تقبل ذلك مطلقا : لانهم لا يبتدئون بساكن ، ولا يقفون على متحرك . فيقولون : غروس بتسكين العين ، ويقولون كريم بتسكين الكاف ، ووالوا بين الساكنين : فيقولون باش مات بتسكين الشين والتاء . والفصحى ترفض ذلك ، وتخضع الى المبدأ الذي يقول : اذا التقى ساكنان يحذف ما سبق . وكان كل ذلك نتيجة لتصرفهم في اللغة ، وتحللهم من مبدأ الاعراب والدليل : ان حركة الايقاع تخضع - في تركيبها - الى مبادىء اللغة ومقتضياتها ، واستحالة استعمال ايقاعات الشعر الفصيح في الشعر الملحون مع اللهجة العامية التونسية وذلك لان المقطع المقصور في هذه اللغة مفقود تماما . فاضطر الشعر الى استنباط ايقاعات اخرى تتلاءم مع لغتهم» .

ومعنى هذا ان هناك خليتين ايقاعيتين هما (فا) و (فال) بتسكين اللام ، وليس من الصعب التكهن بطبيعة الحركة الايقاعية في جملة تكون مبدوءة بساكن، وعلى مقاييس في مثال هذه الحدة . وليس من الغريب ان نجد الشابي يكثر من استعمال الخبب الذي اهمله الخليل ، ولم ينتبه اليه ، نظرا الى ان العرب لم تستعمله كثيرا ، وان الحركة الايقاعية المستعملة لا تتناسب كثيرا مع الايقاعات من نوع (فا) و (فال) . وليس غريبا ايضا ان يكون الحصري الافريقي

هو الذي وفق في وزن الخبب ، وابدع في قصيده المعروف (يا ليل الصب) . اما الشابي فقد استعمل الخبب في قصيدته :

خلقت طليقا كطيف النسيم وحرّا كنور الضحى في سماء

انظر تتابع الساكنين في اخر البيت الى جانب استعمال الخبب . اما اذا كتبناه على حسب ما راه محمد العياشي وسماه الروي المقلوب الساكن مع الختم العاري فيصير البيت :

اس خلقت طليقا كطيف النسيـــم وحرا كنور الضحى في سما
تغرد كالطيـر ايـن اندفعـــ ــت وتشدو بما شاء وحي الالا

وقد يمكن ان يكون دليلا اخر على نوع من الابتداء بالساكن الذي لا تعرفه الفصحى . زد على ذلك فان قافية الهاء الساكنة موجودة في عدة قصائد (ما يقرب من ست عشرة قصيدة) . اما القصائد التي تنتهي بساكنين ، فهي عديدة ايضا ، (اكثر من ربع ديوانه) .

اما بالنسبة لمحمود المسعدي ، فتأمل الحركة الايقاعية في كلام هواتف السّد ، وفي اسم (صاهبّاء) ومقياسها (فا فا فال) دائما في الممدود لا المقصور حتى ان ميمونة عندما قالت :

ما صا هبّي يا غيلان ؟
اجابها الهاتف :
لا تحرفي قومّي الاسم « هو بالمدّ لا بالقصر) .

وغيلان الذي على وزن (فافال) ، وميمونة وزنها (فافافا) وهليّا . هل هذا كله من محض الصدفة ؟ كلها ايقاعات تلقاها الكاتب من البيئة التي يعيش فيها . والشواهد كثيرة سواء في «السـد» او «حدث ابو هريرة قال» .

هذه لمحات اولى عن نظرية التطعيم الايقاعي في الفصحى ، وهي افتراض بطبيعة الحال يحتاج الى أدلة اوفى مما ذكرت ، ولكنني اعتقد ان المضي في هذا الاتجاه ، يفتح لنا ابوابا من البحث ويكشف عن اسرار ما زالت اللغة العربية تخبئها عنا .

واكثر من هذا ، فانه يفضي الى نتائج جدّ خطيرة ، لها ارتباط بمسلمات مازال يتعلق بها كثيرون ، ويكبّلون من جرائها لغتهم وتطور حياتهم ايضا .

التعريب والفرنكفونية في تونس البورقيبية

الدكتور منجي الكعبي

ورثت بلادنا - بعد الحقبة الاستعمارية - مشكلة من اهم المشاكل المؤثرة في مستقبلها الثقافي ، والتربوي والاجتماعي ، وفي اتجاهها السياسي بصورة عامة في مشكل التعريب ، او بالاحرى مشكلة التخلص من الفرنسية .

فلقد كان الاستقلال يرادف في اذهان الوطنيين التخلص من الهيمنة الفرنسية الاستعمارية في جميع اشكالها . وفي مقدمة ذلك اللغة الفرنسية في الادارة وفي المدرسة وفي الحياة العامة .

ولذلك كان ينبغي على اول حكومة تونسية - في عهد الاستقلال - ان تبادر الى وضع سياسة واضحة المعالم ، لتصفية مخلفات العهد البائد ولتجسيم سيادة الدولة الجديدة وتدعيم استقلالها .

وفي حين لم يكن امام الدولة الفتية الا أن تمضي في سياستها الوطنية : تدريجيا ، ومرحليا ، وعن طريق المفاوضات مع فرنسا ، وفي اطار التعاون والاحترام المتبادل ، كان الشعب وهو في غمرة النصر ، مندفعا في جملته - بطبيعة رد الفعل - نحو الاجهاز على مظاهر الاستعمار مرة واحدة ، واجتثاث جذوره من التربة التونسية دفعة واحدة .

وكان الاجماع بطبيعة الحال حاصلا منذ الوهلة الاولى ، في مستوى القيادة الوطنية ، على دعم وتعزيز مكانة اللغة العربية في البلاد ... وظهر ذلك الاجماع في مشروع الدستور سنة 1956 : حيث تنص المادة الاولى منه على ان تونس دولة حرة ، مستقلة ، ذات سيادة ، الاسلام دينها ، والعربية لغتها .

وكان من السهل ، في تلك الظروف الدقيقة التي صاحبت فترة قيام الدولة ، الاتفاق على المبادىء العامة ، خصوصا والبلاد كانت منقادة وراء زعامة موحدّة ، قوية ومتغلبة ، بالاضافة الى ذلك ، فان الشعب التونسي كان على حال من الانصهار في بوتقة الدين الاسلامي والحضارة العربية ، الى درجة ان التونسي العادي لم يكن يفرق اصلا - بين كونه عربيا . او كونه مسلما .

لكن من يرجع الى مداولات المجلس التأسيسي ، حول تلك المادة في الدستور ، لا يجد حديثا مباشرا عن التعريب في مقابل الفرنسية، بل يجد - وهو غريب - خلافا حول اقتراح الاعلان في الدستور عن كون تونس دولة عربية ، اي منتمية للمجموعة العربية ، او دولة عربية اللسان فقط - وسرعان ما حسم ذلك الخلاف على اساس ان القانون لا يعرف الدولة دستوريا بوصفها دولة عربية او هندية بل بما هو دينها الرسمي وبما هي لغتها الرسمية ...

وتنتفي الغرابة في ذلك الخلاف، وفي طريقة حسمه ، اذا ما ادركنا موقف الزعامة التونسية في ذلك الحين من تيار القومية العربية الذي تتزعمه مصر .

ولا شك ان قضية التعريب ، كما ظهرت على السطح السياسي عدة مرات بعد ذلك ، لها جذور في ذلك الخلاف البسيط . ومما لا شك فيه كذلك ان مستقبل اللغة العربية في تونس بعد الاستقلال ، وكذلك عروبة تونس وموضوع التعريب بالذات ، قد تأثر تأثرا سلبيا بمناوءة دعاة القومية العربية في المشرق ، وفي مصر بالذات، للنظام التونسي ، وللزعامة البورقيبة ، حتى لقد اصبحت كل دعوة للتعريب مرادفة للقومية العربية ، وخاصة بعد انسحاب تونس من

جامعة الدول العربية وموقفها المتحرر من الوحدة المصرية السورية .

لكن الموقف الرسمي من التعريب لم يتغير في الحقيقة ولم يتبدل في جوهره ، رغم التطورات السياسية التي جدت بعد ذلك في الساحة العربية ، ورغم انتفاء اسباب الحساسية بين النظام التونسي ، والانظمة العربية الوحدوية في المشرق . فما يدل على أن التفكير السياسي للزعامة التونسية البورقيبية - منذ الاستقلال - كان مبنيا على مواقف محذدة - مسبقا - من قضايا ما بعد الاستقلال ؟

كان محور هذا التفكير يدور حول بناء امة تونسية ، قائمة بنفسها - متحررة من كل تبعية قديمة او حديثة ، وغير مرتبطة مصيريا باحلاف او تجمعات الا بقدرما يحقق ذلك مصلحتها ، اي بناءها الداخلي ، واستقلالها ، وشخصيتها المتميزة ، وبطبيعة الحال اقترن تغليب المصلحة الوطنية بنداء « تغليب العقل على العاطفة» اي تغليب العقل على كل حنين تاريخي ، او وجداني ،عربيا كان . او اسلاميا ، وذلك حتى يمكن حسم المشاكل القائمة امام بناء الامة التونسية رغم الانواء والرياح .

ولم تكن مشكلة التعريب - بما يلفها من ملابسات وظروف - لتكون بمناى عن التأثر بذلك النداء القوي . بل بالعكس كان منها او كانت منه في الصميم .

ولذلك فقد تعرضت التجربة التونسية الاولى في التعريب ، مع اول وزارة معارف في عهد الاستقلال ، الى ازمات ونكسات .

فبعد ان ارسلت بعثات تعليمية الى المشرق العربي للتخرج في الاداب العربية ، وفي العلوم العصرية ، عدل عن ذلك بعد سنتين تقريبا . وانقلب الاتجاه الى التركيز اكثر فأكثر على الجامعات الفرنسية ، لتخريج اطارتنا العليا ، ريثما يقع تركيز الجامعة التونسية ... ولم يكن بد من العدول عن سياسة تعريب العلوم ، وخاصة بعد ان اكتنفتها الصعوبات والمشاكل . وبعد ان ارتبطت تلك الدعوة نفسها بملابسات سياسية خارجية .

وما ذلك الاتجاه في الحقيقة ، نحو تعريب العلوم ، الا تبنيا ، وامتدادا رسميا لحركة تعريب التعليم التونسي ، التي بدأت قبيل الاستقلال على ايدي مجموعة من الاساتذة التونسيين ، ممن كانوا في الوقت نفسه من خيرة المناضلين في الحركة الوطنية .

ثم جاءاحداث دار المعلمين العليا ، والجامعة التونسية ، لتحقيق استقلالنا الثقافي شيئا فشيئا وتطبيق مناهجنا التعليمية واختياراتنا التربوية . وبدأت تتبلور مفاهيم جديدة . كلها تقريبا تقرر في العقول جدول الازدواجية اللغوية كاختيار حضاري . وانخرطت فكرة تعريب التعليم في سياسة المراحل - ضمن علاقاتنا الثقافية ، والتربوية ، والاقتصادية مع فرنسا ، ومع مراعاة واقع البلاد .

وانعكس ذلك الوضع اللغوي على قيمة الشهادات الجامعية المستوردة من المشرق العربي ، وتبلور في المشكلة المعروفة بمشكلة معادلة الشهادات .

واصبحت تلك الشهادات عرضة للقدح فيها : اما بهبوط المستوى العلمي لحملتها ، أو بنقص في تكوينهم باللسان الفرنسي ، او لامور اخرى ايديولوجية ، او بيداغوجية ، وكل ذلك التحفظ - ازاءها او ازاءهم - يدور حول مبرر مبدأ المحافظة على وحدة التكوين الثقافي ، والتربوي في تونس .

ولعبت فكرة التفريق بين فرنسا التي استعمرتنا ، وفرنسا التي تحررنا منها ، والتي اصبحت تربطنا بها علاقات تعاون نزيه واحترام متبادل ، لعبت دورا هاما في تدعيم مكانة اللغة الفرنسية من جديد في المجتمع التونسي ، باعتبارها نافذة على العالم المتحضر ، ووسيلة مباشرة لاكتساب العلوم العصرية . وقوى بالتالي حظ المتكلمين بها من التونسيين ، في مختلف الوظائف والمناصب السامية .

يضاف الى تلك الفكرة تصور يقول : « ان اللغة » ما هي الا وسيلة ، وليست غاية في حد ذاتها « والغاية في نظر القائلين بهذا الرأي من المسؤولين - انما هي في نهضة المواطن التونسي ،

اقتصاديا ، واجتماعيا ، وثقافيا ، ويمكن ان يكون ذلك باية لغة ؟ ! المهم ان تكون لغة راقية ، عصرية ، ولماذا لا تكون الفرنسية بالنسبة لتونس هي لغة التقدم والرقي ؟ وخصوصا وقد ارتبطت تونس تاريخيا بفرنسا ، بالاضافة الى موقعها الجغرافي القريب منها ... الى اخر رأيهم في ذلك .

وتقررت هذه الامور في عامة الاذهان ، حتى لم يبق احد من التونسيين ، في عهد الاستقلال ، يرغب او يقنع بتعليم ابنائه اللغة العربية ، او الثقافة الزيتونية وحدها ، كما كان الحال في عهد الاستعمار ، وعد ذلك من المفارقات .

وبذلك تهيأت الظروف للقضاء تدريجيا - خلال المخطط التربوي العشرى - على التعليم الثانوي الزيتوني التقليدي اولا ، ثم على الشعبة العصرية التي كان وقع احداثها في صلبه ، والتي اصبح يطلق عليها بعد توحيد مناظرة الدخول الثانوي الشعبة (أ) في مقابل الشعبة (ب) التي يغلب فيها التدريس بالفرنسية ، وخاصة بالنسبة للعلوم . ثم حذفت الشعبة (أ) وبقيت شعبة (ب) و (ج) وأخيرا استقر التعليم الثانوي الرسمي في تونس على نظام الشعبة (ب) وأصبحت الشعبة (ج) من اختصاص البعثة الثقافية الفرنسية في تونس ، والتي اصبح الاقبال عليها من التونسيين في تزايد من سنة الى اخرى .

وبعد ان افرغت فكرة التعريب من كل عداء للغة الفرنسية والثقافة الفرنسية ، وبعد ان اصبحت الدعوة للتعريب ترادف الرجعية والانغلاق والتمشرق ! كان لا بد من قيام بديل لها ، له قوة الصمود والمكافحة امامه ، فظهرت مصطلحات التونسة والاصالة ... وهما مفهومان انسب وادق لبناء الشخصية التونسية ، وخلق الامة التونسية .

واذا التونسة تصبح اهم واسبق ، في سياسة الدولة ، من مجرد التعريب ... واذا التعريب ينبغي ان يتأخر ويتحقق على مراحل كلما توفرت الظروف والكفاءات والوسائل ... ولذلك لم تسجل في تونس الرغبة ابدا - في تنفيذ سايسة التعريب بأيد غير تونسية بورقيبية .

وكان لا بد ، حتى لا تبقى اللغة الفرنسية - في تونس - بدون رعاية ، وعرضة لتيارات غلاة التعريب الفوري والمستورد ، وحتى تتخلص من شوائب اللغة الاستعمارية التي كانت سابقا في بلادنا ، ظهرت دعوة الفرنكفونية ، لتدافع عنها ، وتحمي وجودها في تونس ، حيثما ظلت اللغة الرسمية او اللغة الاولى ، بعد اللغة القومية في البلدان التي كانت مستعمرات فرنسية سابقا .

وأصبحت تونس ، والسنغال ، وعدد اخر من الدول الافريقية غير العربية من أكثر الدول استعدادا لبناء مجموعة الشعوب الفرنكفونية في القارة السوداء ، ورغم ما أثارته هذه الحركة من زوابع الاستنكار هنا وهناك ، وتهم بالانحياز السايسي ، والعداء للقيم التقليدية ، فان الموقف التونسي لم يتراجع .

وهكذا فرغم اعتبار اللغة العربية في تونس هي اللغة الرسمية للدولة ، فانه لم يتح لها ان تشملها منظمة علمية ثقافية مثل الفرنكفونية بالنسبة للفرنسية ترعى تطورها ، وتساعد في التغلب على مشاكلها مع التطور الحضاري ، بل بالعكس وجدت نفسها - ربما عن غير مسؤولية الدولة في ذلك - عرضة لبعض الحملات عليها ، يذكر بعضها بحملة مصطفى كمال اتاترك على اللغة العربية ...

وقامت حركات « اصلاحية تقتبس من هنا وهناك ، ينادي بعضها بخلق لغة بورقيبية رسمية ، وبعضها ينادي بتبني ما يدعي بالفرنكو عربية ... الخ .

ووجدت مؤسسات دولية اجنبية الابواب مفتوحة امامها في ذلك الحين لتقديم معونات ، تندرج في نطاق تشجيع الباحثين ، في الدول المستقلة حديثا ، من اجل البحث عن لغة بديلة بلغة الاستعمار المكروهة تقدليديا ، وبديلة في الوقت نفسه بلسانها القومي المتخلف حضاريا ، او غير المتفق تقليديا مع لهجاتها المختلفة وساعدت التونسة على تجاوز عقدة تفوق المشرق العربي على المغرب العربي في اللغة العربية وادابها ، وصاحبتها تيارات جديدة تنبش عن اصول التونسيين ، في صميم التربة التونسية ، وتعوض

في برامجنا التعليمية ونصوصنا المدرسية الحضور المشرقي الطاغي .

وبتجاوز قضية التعريب الى قضية التونسة ، ليتم للمتعاقدين الاجانب وخاصة الفرنسيين - وهم اكثرية - ليتم لهم ان يتطوعوا بتقديم مساعداتهم لتحقيق التونسة ، بينما كانت سياسة التعريب لو تواصلت ستجعل وجودهم في غنى عنه .

بيد ان نتيجة العشرية التربوية الاولى افرزت جيلا «لا منتميا» - في نسبة منه - لا الى قيم دينية ، او عربية ، ولا الى قيم تونسية صميمة ، بل اميل الى ان يكون متشبعا بقيم الحضارة الغربية ، ومتأثرا بتياراتها الفكرية ، والعقائدية الغربية ... وذلك بطبيعة الحال بعيد عن مفهوم الامة التونسية البورقيبية .

واثر المؤتمرين الحزبيين الاخيرين انطلقت من جديد على دفعتين - سياسة التعريب ، ضمن مراجعة جذرية لسياسة التربية والتعليم . وبعد ان كانت الحكومة تتهم المنادين بالتعريب بالرجعية والتبعية ، اصبح المعارضون لسياسة التعريب - واغلبهم من جيل ما بعد الاستقلال ، ومن فئات اجتماعية راقية من الاكثر - يتهمون الحكومة بالرجعية ، والسلفية ، والانغلاق عن المذاهب الفلسفية الحديثة ، والتيارات الفكرية الديمقراطية والاشتراكية .

ورغم ذلك فكل الجهود مركزة الان في وزارة التربية القومية ، على انجاح خطة التعريب ، بنظرة متبلورة اكثر . ولكن مع الالتزام نظرا لعدة معطيات او ضغوط بالمحافظة ، في المقابل على مستوى اللغة الفرنسية كلسان وكثقافة - رغم التنقيص من ساعات التدريس بها في السنوات المعربة من الابتدائي والثانوي ... ولم تتردد الحكومة هذه المرة في قبول المساعدة على سياسة التعريب من بلدان شقيقة كالعراق ، رغم نظامه البعثي المعارض تقليديا للسياسة البورقيبية . وهو امر لم يكن محتملا قبل ذلك الحين ، وكذلك عادت شيئا ما سياسة البعثات التعليمية الى المشرق بما يشبه ما كانت عليه اول الاستقلال ، وبما يشبه ما وقع حين نكبنا من فرنسا في معركة

بنزرت ، في اول صيف 1961 ، وقطعنا معها علاقاتنا الثقافية لثلاثة او اربعة شهور .

وأصبحت التونسة ترادف الاستغناء عن المتعاقدين الاجانب ، وترادف انتداب الاطارات التونسية القادرة على التعريب وعلى تعويض المتعاقدين .

وهكذا استطاعت حركة التعريب في تونس ان تتأجل الى وقت اصبحت فيه تونس البورقيبية غير مهددة بالذوبان والتبعية - وهكذا ايضا استطاعت سياسة التعريب في تونس ان تتلاءم ، ولا تتعارض مع اللغة الفرنسية ومع الثقافة الفرنكفونية كنافذة اساسية للشعب التونسي - عامة - للتفتح على الخارج . وعنصرا اخرا لانسجامه ووحدته وراء قيادته البورقيبية ، ووراء اختياراته الكبرى ، وهي اختيارات اقتصادية ، واجتماعية ، وثقافية ، وسياسية ، مترابطة ومتكاملة .

لكن هل تأجلت سياسة التعريب قصدا حتى هذه السنين الاخيرة - بعد الاستقلال - ام عملت كما عملت عدة اوضاع ، واحداث في بداية الاستقلال على التأثير فيها - مدا وزجرا ، ام عملت في الحقيقة ، عدة احداث وظروف داخلية وخارجية اخرى ، جدت في الاعوام العشرة الاخيرة . وأثرت في الوعي القومي التونسي ، ودفعت بالقيادة التونسية الى استدراك ما فاتها الانطلاق فيه بكل جراة وشعبية منذ الاستقلال لتصفية الوضع اللغوي على اسس سليمة بما يحفظ كرامة اللغة العربية مع احترام غيرها من اللغات الاجنبية في بلادنا .
اترك هذا السؤال مفتوحا على حضراتكم (1) للمناقشة .

---

(1) محاضرة القيت في ملتقى ابن منظور الخامس بقفصة 30-31 مارس و 1 و2 افريل 1978 .

الملتقى الخامس لابن منظور

كلمة السيد محمد فرج الشاذلي

قفصة ايام 30-31 و 1-2/ 4/78

بسم الله الرحمان الرحيم

سيداتي ، سادتي

اني لسعيد بهذه الفرصة التي تتاح لي لزيارة قفصة في هذا اليوم الذي يفتتح فيه الملتقى الخامس لابن منظور ، وانه ليطيب لي في هذه المناسبة ان أتوجه اليكم بالتحية وان انقل اليكم جميعا ، ولا سيما الى ضيوفنا الكرام والباحثين الاجلاء الذين تفضلوا فجاؤوا مهطعين الى الداعي ، وقبلوا ان يشاركوا في اعمال هذا الملتقى ، تحيات السيد الشاذلي القليبي وزير الشؤون الثقافية تقديره للجهد الذي ما فتئتم تبذلونه في سبيل النهوض بثقافتنا ومعالجة المصيري من قضايانا .

ولقد كان في نية السيد الوزير ان يحضر بنفسه افتتاح هذا الملتقى ولكن واجبات اخرى ، بعضها من جنس ما ستعالجونه وتتدارسونه في ملتقاكم هذا ، قد اضطرته الى أن يتغيب عن تونس .

سيداتي وسادتي

ان من المبادرات الطيبة والاعمال الصالحة ما يصبح سنة تتبع وطريقة تحتذى : ذلك ان بعض هذه البمادرات يتنزل في ضمير

الزمان منزلة الحدث الهام الذي يثير الهمم ، ويغني النفس ، ويفتح الافاق ، ويوضح الرؤية ، ويخرج بالانسان عن الآن الذي يعيشه ، فيرنو الى الافق التوق الذي لا حد له ولا نهاية ، من ذلك ملتقاكم هذا الذي انطلق لاول مرة في افريل 1971 محتشما ، حيًا ، اخذا من كل شيء بطرف ، ثم نما ، ورسخت قدمه ، وركزت بحوثه حول محور خاص به يلتقي حوله بصفة دورية صفوة من الباحثين والدارسين . وقد كان لنجاح هذه التجربة وما لقيته من تشجيع المواطنين والمهتمين بالفكر وشؤونه ، خير حافز لنا على تنظيم سلسلة من الملتقيات العلمية والادبية بكامل ولايات الجمهورية ، اطلقنا على كل واحد منها اسم علم من علمائنا ورجالاتنا من امثال عبد الرحمان بن خلدون والمازري وابن عرفة والقلصادي وابن رشيق وابن ابي الضياف وغيرهم ، وذلك تخليدا لذكراهم ورمزا لما قدموه لامتهم واشارة الى ما قاموا به من فتوحات علمية ، وما رسوه من مناهج في البحث وما ادركوه من شأن في مجال الخلق والابداع ، وما كان لهم من شأن في دفع عجلة التاريخ والاسهام في بناء الحضارة الانسانية .

وكانت غايتنا من تعميم هذه الملتقيات تقريب الثقافة بمفهومها الشامل الى الجمهور والخروج ببعض المسائل العلمية والادبية والتاريخية والاجتماعية من اطارها الاكاديمي الضيق لتطويعها وتبسيطها وجعلها منطلقا لحوار بناء يقوم بين اهل الاختصاص وبين المتطلعين الى الاستئناس بهذه المواضيع والتمرس بها . وذلك مندرج في سياسة لنا متكاملة تنبني اساسا على اعتبار المواطن منطلقا وغاية ، واعتبار الثقافة حقا من حقوقه لا ترفا عقليا ولا شيئا كماليا وان لا تطور ولا نمو ولا نهضة شاملة بدون وعي ثقافي ... فهل من عجب بعد ذلك في ان نجنح الى تعميم « لا مركزية الثقافة » وتركيز النشاط الثقافي بمختلف وجوهه ومظاهره في جميع انحاء البلاد التونسية ؟

ايتها السيدات ، ايها السادة .

ان محاور الاهتمام التي ركزت عليها الملتقيات قد تنوعت ،

وتعددت ، فشملت مجالات علمية وادبية وفنية وتاريخية واجتماعية الى غير ذلك من المجالات المتعلقة بشؤون الفكر والمعرفة الانسانية .

وان ملتقى ابن منظور بقفصة قد اختص بمحور هام هو « قضايا اللغة العربية » وقد سبق له ان عالج مواضيع شتى اخرها ما عالجه في حلقته الرابعة المنعقدة في افريل 1976 تحت عنوان «تنمية اللغة العربية في العصر الحديث » .

اما حلقتنا هذه فانها ستتناول بالبحث موضوعا هاما هو «دور التعريب في تطوير اللغة العرية» . وان الجوانب التي سيعالجها ويتدارسها الباحثون لتوضح بصفة جلية خطورة هذا الموضوع ومدى حساسيته فمن « المعجم المفقود للغة العربية » الى « الرصيد الوظيفي واللغوي في المغرب العربي » الى « اثر الاذاعة والتلفزة في تطوير اللغة العربية » الى « دور الصحافة في تنمية اللغة العربية » الى « دور التربية والتعليم في تنمية اللغة »... الى غير ذلك مما لا بد للباحث ان يثيره في مثل هذا المجال .



سيداتي ، سادتي ،

ان كلمة « التعريب » قد وسموها بسمات لا يستقيم معها فهم ، فداخلها من اللبس - لكثرة ما تداولتها الالسن - ما جعلها كل شيء ولا شيء ، فمن متحمس الى « التعريب » يجنح كلما أثيرت هذه الكلمة الى لهجة انشائية ، خطابية ، منبعثة عن انفعالات عاطفية ، فلا منهجية في البحث ولا تحليل للامور حسب المعطيات العلمية الموضوعية ، ومن متعصب قد غشى على عينيه الهوى ، وتداخلت في ذهنه المسالك ، واختلطت عنده المصالح الشخصية بالمصالح العليا فأصبح يضيق بالتعريب ذرعا ! واصبح مجرد التفوّه بهذه الكلمة يستفزه ، ويدخل في نفسه الفزع والخشية ، فيدّعي ان التعريب مدعاة للتخلف وشل للقوى ، وعائق دون مواكبة الحضارة .

والحق انه لا بد في مثل هذه الامور من تحديد المفاهيم وتوضيح الرؤية واتباع منهجية علمية ، لا يتطرق اليها الهوى ولا تضيع في متاهات المهارات الكلامية .

فماذا نقصد اذن بالتعريب ؟ أهو التعريب بالمفهوم العربي القديم ، ام هو الترجمة ، ام هو شيء بين هذا وذاك ؟

لقد جاء في «المزهر» للسيوطي :

« المعرب هو ما استعملته العرب من الالفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها وقال الجوهري في « الصحاح » : « تعريب الاسم الاعجمي ان تتفوه به العرب على مناهجها ، تقول عرّبته العرب وأعربته » .

وقد اختلف العرب حول كلمات وردت في القران الكريم أهي عربية أم عجيمة . قال أبو عبيد القاسم بن سلام : « اما لغات العجم في القران فإن الناس اختلفوا فيها ، فروي عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة وعطاء وغيرهم من اهل العلم انهم قالوا في احرف كثيرة انها بلغات العجم ومنها قوله :

1) طه ، اليم ، الطور ، الربانيون .

يقال انها بالسريانية .

2) الصرّاط ، القسطاس ، الفردوس .

يقال إنّها بالرومية .

3) مشكاة ـ كفلين .

يقال انها بالحبشيّة .

4) وهيت لك يقال انها بالحورانية» .

قال : « وزعم اهل العربية ان القران ليس فيه من كلام العجم شيء لقوله تعالى : قرانا عربيا . وقوله بلسان عربي مبين » .

وقد حسم ابو عبيدة الخلاف ، فقام بعملية توفيقية فقال :

« والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا ، وذلك ان هذه الحروف اصولها عجمية كما قال الفقهاء الا أنها سقطت الى العرب فاعربتها بالسنتها ، وحولتها عن الفاظ العجم الى الفاظها ، فصارت عربية ، ثم نزل القران - وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب - فمن قال انها عربية فهو صادق ، ومن قال عجمية فهو صادق » .

وقد ذكر الجواليقي في « المعرّب » مثله وقال : « فهي اعجمية باعتبار الاصل عربية باعتبار الحال » .

من هنا نتبين ايتها السيدات ايها السادة ، ان اللغة العربية كانت دوما لغة حية ، متفتحة ، متسامحة ، تأخذ وتعطي ، فلا تتحرج ولا تستنكف ولا تشعر بأي مركب ... وان من يعد الى الثعالبي في فقه اللغة يجد فصلا في سياقة اسماء تفرد بها الفرس وغير الفرس دون العرب في ميادين شتى ، فاضطرت العرب الى تعريبها أو تركها كما هي ... بل الاغرب من هذا ان العرب لم يكتفوا بذلك فجنحوا في بعض الاحيان الى تعريب ما له اسم في لغة العرب . وقد عقد السيوطي في كتابه «المزهر» فصلا في المعرب الذي له اسم عربي .

واذا كان هذا شأن العربية سابقا فماذا هو شأنها الان ؟ ما هي السبيل الاقوم لجعل العربية تعبّر عن جميع مرافق الحضارة ، وتمسك بعجلة الزمان فتواكب الحياة في تطورها في الحقلين : العلمي والتكنولوجي ؟ ماذا نفعل لنجعل من لغتنا لغة حية ، طيعة ، واداة ابلاغ تفصح بحق عن جميع حاجيات الانسان ؟

ان اللغة اصطلاح ... وهي تعتمد على الاخذ والعطاء ، ولكن هل نكتفي بما تقوم به المجامع وما تنتجه من قواميس ؟ وكيف الوصول الى جعل المصطلحات العلمية والتكنولوجية وغيرها في رصيد الانسان العربي ينزلق بها لسانه فلا يتلجلج ولا يلتاث ولا يضيق بها الصدر .

هذه اسئلة تراود كل عربي يشعر بأن لغته هي قوام ذاته وانه ينبغي احلالها المكانة اللائقة بها : اذ لا مندوحة له عنها لنحت كيانه من جديد وفرض وجوده في هذه الحياة .

وهي بالتالي اسئلة ملقاة على علمائنا واهل الاختصاص منا . وهل يطمح ملتقاكم هذا الى غير الاسهام في معالجة هذا الموضوع الهام وبلورته وتقريبه الى الاذهان ؟

فاسمحوا لي اذن ان اتقدم بالشكر والثناء ، مرة اخرى الى الاساتذة والباحثين على ما اعدوه من دراسات ، ولا سيما اخينا الاستاذ سعيد الافغاني الذي تجشم اتعاب السفر قادما من سوريا ، والى كافة الاطارات الجهوية لمدينة قفصة على ما وفروه من ظروف طيبة لانجاح هذا الملتقى .

محمد فرج الشاذلي
مدير ادارة الاداب
بوزارة الشؤون الثقافية

مُلتقى ابن منظور الافريقي للغة العربيّة

الدّورة السّادسة حول

ترقية العربيّة بتونس

محمد الصالح كريم

المصطلحات اللغوية في برامج التعليم الابتدائي

لا أحد يشك في أن اللغة العربية أخذت ، منذ فجر استقلال تونس ، تسترجع وظيفتها الطبيعية ، كأداة أساسية لتربية أجيالنا الصاعدة تربية شاملة ، وقد تدعمّ استعمالها بصفة مطردة ، في جميع ميادين الحياة العامة ، ومختلف مراحل التعليم بدرجات متفاوتة لا محالة ، لكنها باعثة على التفاؤل بمستقبل افضل للغة العربية في بلادنا ، وباستعمالها استعمالا حيّا اشمل واحكم في المعاملات الاقتصادية والاجتماعية والادارية ، وفي مراحل التعليم من الروضة الى الجامعة . وليس تحقيق ذلك علينا بعزيز ما دمنا مؤمنين بقدرة العربية على التطور والترقية ومواكبة مشاغل العصر ومنافسة اللغات الحية ، وحريصيين على توفير الشّروط المساعدة على ذلك بكل عزم وتثبت ومثابرة . وإنّه لممّا يبعث على الارتياح ان صارت اللغة العربية ، في الوقت الحاضر ، تحتل مكانة ممتازة في مرحلة التعليم الابتدائي ، وتلعب دورا اساسيا في تكوين الناشئة وتأصيلهم الثقافي والوطني بفضل استعمالها في تدريس مختلف المواد اللغوية والرياضية ، والعلمية والاجتماعية ، والدينية وغيرها ، اذ انها تشكل في هذا التدريس أداة اتصال وتبليغ وتكوين ، وشرطا ضروريا للارتقاء الى مستوى التجريد الادراك الذهني للمفاهيم المتصلة بميادين المعرفة وحاجيات الحياة الانسانية المتطورة .

وسواء اكانت اللّغة العربية وقواعدها موضوعا للدّرس او كانت وسيلة لتعليم الموادّ غير اللّغوية فانها تقتضي دوما استعمال مصطلحات لغوية لتحديد أبنيتها النحوية وصيغها الصرفية وأساليبها البيانية والبلاغية وللتعبير بالمعجم الملائم عن المفاهيم والمضامين مهما كان مجال اختصاصها تعبيرا مدققا مستجيبا للحاجات المتجددة للتفاعل الاجتماعي والتغيّر الثقافي والبناء الحضاري . ولذلك فانه لا يمكن التغافل عن اهمية المصطلحات اللغوية في ضبط محتوى برامج التعليم ، وأعداد الكتب المدرسية والوسائل التعليمية الملائمة ، المساعدة على ترقية اللغة العربية وضمان مزيد النّجاعة لاستعمالها في التعليم بمختلف مراحله وشعبه . وبما أنّنا سنقتصر في هذا التدخل الوجيز ، الذي أتاحت لنا فرصته ـ مشكورة ـ الهيئة القومية المنظّمة للدّورة السّادسة لملتقى ابن منظور الافريقي ، على معالجة موضوع المصطلحات اللغوية في برامج التعليم الابتدائى ، فإنّنا سنحاول في نطاق هذا التدخل :

1)- ابراز خصائص المصطلحات اللغوية في برامج التعليم الحالية ، بالمدرسة الابتدائية ومدى وظيفتها وتلاؤمها مع حاجيات التدريس والتعبير في مختلف المواد المدروسة .

2 - الاشارة الى أهم مواطن النقص التي يحسن السعي في معالجتها وتسديدها لتدريس بعض المواد بالمصطلحات اللغوية المناسبة .

3) - إثارة بعض القضايا اللغوية والبيداغوجية التي يطرحها ضبط المصطلحات اللغوية وتوحيدها واثراؤها وملاءمتها مع مستويات التعليم والتحصيل ، باعتبار ما ننشده من تكامل بين التعليم الابتدائي . والتعليم الثانوي والتعليم العالي . ومن تفاعل بين التعليم والحياة المهنية والاجتماعية في المحيط الوطني ، وباعتبار ما نطمح اليه من تنسيق الجهود وتوحيدها في هذا الباب على صعيد المغرب العربي والوطن العربي ، في سبيل ضبط معالم سياسية لغوية مشتركة مخطّطة المراحل محددة الاهداف والوسائل .

★ - لقد شهدت برامج التعليم الابتدائي ، منذ الاستقلال ، ثلاثة

اصلاحات ، الاصلاح الاول سنة 1958 ، والثاني سنة 1968 ، والثالث سنة 1978 . وان المتتبع لرصيد المصطلحات اللغوية التي تتضمنها تلك البرامج في مختلف المواد التي تدرس باللغة العربية ، وما الت اليه في الاصلاح الاخير - خاصة - يلاحظ بصفة عامة :

- أ - أن هذه المصطلحات اللغوية تتسم في معظمها بالسهولة والاصالة في ابنيتها ، وصيغها ، وبالخفة في موسيقى حروفها ، والدقة في دلالاتها ومعانيها،وبقلة المولد والمنحوت والدّخيل فيها ، وأنها لا تقصر عن التبليغ والتعبير بكل يسر ودون تكلّف ، عن المفاهيم والاغراض والوضعيّات في مختلف المواد اللغوية والعلمية والاجتماعية والدّينية .

ب - أنّ المصطلحات اللغوية عرفت مزيدا من حسن التبويب ، ومزيدا من التوسع والاثراء والملاءمة والتدقيق ، في الاصلاحين الاخيرين وخاصة في اصلاح البرامج التربوية لسنة 1978 وذلك :

- بفضل تطوير محتوى تدريس الرّياضيات على ضوء معطيات الرياضيات المعاصرة ، وتعريب هذا التدريس في السنوات الرابعة والخامسة والسادسة ، على غرار ما هو معمول به في المرحلة الاولى من التعليم الابتدائي منذ سنوات .

- بفضل تعريب دروس الايقاظ العلمي (علم الاحياء والفيزياء والعلوم الطبيعية) وتطوير محتواها في كل الدرجات من السّنة الاولى الى السادسة .

بفضل اثراء برامج التّربية الاسلامية والاجتماعية منذ سنة 1978 برصيد جديد من الايات القرانية المختارة المتصلة بدروس العبادات والاخلاق وتعزيزها بادراج دراسة السّيرة النبوية ، وسيرة الخلفاء الراشدين في السنوات الخمس الاخيرة من التعليم الابتدائي .

- بفضل احكام اللغة العربية (في التعبير الشفوي والكتابي والقراءة وقواعد اللغة) واعادة توزيع مادّتها من التراكيب والصيغ ، وتطوير الاغراض والمحاور المدروسة ، والالتزام في تطبيق هذه

البرامج ، باستعمال **الرصيد اللغوي الوظيفي** (1) المشترك المتفق على استعماله في بلدان المغرب العربي ، في المرحلة الاولى من التعليم الابتدائي .

★ - وان هذا الاثراء والتطور والتوسع في المصطلحات اللغوية ، الناتج خاصة عن تعريب تدريس الرياضيات والعلوم بالمدرسة الابتدائية ، لم تنجم عنه صعوبات تذكر في اعادة تكوين المعلمين ورسكلتهم ، او حاجة كبيرة الى تعريب مصطلحات دخيلة . ومن ذلك على سبيل المثال أن عدد المصطلحات اللغوية العلمية التي اقتضاها تطبيق برنامج الايقاظ العلمي بالسنة السادسة بلغ مائتين وسبعة وستين مصطلحا لا نجد من بينها إلّا اثنتي عشرة كلمة معرّبة من الدّخيل (من اللّغة الفرنسية وبعض المصطلحات العالمية) ويوجد من بين هذه الكلمات القليلة المعربة ما يمكن ان يكون له مقابل في المهجور من موادّ اللّغة العربية الغزيرة الثرية ، لو تعلقت همّة اهل الاختصاص بالرّجوع الى استحياء القديم ضمن هذا المهجور - الذي يقدر ، حسب ما أكدّه علماء اللغة بسبعين الف مادة ، بينما المستعمل من اللغة العربية يقدر بعشرة الاف مادة فقط .

★ - وفي اعتقادنا ان الاطمئنان الملحوظ لدى المربين والتلاميذ وحتى لدى الاولياء ، الى المصطلحات اللغوية المستعملة حاليا في تدريس مختلف الموادّ في التعليم الابتدائي ، بالعربية ، وخاصة منها المواد الرياضية والعلمية ، يشجع على مواصلة سياسة التعريب في مستويات اخرى من التعليم بصفة مركّزة ، وعلى مواصلة دعم

---

(1) أعدّته اللجنة الدائمة للرصيد اللغوي بتوصية من الهيئة الاستشارية للمغرب العربي في التربية والتعليم سنة 1967 . وقد تعاونت على اعداده ، حسب منهجية علمية واضحة ومقاييس مضبوطة وقع تطبيقها في كلّ من تونس والجزائر والمغرب ، من قبل ثلاث خلايا لغوية هي : مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية ، قسم الالسنية بتونس . ومعهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر ، ومعهد الدراسات والابحاث للتعريب بالرباط وقد فرغت اللّجنة من اعداده سنة 1974 وانجزت طبعته الاولى في سبتمبر 1976 .

استعمال اللغة العربية ومصطلحاتها ، بتأليف كتب مدرسية قيمة ، ووسائل تعليميّة توضيحية مطابقة للبرامج التربوية . لأنّ الكتب المدرسية والوسائل التعليمية الخاصّة بالتلاميذ والمعلمين ، هي التي توفّر النصوص المختارة الملائمة ، وتجسم المجالات والسياقات ، والوضعيات التبليغية والتجريبية والتطبيقية المساعدة على استيعاب مفاهيم المصطلحات اللغوية ، وتمثّلها والتصرّف فيها ، واستعمالها استعمالا حيّا في الحياة الخاصة والعامة كفيل بترقية اللغة العربية وجعلها لغة التعليم والثقافة والحياة . ولئن تحقق شوط هام في هذا المجال ، بوضع العديد من المؤلفات المدرسية المطابقة لبرامج سنة 1978 ، فانّ الطريق مازالت طويلة لتطبيق برامج مختلف المواد المدروسة في مستوى التعليم الابتدائي .

★- وبالاضافة الى ذلك ، فان التّطور السّريع الذّي شهده التّعليم الابتدائي في السنوات الثلاث الأخيرة بسبب توسع مشروع التدريب على الاعمال اليدوية الفلاحية والصّناعية بمختلف الاختصاصات العصرية والتقليدية في أقسام الخامسة والسادسة والسابعة ، قد خلق ، مع تعريب التعليم الابتدائي ، لدى المعلمين والتلاميذ حاجة متأكدة الى استعمال المصطلحات اللغوية العربية اثناء ممارسة الاشغال اليدوية المتنوعة لم نر برامج سنة 1978 قد قرأت لها حسابا . والشأن يدعو الى تكليف لجان من المختصين في التعليم التّقني والتّدريب على العمل اليدوي بوضع البرامج الملائمة وضبط المصطلحات الغوية العربية التي يحتاج إليها تدريس مختلف الاختصاصات (البستنة ، تربية المواشي والدواجن والنحل ، الصيد البحري ، النجارة ، الكهرباء ، البناء ، التركيب المعدني ، الصناعات التقليدية الخ ...) واستعمال الاتها وأدواتها . وإنّ سدّ هذا الفراغ لأمر ضروريّ إلى جانب العناية بضبط المصطلحات اللغوية اللازمة لدروس التربية الفنية وللتّربية البدنية والرّياضية التي تهمّ وزارتي الشباب والرياضة والتربية القومية ، لأنّ هذه المواد والنشاطات المدرسية العملية هي ألصق ما تكون بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والمهنية . وإنّ تمكين العربية من اقتحام هذه الميادين يكسبها مزيدا من المناعة والحيويّة لمواجهة حاجيات المحيط

المتطورة من المصطلحات العلمية والتقنية والحضارية ، وتوسيع دائرة استعمالها الوظيفي بصفة مطردة . وهذا يعني أن المشاغل العملية لدى المربين والتلاميذ وسلطة الاشراف التربوي ينبغي أن تطغى - وحدها - على هذه التدريب ، بل يحسن أن تتكامل مع المشاغل اللغوية ، حتى تطبع هذا التكوين العملي بطابع الأصالة في شخصيّة المتعلم ونظرته إلى مستقبله ومستقبل وطنه ، من خلال لغته القومية .

★ - إلا أنّ ضبط المصطلحات اللغوية الصّالحة لتدريس مختلف المواد اللغوية والعلمية والاجتماعية والعملية باللّغة العربية ، ضمن برامج التعليم الابتدائي ، واستعمالها في الكتب المدرسية والوسائل التعليمية ، شرط ضروري ، لكنّه غير كاف اذا كان ذلك خاضعا - فقط - لاجتهاد اللّجان الواضعة للبرامج والكتب المدسية ولذوق الكتّاب والمؤلفين المساهمين فيها ، وطبيعة تكوينهم اللّغوي والعلمي والثقافي . فهذا الضبط والاختيار للمصطلحات اللغوية في مستوى التعليم الابتدائي يطرح جملة من القضايا والمشاكل البيداغويجية واللّغوية التي يحسن بسلط الاشراف التربوي العمل على معالجتها بصفة ناجعة ، في مختلف مستويات التعليم .

من هذه القضايا والمشاكل :

1) - قضيّة ملاءمة المصطلحات اللغوية العربية ، سواء أكانت تراكيب نحويّة أو صيغا صرفية أو قواعد أسلوبية أو ألفاظا معجمية ، مع حاجة المتعلّم ونضجه الذهني ، وقدرته على الاستيعاب والتحصيل في كلّ درجة من درجات التعليم ، وذلك اعتبارا للتكامل في استعمال العربية وتأديتها بين المظاهر التركيبية والصرّفية والمعجمية والصّوتية ، ولاهمية السيطرة علي استعمال التراكيب والهياكل اللّغوية في حصول ملكة اللّغة والتصرف في معجمها مثلما سبق ابن خلدون إلى تأكيده في مقدّمته ، و ضرورة ملاءمة استعمال المصطلحات التركيبية وما تقتضيه من سلاسل كلاميّة متفاوتة الطول والتعقيد ، مع قدرات التلاميذ الذهنية والتعبيرية واعتبارا للحدّ الادنى الذي يحتاجه المتعلمون في كل سنّ

ومستوى تحصيل من رصيد المصطلحات اللغوية الوظيفية المساعدة عن التعبير عن الاهتمامات والاغراض والمفاهيم في مختلف المواد وميادين الحياة الاجتماعية ، فهذه الملاءمة تقتضي اعداد ارصدة للمصطلحات اللغوية الوظيفية حسب المستويات في التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي وحتى العالي ، بتوخي منهجية علمية في البحث اللغوي والبيداغوجي ، ومقاييس مضبوطة متفق عليها . فهذه الارصدة تضمن الحد الادنى من مستويات التحصيل اللغوي في كل مرحلة وتساعد على اعداد الكتب المدرسية الملائمة وعلى التعامل مع اللغة العربية الغزيرة المادّة والغنيّة جدّا بصيغها ومصطلحاتها ، حسب تدرّج ملائم وتوسّع معقول ، ييسّران اكتسابها وادماج المكتسبات اللغوية الجديدة في المكتسبات السّابقة واستعمالها استعمالا حيّا . والمثال الوحيد الذي يمكن ذكره في هذا الباب هو الرّصيد اللغوي الوظيفي للمرحلة الاولي من التعليم الابتدائي الذي أعدّته اللجنة الدّائمة للرّصيد اللغوي بتونس والجزائر والمغرب ، والذي يشكّل محاولة طيّبة لضبط مصطلحات لغوية مشتركة بدأ تطبيق استعمالها في المدارس التونسية مع برامج سنة 1978 . وقد استغلت لجنة العربية جانبا هامّا من هذا الرّصيد اللغوي الوظيفي في اعداد الوثائق المدرسية الخاصّة بتعليم التعبير والقراءة والكتابة لتلاميذ السّنة الاولى من التعليم الابتدائي . والمؤمل ان يستغل هذا الرّصيد في تأليف الكتب المدرسية الخاصّة ببقية المواد ، وبالكتب اللازمة للسنتين الثانية والثالثة كما أنّه من المفيد ان يتواصل هذا المجهود الهادف في سبيل إعداد ارصدة لغوية أخرى للمرحلة الثانية من التعليم الابتدائي ، ولمرحلة التعليم الثانوي على أساس التدرجّ والتكامل ومراعاة تطوّر الاهتمامات والحاجات التعبيرية لدى المتعلمين .

2) - والى جانب قضيّة ملاءمة استعمال المصطلحات اللغوية مع محتوى التدريس وامكانيّات المتعلمّين وحاجاتهم التعبيرية يوجد مشكل توحيد هذه المصطلحات في البرامج التربوية للتعليم الابتدائي والثانوي والعالي ، وهو مشكل له ارتباط وثيق باستمرارية تكوين الفكر والشّخصية ووحدته وانسجامه لدى المتعلم وهو يقتضي

تحقيق تكامل وظيفيّ ، تصاعدّي ، وتنازلي ، بين الابتدائي والثانوي والعالي ، وتعاون مستمرّ بين مختلف اصناف المربّين المنتمين الى وزارتي التربية القومية والتعليم العالي والبحث العلمي . ويمكن تجسيم هذا التكامل وهذا التعاون :

1 - باعداد برامج التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي والتعليم العالي والكتب المدرسية والوسائل التعليمية وتقويمها ، من طرف لجان مختصّة يشارك فيها مرّبون وأساتذة مختصون وباحثون لغوّيون ، ينتمون الى مراحل التعليم الثلاث ، وقد بادرت وزارة التربية القومية بهذا الاجراء في المراجعة الاخيرة لبرامج التعليم الابتدائي ، وفي المراجعة الجارية حاليّا لبرامج التعليم الثانوي . ونرجو أن تنسج وزارة التعليم العالي والبحث العلمي على هذا المنوال عند اعداد البرامج وخطط التكوين الجامعي .

2 - بضبط سياسة لغوية قوميّة واضحة مضبوطة المراحل والاهداف والوسائل لتكوين المعلّمين (في مستوى المعاهد الثانوية ومدارس الترشيح) وتكوين الاساتذة (في مستوى الجامعة التونسية ودور المعلّمين العليّا) وذلك بناء على الحاجات اللّغوية والعلمية (والتعريبيّة اذا لزم الامر) للتعليم الابتدائي والتعليم الثانوي . وبحكم ترابط حاجات مراحل التعليم الثلاث وتشابكها ، بعد تعريب التعليم الابتدائي ومدارس الترشيح ، فانّه لا مناص من التفكير في ارساء استراتيجية وظيفية ناجعة للتعريب التدريجي في التعليم الثانوي والعالي في اتجاه تصاعدي تنازلي في نفس الوقت . واذا كان تحقيق ذلك مازال بعيد المنال فإنّه في الامكان التمهيد له بتمكين كل المتخرجين من الجامعة ودور المعلّمين العليا ، مهما كانت مجالات اختصاصاتهم ، من بحث في اللّغة العربية ومصطلحاتها يتّصل باختصاص كلّ منهم ، وذلك في سبيل الالمام بتطوّر مادّة اختصاصه عبر التاريخ العربي الاسلامي والوقوف على المصطلحات اللّغوية الوظيفية المساعدة على تدريس تلك المادّة ، بلغة عربية حيّة ، وعلى الانتاج فيها والابتكار والمساهمة في تنميتها ، وتطوير لغته القومية ودعم حيويتها أثناء حياته المهنية والاجتماعية .

★ـ وهذا يعني أنّ ضبط المصطلحات اللّغوية وملاءمتها وتوحيدها في مختلف مراحل التعليم ليس كافيا ـ وحده ـ لترقية اللّغة العربية اذا لم يدعم بمجهود مركزّ هادف في سبيل تعريب المحيط الاقتصادي والاجتماعي ، واستعمال العربية في مختلف الادارات والمجالات والمعاملات ، استعمالا وظيفيا شاملا ، يضمن التّواصل والتّكامل بين النّظام التّربوي والمجتمع التونسي الذي يخدمه هذا النّظام ، ويعمل على تنميته وتطويره ورعاية أصالته . وبذلك يصبح استعمال اللّغة العربية ومصطلحاتها حيّا شائعا ومتطوّرا تفرضه الحياة واشباع الحاجات الاجتماعية المتجدّدة . وفي هذا المجال تلعب وسائل الاعلام السّمعية ، والسّمعية البصرية ، ووسائل الاشهار المتعدّدة دورا حاسما على الصّعيد المحلّي والجهوي والقومي ، لأنّ فعاليتها التّربوية محقّقة وثمراتها سريعة ، ولا بدّ من ان تسنّ لها استراتيجية لغوية سليمة وموحدة لترقية اللّغة العربية بتونس .

★ـ وبالاضافة الى كل ذلك فان رغبتنا المشروعة في ترقية اللغة العربية في تونس بدون احداث قطيعة في الزّمان والمكان ، اي بدون قطع صلتنا بماضي اللّغة العربية وبالبلدان العربية الاخرى اعتبارا لبعد تونس المغربي ، وبعدها العربي ، تطرح علينا ضرورة محاولة تنسيق الجهود من اجل سياسة لغوية عربية مشتركة ، يقع التخطيط لها في جميع مراحل التعليم ، وضبط اهدافها ووسائل تحقيقها ، حتى لا تنفرد كلّ دولة عربية باجتهاداتها الخاصّة في ضبط المصطلحات اللغوية وتطويرها ، أو تبسيطها والتصرف فيها تصرّفا لا يفوز بالاجماع العربي من أهل الاختصاص . وفي هذا المجال أشير الى المحاولة التي انفرد بها التعليم الثانوي في تونس منذ سنوات وجاراه في التعليم الابتدائي مؤخرا مجاراة مشروطة بانضمام اهل الاختصاص في التعليم العالي اليها ، وتتمثل هذه المحاولة في تعويض بعض مصطلحات نحوية باخرى وتبديل وظائف البعض الاخر مثل :

ـ تعويض الممنوع من الصرف بالممنوع من التّنوين .

ـ تعويض شبه الجملة بمجموعة ألفاظا وجعلها تشمل زيادة على

الجار والمجرور والظرف المضاف ، كل تابع ومتبوعه (المعطوف والمعطوف عليه والبدل والمبدل منه ، والتوكيد والمؤكد والنّعت ومنعوته) وكلّ مضاف ومضاف اليه .

ابطال اعراب ضمائر الرّفع المتّصلة ، واعطاء وظيفة لتاء التأنيث السّاكنة .

اعراب الاسم المجرور بعد الفعل اللازم والفعل المتعدّي مفعولا به ، وتغيير مدلول هذين الاخيرين تبعا لذلك .

- حذف الاعراب التّقديري في الاسم والفعل .

فهذه المحاولة الاجتهادية ، وان كان الدّافع اليها الرغبة في التّبسيط والتيسير ، فهي تبقى منعزلة اذا لم يقع عليها الاجماع في النّطاق القومي بين أهل الاختصاص ، في مراحل التعليم الثلاث ، كي تدمج في كلّ البارمج التّربوية والكتب المدرسية متى تمّ الاتفاق على جدوى تلك الاجتهادات ومنطقيتها وسلامتها من التّناقض . وبما أنّ اللغة العربية ومصطلحاتها وقواعدها ملك الجميع ، وأمّ الجميع ، وهي تراث مشترك بين الاقطار العربية فانه من الافضل ان تتضافر محاولات الاجتهاد اللغوي ، وأن تدرس محاولات التطوير والتيسير في مستوى المجامع العربية والمؤسسات الجامعية في الوطن العربي ، وفي نطاق اللجان والمنظمات العربية المختّصة كالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمعاهد التابعة لها ، ويمكن ان يستهدف هذا الاجتهاد وهذا التعاون العربي :

1) حلّ بعض مشكلات اللغة العربية التي تخصّ تيسير قواعدها واعادة تنظيمها الداخلي وتنمية مصطلحاتها في المجالات العلمية والتقنية خاصة عن طريق الاشتقاق والنحت والتوليد والتعريب ، والرجوع الى القديم المهجور وهو غزير المادة واحياء ما يصلح منه لمواكبة مشاغل الحياة المعاصرة .

2) ضبط الارصدة اللغوية الوظيفية الدنيا الملائمة لمختلف مستويات التعليم في مراحله الثلاث ، وفي مختلف الاختصاصات حتى نيسّر لاجيالنا الصّاعدة في الوطن العربي : اكتساب اللغة

العربية وتحصيل ملكتها ، ونخلق فيهم وعيا ثقافيا عربيا اصيلا وشاملا .

3) تطوير مناهج تدريس العربية وتطوير مناهج تدريس مختلف المواد العلمية والعملية والاجتماعية والدينية باللغة العربية في جميع مستويات التعليم ، حتى نحقّق النّجاعة المنشودة في هذا الباب ، ونطوّع اللّغة العربية لدراسة العلوم والتكنولوجيا . خاصّة - واستيعابها والتأليف والابتكار فيها ونضمن لها بذلك الازدهار والحياة المتجدّدة مثلما اشار الى ذلك بحقّ المرحوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده عندما قال : « ان باحثا مدققا لو اراد ان يعرف أين تموت اللغة العربية وأين تحيا لوجد انها تموت في كل مكـــان وتحيا في دار العلوم » .

4) ضبط استراتيجية عربية موحدة لترقية اللّغة العربية وتوسيع دائرة اشعاعها الثقافي والحضاري خارج الوطن العربي ، بتدريسها للاجانب والعرب المغتربين تدريسا حيّا تستغل فيه الطرق والاساليب العصرية النّشيطة على غرار ما هو معمول به في تعليم اللّغات الاجنبية الحيّة .

★ - وفي انتظار أن يتحقّق هذا التكامل وهذا التعاون وهذا الاجتهاد المنّسق على مستوى الوطن العربي ، فانّ ذلك لا يمنعنا في تونس من المساهمة الجدّية في ترقية اللغة العربية في مختلف مراحل التعليم ، وفي الحياة العامّة ، باعتبار أن هذه المساهمة لبنة من اللبنات التي قد تساهم ان شاء الله في وضع معالم سياسية تربوية ولغوية مشتركة على الصعيد المغربي او على الصعيد العربي . والمهمّ أن نعمل من اجل ذلك وأن نكون متفائلين بمستقبل اللّغة العربية هذه اللغة التي اثبتت عبر تاريخها الطويل قدرتها على التطور والتجدّد وتمثّل الحضارات القديمة وتجاوزها وفرض سيطرتها عليها ، وقدرتها على الفتح العلمي وتلقيح مختلف اللّغات التي احتكت بها في المشرق والمغرب والاندلس .

ونحن واثقون كل الوثوق ان هذه اللّغة التي بقيت حيّة صافية كاملة حتى في عصور التخلف والانحطاط لقادرة على مواكبة عصر

العلم الحديث والتكنولوجيا المتطوّرة وعصر غزو الفضاء بالاقمار الصناعية ، وعلى الاستجابة لمتطلبات البحث العلمي في جميع مجالاته ، وذلك بفضل عزيمة أبنائها وتصميمهم على خدمتها والرقي بها وحمايتها من قهر الزمان . ورحم الله الشاعر حافظ ابراهيم الذي أكّد هذه القدرة حيث أنشد بلسان حال اللغة العربية هذه الابيات الخالدة التي نختم بها هذا التدخل :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف اضيق اليوم عن وصف الة وتنسيق اسماء لمخترعات
انا البحر في احشائه الدّر كامن فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي ؟
فيا ويحكم أبلى وَتبلى محاسني! ومنكم ، وان عزّ الدّواء ، اساتي
فلا تكلونـي للزّمـان فانّنــــي أخاف عليكم أن تحين وفاتي

محمد الصالح كريم أستاذ في علوم التربية متفقد جهوي للتعليم الابتدائي صفاقس

مُحاولاتُ إصلاحِ الكتابةِ والطباعةِ العربيتين في تونس

محمد صالح بن عمر

يندرج بسط مشاكل الكتابة والطباعة العربيتين في تونس ـ ضمن المجهودات العامة التي بذلت ولا تزال ، داخل العالم العربي وخارجه ، للنهوض بهذين الفنين الخطيرين ـ ولا يخفى ان هذه القضية تعد ، الى يومنا هذا من القضايا المعلقة ، رغم ما يناهز الالفي مشروع ، التي اقترحت لحلها والبت فيها ، والتي يرجع النصيب الاوفر منها الى اخواننا المشارقة ـ ولا سيما المصريين منهم ـ وليس من تفسير لغياب المساهمات التونسية ، في المناقشات التي دارت حول هذه القضية على الصعيد العربي طيلة الخمس والعشرين سنة الاولى من ظهور مجمع اللغة العربية بالقاهرة (وهي الفترة التي ظهرت خلالها جل المشاريع) ، غير العزلة التي كانت مفروضة على التونسيين وسائر المغاربة في عهد الاحتلال الفرنسي الغاشم .

ولئن انعدمت المشاركات التونسية (او كادت (1) في نطاق

1) شارك حسن حسني عبد الوهاب في مناقشة مشروع عبد العزيز فهمي الداعي الى تعويض الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، والذي عرض على مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1946 . انظر : تيسير الكتابة العربية ـ نشر ل . ع القاهرة ـ 1946 .

اشغال المجمع ومداولاته بدراسات ومشاريع اصلاحية ، فانها لم تكن كذلك على الصعيد المحلي : حيث طرحت قضية الكتابة العربية منذ اواخر القرن الماضي ، وظهرت في شأنها العديد من المحاولات سواء من قبل تونسيين او مستشرقين فرنسيين لم تكن غاياتهم جميعا الاصلاح ، وانما تحقيق مارب مريبة تتجاوز بكثير حدود البحث العلمي الموضوعي المجرد .

وان متفحص هذه المحاولات ، سواء منها الدراسات ذات الطابع العلمي التاريخي ، او المشاريع الاصلاحية التي ظهرت خلال الثمانين سنة الاخيرة ، ليتبين دون عناء مواقف اربعة (3 مختلفة من الكتابة العربية يمكن حوصلتها كالاتي :

1) موقف راديكالي قائم على اعتبار الكتابة العربية مشكلا في حد ذاتها ، لا يحل الا بالتخلي عنها - نهائيا - وتعويضها بالكتابة اللاتينية . وهو موقف جريدة (3 «الديباش التونسية» (la Dépêche Tunisienne) (2) عبرت عنه في مقدمة تحقيق اجرته حول هذه القضية مع بعض التونسيين والفرنسيين المستعربين ، ونشرته تباعا ببعض اعدادها الصادرة بين الفاتح من ديسمبر 1910 والتاسع عشر من فيفري سنة 1911 . ففي هذه المقدمة تشير الجريدة الى ان الذي دعاها الى التفكير في هذه القضية ، هو نجاح استعمال الحروف اللاتينية في كتابة احدى لغات الهند الصينية ، بمبادرة من احد المبشرين الفرنسيين . فرأت ان تعرض الفكرة على مختصين في اللغة العربية ، حتى يدلوا بارائهم في امكانية تطبيق هذه الطريقة على العربية او - على الاقل - على اللهجة التونسية . ويجاري الجريدة في موقفها هذا مستعربان فرنسيان استجوبتهما هما ماريوس دلماس(Marius Delmas) استاذ للغة العربية ومدير المعهد الصادقي ، وجول سوران (Jules Saurin) استاذ للغة العربية بمعهد تونس (Lycée de Tunis) « فاستعمال الابجدية اللاتينية في

---

2) جريدة فرنسية صدرة بين سنة 1889 و سنة 1961 بتونس مؤسسها أ - لوكور كاربونتيي(E.Lecore Carpentier) .

3) انظر عدد يوم 1-12-1910

كتابة اللغة العربية سيبشر » - حسب دلماس (Delmas) « تعلمها ، وسيلقى نجاحا مماثلا للذي لقيه في كتابة اللغة المالطية ، التي ليست سوى لهجة عربية »(4) . اما سوران (Saurin) فانه يرى « ان الابجدية العربية اذا ما قورنت بالابجدية اللاتينية تبدو كمحراث العصور القديمة بالنسبة الى المحراث العصري وبالتالي فهي وسيلة متخلفة ، وغير قادرة على التمكين من الافصاح عن الافكار .. والحل الناجع هو تأليف كتب .. بلغة عربية مكتوبة بالحروف اللاتينية ، على ان يرفق كل نص فيها بما يقابله من ترجمة اللغة الفرنسية » (5) .

ويشبه هذا الموقف موقف بيار كونال (Pierre Caunelle) - وهو معلم فرنسي بمدرسة رحبة الغنم بتونس - في مشروع له نشره سنة 1913 بعنوان « طريقة لنقل الرسم العربي نقلا تاما بواسطة الالفباء اللاتيني العربي » .

(Méthode de transposition orthographique intégrale de l'écriture arabe au moyen de lalphabet Latino-Arabe) .

ولقد دعا صاحب هذا المشروع الى الاستعاضة عن الابجدية العربية بابجدية مكونة من حروف لاتينية ، وعدد من حروف الجمعية الصوتية العالمية ، وذلك لان الابجدية العربية تتألف من مجموعتين مختلفتين من الحروف هما :

أ) مجموعة تضم 17 حرفا لها ما يقابلها في اللغة الفرنسية وهي : ا ، ب ، ت ، ج ، د ، ر ، ز ، س ، ك ، ف ، ق ، ل ، م ، ن ، ى ، ش .

ب) مجموعة تتكون من 12 حرفا لا وجود لمقابل لها في اللغة الفرنسية وهي : ث ، ح ، خ ، ذ ، ص ، ض ، ع ، غ ، ط ، ظ ، ف ، ه .

ولهذه المجموعة الثانية يقترح كونال (Caunelle) اربعة حروف

4) انظر عدد يوم 4-12-1910

5) انظر عدد يوم 19-1-1911

لاتينية ، وثمانية حروف من حروف الجمعية الصوتية العالمية وذلك كالاتي :

ح = ħ   خ = x   ص = ç   ق = q

ث = ŧ   غ = ɣ

ذ = đ   ط = ȡ

ض = w   ظ = ȡ̄

ع = ɸ   ه = γ

والغريب في هذا المشروع ، ان صاحبه اقتصر على نقل الحروف (Consonnes) العربية (بالحروف التي يقترحها) ، دون الحركات التي يبقى رسمها بواسطة علاماتها العادية فوق الحروف وتحتها . ولا يخفى كونال (Caunelle) نواياه والدوافع الحقيقية التي حفزته على وضع مشروعه هذا ، والتي ليست سوى المساهمة في تحقيق الادماج الثقافي ! لشعوب المستعمرات الفرنسية بشمال افريقيا في شعب الوطن الام فرنسا .

2) موقف دفاعي لا يرى اصحابه اي داع الى اصلاح الكتابة العربية ، وتغيير اشكالها ، وهو موقف كل من رجلي الفكر التونسيين : البشير صفر والي سوسة ومدير سابق لجمعية الاوقاف ، وحسن حسني عبد الوهاب استاذ تاريخ بالخلدونية ، ومستعربين فرنسيين هما جان كلارمون(Jean Clermont) استاذ للغة العربية بمعهد كارنو بتونس ، وفرانسوا شمبافير (François Champaver) مدير مدرسة عربية فرنسية ببنزرت ، وضابطين فرنسيين هما روبي Rebillet عقيد متقاعد ، ودونشار(Dincher) رائد وقائد وحدة عسكرية - (وهؤلاء من المشاركين في تحقيق «الديباش») وهو ايضا موقف مجلة « المباحث » التونسية في رد

لها على مشروع المصري عبد العزيز فهمي سنة 1946 ، وموقف البشير بن سلامة في كتابه « اللغة العربية ومشاكل الكتابة » الصادر سنة 1971 بتونس .

ففي نظر البشير صفر لا تحتاج الكتابة العربية الى اي اصلاح ، ولا يمكن ان تكون كل محاولة لتغييرها الا مشروعا مستحيل التنفيذ (6) .

وهي ، في نظر حسن حسني عبد الوهاب ، تفوق الكتابة اللاتينية بل وقادرة على رسم اللغات الاوروبية احسن منها (7) .

اما كلارمون (Clermont) فانه يرى ان الطبيعة الاشتقاقية للغة العربية لا تسمح البتة باستعمال الحروف اللاتينية الذي يعسّر الى - حد بعيد - تعليم الصرف العربي في المدارس والمعاهد : اذ لا يتيح للتلميذ تبين الفروق بين الصيغ المختلفة المشتقة من جذر واحد. (8) .

وأما شمبفير (Champaver) فإن للغة العربية في نظره ، هياكلها المتميزة وعبقريتها وجمالها ، وهي خاصيات لا يمكن استيعابها الا بقراءة النصوص الاصلية المكتوبة بالحروف العربية (9) .

وينتقد روبيي (Rebillet) من ناحيته، طريقة تدريس العزبية بالحروف اللاتينية التي كان يجري بها العمل في الجزائر ، نظرا الى عدم وجود مقابل في الابجدية اللاتينية للكثير من الاصوات العربية مما يوجب استعمال حروف لاتينية مثقلة او مزدوجة للدلالة عليها ، مصرحا - في النهاية - بأنه لم يتوصل الى تعلم العربية الا بواسطة كتابتها الاصلية (10) .

---

6) انظر عدد يوم 21-12-1910
7) انظر عدد يوم 24-12-1910
8) المصدر نفسه .
9) المصدر نفسه .
10) انظر عدد يوم 28-12-1910

وهذا الرأي نفسه نجده ، عند دنشر (Dincher) الذي يعتبر ايضا ان أفضل سبيل الى تعلم العربية يبدأ من تعلم اَبَجديتها (11) .

كما تقف مثل هذا الموقف الدفاعي مجلة « الباحث » في منتصف الاربعينات ، في ردها الحماسي على دعوة عبد العزيز فهمي الى تعويض الحروف العربية بالحروف اللاتينية ناعتة اياه ـ بـ « الدكتور المشؤوم » وواصفة مشروعه بالتنكر للماضي و « الخيانة العظمى » (12) .

وهو اخيرا موقف البشير بن سلامة ، منذ اواخر الستينات ، حين عبر عن عدم اعترافه بوجود اي نقص في الكتابة العربية ، حاصرا مشكلتها الاساسية في استعمالها غير مشكولة ، مقترحا ـ لحل هذه المشكلة ـ طريقة طباعية تضمن الشكل التام والسريع لكل ما يكتب بالحروف العربية ، ولا سيما الجرائد والمجلات ، والمعلقات وغيرها من المطبوعات (13) ... وما دامت الكتابة العربية في نظره ، غير ناقصة ، فانه يرفض كل الاصلاحات الرامية الى تغيير اشكال حروفها وحركاتها ، غير مخف شكه في نوايا الكثيرين من دعاة هذا الضرب من الاصلاح ... الذين « منهم الصادق ومنهم صاحب النية المبيتة » (14) .

3) موقف اصلاحي معتدل ! يرى اصحابه امكانية الاحتفاظ باشكال الحروف العربية على شرط ان تبتكر علامات جديدة للحركات ترسم في صلب الكلمة . وهو موقف كل من خير الله بن مصطفى مترجم عدلي لدى المحكمة المختلطة بتونس واحد المشاركين في تحقيق «الديباش» ولوي ماشوال (Louis Machuel) مدير التعليم العمومي بتونس في بداية هذا القرن ، ومحمد الحبيب المرزوقي طالب بدار المعلمين العليا سنة 1969 ، ومحمد عزالدين دكتور مهندس في الاعلامية في بداية السبعينات .

---

11) انظر عدد يوم 29-12-1910

12) العدد 26 من السلسلة الجديدة الصادر في ماي 1946 .

13) اللغة العربية ومشاكل الكتابة ص 82 .

14) انظر الفكر عدد 6 ـ مارس 1968 .

ففي رأي خير الله بن مصطفى ليس تعلم الحروف العربية بعسير على طفل بين الرابعة والخامسة من عمره ، والصعوبة الوحيدة في الكتابة العربية هي معرفة الحركات المناسبة لكل حرف في كل كلمة ، ولذلك فهو يرى من الانسب رسم الحركة بجانب الحرف مثلما هو الشأن في الكتابة اللاتينية ، وكذلك تبسيط القواعد النحوية والصرفية الضرورية معرفتها للنطق الصحيح (15) .

اما ماشوال(Machuel) (16) فانه يرى ايضا ان اصلاح الكتابة العربية « يجب ان يتجه اساسا الى رسم الحركات التي ينجر عن غيابها في الكتابة الحالية عدم الثبات في قراءة نص ما ومعانيه » ومن ثم فلا أفضل من رسم الحركات داخل الكلمة ، حتى لا تبقى معرفتها رهينة الالمام بالقواعد النحوية والصرفية . ويقترح ماشوال(Machuel) لرسم هذه الحركات العلامات التالية :

: الفتحة (اتجاه ذؤابتها الى اعلى يذكر بمكانها السابق فوق الحرف) .

: الكسرة (اتجاه ذؤابتها الى اسفل يذكر بمكانها السابق تحت الحرف) .

: الضمة (شكلها هذا هو الجزء الاعلى من حرف الواو مع العلم ان شكل الضمة العادي ـ اخذه الخليل بن احمد من الواو) .

: تنوين الفتحة .

: تنوين الكسرة .

: تنوين الضمة .

كما يقترح صاحب المشروع العلامة التالية : ع لرسم الهمزة وهي علامة قارة ترسم دائما على السطر . ويدعو الى الاستغناء عن الشدة بتكرار الحرف المضاعف ، والتخلي عن همزة الوصل كما في «بسم» عوضا عن «باسم» والالف المقصورة وتوحيد حرف التاء .

---

15) انظر «الديباش» عدد يوم 1910/12/21 .

16) انظر : (Tiré «Note sur la réforme de l'écriture arabe » «La Revue Tunisienne» — à part) 6-1-1911 Tunis.

وأما محمد الحبيب المرزوقي (17) فلقد اقترح استعمال الالف ، والياء ، والواو ، كحركات قصيرة ، عوضا عن الفتحة ، والكسرة ، والضمة العادية حتى يتسنى رسمها داخل الكلمة ، كما اقترح رسم مطة على كل من تلك الحروف للدلالة على المد :

مـــات = مـاتا
يقـول = يا قولو
يبيـت = يابيتـو

وأما رسم الواو والياء ـ كحرفين لا كحركتين طويلتين ـ فانه يكون حسب صاحب هذا المشروع ، بوضع نقطة على الواو ونقطة على الياء :

و = و
ى = ى

كما يدعو الى التخلي عن رسم السكون ، والى رسم الهمزة في كل الحالات على السطر .

وفي هذا المشروع كما نرى نقطة ضعف كبيرة، وهي انه يتخلص من الفتحة برسمها داخل الكلمة لكنه يعوضها بتلك المطة الدالة على المدّ .

وتجدر الملاحظة ان جل هذه المقترحات قد تقدم بها الشيخ دحيف (Dehif) في مقال له نشره سنة 1910 بمجلة العالم الاسلامي (Revue du monde musulman) ص 448 تحت عنوان «مشروع لاصلاح الكتابة العربية» .

فهل ان الامر لا يعدو ان يكون مجرد توارد خواطر والتقاء الحافر بالحافر كما يقال ؟

وختاما يبني محمد عزالدين (18) مشروعا لاصلاح الكتابة

---

17) انظر الملحق الثقافي لجريدة العمر 22-8-1969 .

18) «Projet pour la réforme de l’impression arabe» (manuscrit) 1972 .

العربية على المبدأ نفسه ، وهو اقحام الحركات فى صلب الكلمة ، ويقترح لهذه الحركات العلامات التالية :

= الفتحة

= الكسرة

= الضمـة

= تنوين الفتح

= تنوين الكسر

= تنوين الضم

كما ابتكر حرفا اسماه ج الحرف الصامت «ودعا الى استعماله في نقل بعض الحروف الاجنبية الى العربية ، وهذا الحرف هو لـ فاذا رسم بعد الباء دل على الحرف P واذا وضع بعد الفاء دل على الحرف U واذا كتب بعد الجيم دل على الحرف G

ولعل اهم نقص يلاحظ في هذه العلامات ، افتقارها الى التقويس والاستدارة ، وتكونها من الخطوط المستقيمة والزوايا القائمة ، وهو ما لايتناسب مع بقية اشكال الحروف العربية .

4) موقف علمي خالص وهو الذي نجده عند صاحبي الدراستين العلميتين التاريخيتين الوحيدتين اللتين صدرتا بتونس ، وتناولتا هذا الموضوع ، وهما اميل امار (Amar Emile) محام يهودي في بحث له بعنوان «اصل الكتابة عند العرب» (de l'écriture chez les Arabes) نشره «بالمجلة التونسية» سنة 1907 ومحمد رشاد الحمزاوي في اطروحته عن « مجمع اللغة العربية بالقاهرة - تاريخه واعماله » الصادرة سنة 1975 .

ويتلخص موقف هذين الباحثين في اعتبارهما الكتابة العربية ظاهرة موضوعية مستوجبة للتحليل والدرس من زاوية علمية بحتة ، لا مراعاة فيها لصبغتها المقدسة ، ولا لما نسج حولها من اساطير وخرافات . وذلك بالتركيز - فحسب - على دورها الابلاغي المتطور بتطور حاجيات المجتمع التعبيرية .

واذا قام الموقف الثاني على نزعة وطنية واضحة ، وانبنى الموقف الثالث على اعتبارات فنية وتقنية صرف (وتركز الموقف الرابع على نظرة علمية مجردة) ، فان للموقف الاول ابعادا تتعدى حدود العلم وتتجاوز بكثير المستوى الخطي للكتابة ، فلا تغيب عن الباحث غايات اصحابه الاستعمارية : المتمثلة في محاولة طمس هوية الشعب التونسي ، وعزله عن العالم العربي الاسلامي ليسهل ادماجه تدريجيا في الامة الفرنسية ، وحتى ان وجدنا من الفرنسيين من دافعوا عن الكتابة العربية فان دفاعهم هذا كان من منطلق شخصي ، ذاتي وهو الدفاع عن مهنتهم (الفرنسيون المدرسون للعربية مثل كلارمون (Clermont) وشمبفير (Champaver) ، او الدفاع عن ميزة كانت لها قيمتها عند المستعمرين في عهد الاحتلال وهي معرفة لغة المستعمر ، وثقافته وعاداته (الضابطان الفرنسيان) .

ولكن على الرغم من كل ذلك ، ومهما يكن موقفنا الوطني من هذه القضية ، فان الحقيقة التي لا يمكن جحودها هي ان للكتابة العربية - شأن كل كتابات العالم - محاسنها ومساويها ، ولعل ابرز هذه المساوي رسم الحركات فوق الحروف وتحتها ، هو عيب نعاني منه الكثير في ميداني التربية والطباعة بالخصوص ، وفي رأينا ان ابتار اشكال للحركات وادخالها في صلب الكلمة لن يكون لهما اي تأثير سلبي على عادات القارىء العربي : نظرا الى قلة العلامات الجديدة التي لا يتجاوز عددها الثلاث ، كما ان فائدة هذا الاصلاح تكون عظيمة اذا ما عزز بحذف علامة السكون واستعمال النون للدلالة على التنوين ، ورسم الهمزة على السطر في كل الحالات . على ان نجاح الاصلاح لن يتحقق في المستوى العلمي والتطبيقي الا اذا كانت الاشكال المبتكرة متماشية مع هندسة بقية الحروف العربية وقريبة - قدر الامكان - منها ، ولعلّ الحل المثالي ، في هذا المجال ، يتمثل في استخراج هذه العلامات الجديدة من الحروف النبطية الخمسة التي تركها العرب (اذ اقتصروا كما نعلم على تبني 17 حرفا من جملة 22) او من الاشكال 17 التي اخذوها ، بادخال شيء من التغيير عليها ، كاستعمال حرف الباء مثلا دون تنقيط للدلالة على

الكسرة (إذ هو الشكل نفسه لحرف الياء) أو حرف الفاء دون تنقيط ايضا للدلالة على الضمة (نظرا الى الشبه بينه وبين الواو) او استعمال حرف الكاف دون اشالة للدلالة على الفتحة وما الى ذلك ...

★ ★ ★

اما في ميدان الطباعة العربية فان اول من دعا الى اصلاحهـا من الوجهة الفنية الصرف ، هو بدون منازع البشير بن سلامة ، في مقالين له نشرهما بمجلة الفكر سنة 1968 (19) قبل ان يدرجهما في كتابه المشار اليه انفا .

ففي احد هذين المقالين يقول ابن سلامة : انه ركز مقترحه على ضرورة الشكل من دون استثناء ، وعلى وجوب شكل الجرائد والمجلات وكل مطبوع مهما كان ...» (20) .

على ان هذا الشكل التام ، والسريع ، تعترضه عوائق عدة في مستوى الطباعة منشؤها عدم وجود الة صف قادرة على ان توفر ذلك للجريدة ، خاصة والحل في رأي صاحب المشروع يكمن في تطوير الة « صائغة السطور »(Linotype) او ابتكار الة شبيهة بها من حيث تركيبها العام ، ونوع الحروف التي تصوغها . والمعلوم ان صائغة السطور «هذه تسبك الحروف والكلمات حال رقنها في شكل اسطر متلاحقة من المعدن الساخن (كالرصاص او غيره) متساوية من حيث الطول وفقا للعمود المختار ، ومن ثم فان اي خطا في الرقن ينجر عنه اثناء الاصلاح استبدال السطر الذي حصل فيه هذا الخطأ بسطر جديد .

اما الاصلاح الذي يقترحه ابن سلامة ، والذي اطلق عليه اسم

19) انظر : «تيسير الطباعة العربية ـ الفكر ـ عدد 6 ـ مارس 1968 .
و «تفاوت بين اكتمال اللغة وبدائية الكتابة» ـ الفكر ـ عدد 10 ـ جويلية 1968 .

20) المقال الاول المذكور في الاحالة السابقة .

« الكتابة النموذجية » فانه يعتمد ـ أساسا ـ على الحركة (الشكلة) التي ترسم على الرابط الواصل بين الحرف والحرف (الفتحة ـ الضمة ـ تنوين الفتح ـ تنوين الضم) او تحت الرابط (الكسرة ـ تنوين الكسرة) شريطة ان يكون هذا الرابط «مدروسا ، بحيث يمكن ان يربط بين كل الحروف دون ان يخل بجمال الخط» (21) .

والملاحظ ان الحروف التي اختارها صاحب المشروع مبتورة ، لان جزءا منها يوجد في الرابط الذي يحمل الحركة ، مما يدل على ان هذا الرابط ليس مجرد مطة عليها او تحتها حركة ، وانما هو مكون ـ زيادة على ذلك ـ من جزء من الحرف الذي يسبقه أو يليه، وهذا ما يبرز الصعوبة الفائقة في تصميمه ، نظرا الى وجوب التصاقه بكل الحروف القابلة للاتصال ، اذ لا بد من مجانسة مواضع الاتصال في كل الحروف حتى يتسنى التصاق الرابط بها التصاقا طبيعيا ومناسبا . ولعل حرص ابن سلامة على اخذ الرابط جزءا من الحرف يرمي الى اجتناب زيادة في الطول قد تطرأ على الكلمات ، فتترتب عن ذلك زيادة في التكاليف ، منشؤها الزيادة في الورق .

وفي رأينا ، ان هذا المشروع مجرد حيلة تقنية لتمكين الة معينة قديمة نوعا ما وهي « صائغة السطور » من الشكل التام والسريع ، وهو لا ينطلق من حل ـ جذري ـ لمشاكل الكتابة العربية ، ولا سيما مشكل تقليد كتابتها المطبعية للكتابة اليدوية الذي يبقى العقبة الكبرى والكأداء امام تطور الطباعة العربية .

والمعلوم ان البشير بن سلامة اعترف هو نفسه بسنة 1974 بتجاوز الاحداث لمشروعه ، واعلن تخليه عنه ، داعيا الى احتضان الة طبع جديدة هي «الصائغة بالصورة (Photo-composeuse) التي تسلبك بالتصوير الفوتوغرافي عوضا عن المعدن الساخن (22) .

والى جانب مشروع ابن سلامة ، نجد مشروعا اخر لمحمد الحبيب المرزوقي (23) ، انطلق فيه من ضرورة ابتكار كتابة

21) المصدر نفسه .

22) «الجديد في الطباعة العربية ـ الفكر ـ ديسمبر 1974 .

23) العمل الثقافي 22-8-1969 .

مطبعية عربية منفصلة ، مثلما هو الشأن بالنسبة الى الكتابة المطبعية بالحروف اللاتينية . ولقد عمد صاحب هذا المشروع الى اختيار شكل واحد لكل حرف واعتباره الشكل المطبعي القار ، مع الغاء مواضع الاتصال فيه ، ثم حاول معادلة ابعاد كل الحروف حتى تكون متساوية جميعا من حيث الحجم ، والمساحة التي تحتلها (فدائرة الصاد مثلا تصبح مساوية لدائرة الميم) .

لكن الاستطالة المفرطة لجل الاشكال التي اختارها تجعل هذه الحروف هجينة عن القارىء العربي ، واقرب ما تكون الى الحروف اللاتينية .

ويشبه هذا المشروع - من حيث المبادىء الاساسية التي انبنى عليها - مشروع محمد عزالدين (24) : الذي يحدد اشكال الحروف حسب عدد الصوائم الموجودة في اللغة العربية اي 34 (28 حرفا و 6 حركات) . وعلى الرغم من احتفاظه بالهمزة والشدة ، والتاء المربوطة والالف المقصورة فان سرعة الطبع بواسطة هذهالاشكال قريبة من سرعة الطبع بالحروف اللاتينية اي 85 سطرا في الساعة . والملاحظ ان عزالدين قد خصص مساحة موحدة لكل الحروف ، ووضع نمطين من الكتابة المطبعية : كتابة بالحروف التاجية ، واخرى بالحروف العادية .

ولعل العيب الوحيد في الاشكال التي اقترحها ، خلوها ايضا من الهيئة الدائرية وطغيان الخطوط المستقيمة عليها .

وفي رأينا ان هذين المشروعين الاخيرين يمكن ان يكونا منطلقا لابتكار كتابة مطبعية عربية منفصلة ، يتعلمها الطفل في المدرسة الى جانب تعلمه الكتابة اليدوية المتصلة . ولا يخفى ان اصلاح الحركات - باقحامها في صلب الكلمة - هو في الوقت نفسه اصلاح للكتابة المطبعية العربية التي تقل بفضل ذلك تكاليف انجازها ، فتتحقق للطباعة العربية السرعة المنشودة ، وللكتاب العربي الانتشار الكافي .

---

24) انظر الاحالة عدد 18 .

ولكن هذه الاهداف لا يمكن بلوغها الا بقرار سياسي ! يستجيب له كل العرب بدون استثناء . ولئن كان حصول مثل هدا الاتفاق امرّا شبه مستحيل - في الظروف الحالية - فان املنا وطيد في المستقبل . مستقبل هذه الجماهير المتطلعة الى الافضل .

في نطاق هذا الملتقى الذي ينعقد تحت شعار «ترقية اللغة العربية » اقترح عليكم موضوعا - هو في نظري وثيق الصلة بهذه الترقية المنشودة ، وهو موضوع اصلاح الكتابة والطباعة العربيتين في تونس .

وقضية اصلاح الكتابة العربية - كما لا تخفى عليكم - ليست وليدة هذا العصر ، وانما ترجع جذورها الى بداية القرن الاول للهجرة ، حين فكر المسلمون في تدوين القران الكريم ، خوفا عليه من الضياع والتلاشي ، بعد وفاة حافظيه الاولين .

ولما لم تكن للعرب كتابة في ذلك الوقت ، التجؤوا الى الكتابة النبطية التي كانت شائعة في الجزيرة العربية - اذ ذاك - واخذوا منها 17 شكلا للدلالة على الـ 28 صوتا التي تحتوي عليها الكتابة العربية .

والمعلوم ان الكتابة النبطية خالية من التنقيط ، فكان الشكل الواحد يدل احيانا على 3 احرف مثل الباء ، والتاء ، والثاء ، واحيانا على حرفين مثل العين ، والغين ، لكن - على الرغم من ذلك - لم تكن هذه الكتابة المنقوصة الخالية من التنقيط لتقف عائقا امام قارىء القران الذي كان حافظا له ، ولا يستعمل الكتابة الا كمعين له على التذكر لا غير .

وبعد اتساع رقعة الخلافة الاسلامية خشي على القران من اللحن والتحريف ، فبرزت الحاجة الى التمييز بين الاحرف المتشابهة ، فابتكر ابو الاسود الدؤولي طريقة التنقيط لهذه الغاية . الا أن هذا الاصلاح لم يكن كافيًا : نظرا الي اقتصار الكتابة العربية على رسم الحروف دون الحركات . فلجأ العرب الى ابتكار علامات لهذه الحركات ، وكان ذلك على يد نصر بن عاصم بامر من الحجاج بن يوسف ، وكانت هذه الحركات عبارة عن نقطة توضع فوق الحرف

للدلالة على الفتحة ، ونقطة ترسم تحته للدلالة على الكسرة ، ونقطة للدلالة على الضمة ترسم بجانبه ، مع الملاحظ ان النقاط الدالة على الحركات كانت تكتب بلون احمر ، أو اصفر حتى لا تختلط بالنقاط التي على جزء من الحرف .

وقد تواصل العمل لهذه العلامات ، حتى جاء الخليل فابتكر الحركات الحالية التي لا نزال نستعملها الى اليوم .

ومنذ اواخر القرن الماضي ، برزت مشاكل جديدة في الكتابة العربية بمناسبة ظهور المطبعة ، وذلك لعدم تفكير العرب في وضع كتابة منفصلة ، على غرار ما هو موجود في الكتابة اللاتينية ، وكذلك بسبب وجود الحركات فوق الحروف وتحتها .

ولهذا السبب فان اغلب الكتب العربية تستعمل اليوم منقوصة اي غيرْ مشكولة ، وفي ذلك خطر كبير ، ولا سيما من الناحية التعليمية .

ومرة ثانية يقع التفكير في اصلاح الكتابة العربية ، فظهرت لهذا الغرض مئات المشاريع والمقترحات الاصلاحية التي رفضت كلها من قبل مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

وفي هذه المحاضرة سوف اقصر اهتمامي على الشماريع التي ظهرت في تونس منذ بداية هذا القرن الى سنة 1980 ، وهو بحث استغرق مني 4 سنوات وهذه حوصلته .

بين لغة المتنبّي وقهقهة مُوليار

الدكتور منصف المرزوقي

ظاهرة الفرانكوارب كدولة اسرائيل : نحن لا نعترف بوجودها، لكنها موجودة حجة دامغة على فشلنا الحضاري ، على ضعفنا وتبعيتنا والظاهرة معروفة بما فيه الكفاية ـ لكن لنتوقف بعض عيناتها نفتعل التسلي . نقول :

« ها الايام انا منفكنص » اي انا في فترة vacances لمن لا يفهم الفرانكوارب انا في عطلة .

نقول : تكونسيت اي وقعت في ورطة ـ وتكونسيت هو تصريف فعل coincer والمثال ليس ابشع مما يوجد في القائمة .

تقول : مشيت لل Faculté نلقى des étudiants متكونسين في بقار مع البوب . اي ذهبت للكلية فاذا بالطلبة في مشكلة مع الشرطة .

نقول : شفت اكسدان واحد مباسي كرازاه كميون رمسوه مورصو مورصو « اي رأيت حادثا ، وقتل عابر من طرف شاحنة ، فالتقطت اطرافه الواحد بعد الاخر .

ونقول ونقول ... أضيخوا السمع ، وسيهو لكم ما تسمعون . الفاظا عربية ، وافعال عربية ، تتداخل في فوضى تتحدى أعقد

قواعد النحو والصرف مع افعال والفاظ فرنسية ، لتشكل هذه اللغة الهجينة التي نسميها الفرانكوارب ، والتي هي اليوم بمثابة اللغة الثالثة لهذه البلاد .

أحقاقا للحق ، نحن لا نقول : « ان الله على كل شيء كابابل » ونحن لا نقول : «انا لله واليه دوتور » لكن لا تعجبوا ان سمعتم يوما ابا ، او قريبا ، يرتل القران بالفرانكوارب ، لأنه لن يقول الايات تهكما ، وانما لان السرطان في اللغة كالسرطان في الجسم ، لا يقف عند حدا ، ابتداء من اللحظة التي نشبت فيها المخالب في الضحية .

خصائص الظاهرة :

1) **الانتشار** : الفرنكوراب لغة الادارة ، لغة الجامعة ، لغة المدارس الثانوية ، لغة المستشفيات ، حاول ان تتكلم مع اي شاب في عواصمنا الكبرى بالعربية الدارجة السليمة واستمع اليه وهو يتكلم : لن يصمد الا دقيقة او دقيقتين .

ثم سيبدأ في « التخفيص » وستسمع بشيء من المخيلة « ايات الالم » تتصاعد من لغة المتنبي ، وصرير اسنان لغة موليار ، وهي تحشر حشرا وتمزق تمزيقا ، وتهشم تهشيما حتى يستطيع مخاطبك الكريم ان يعبر عن مقصوده .

السطوة : انت ايضا انسان تونسي مثقف وشاب ، تعصبك لتونس وللعربية اعمق من تعصبي ، وايمانك بهما اقوى من ايماني ! اين هيامك بهما من هيامي ؟ لا تنهي يومك الشاق الطويل ، الا وقصائد ايليا أبو ماضي بين يديك تطرب لها روحك ، وتنتشي ، تعيد التحامك باللغة الازلية ، والمعاني الازلية التي طالما ترجمت لها هذه اللغة الفريدة .

والان ادخل في نقاش مع زميلك في المهنة ، او تلميذك الشاب ، وقل لي بصراحة : كم من وقت ستصمد ؟ لقد قمت - شخصيا - بالتجربة ، واكتشفت انني اذا دخلت النقاش وانا مصمم العزم على ان لا انطق بكلمة واحدة من اللغة البشعة ، فانني استطيع الصمود

عادة عشرين دقيقة ، هذا ان كان الاخر ملما بالعربية ، اما اذا دخلت النقاش مع متفرنس وبدون استعداد للنضال فانني لا اصمد اكثر من دقيقة وابدأ انا الاخر في «التغفيص » وتتعالى انات الالم من اللغتين ، ويخيل لي انني اسمع لعنات المتنبي ، وقهقهة موليار .

3) **التفاقم** : الفرانكواراب حاليا ، لغة المثقفين ، خاصة انصاف وارباع واخماس واسداس المثقفين منهم ، وعملية نشرة واشاعته بين قطاعات الشعب متواصلة ، تقوم بها مشكورة اجهزة الاذاعة والتلفزة ، والتعليم والادارة ، والصحافة ، وبالتالي فان القطاعات التي لا تزال محافظة على سلامة اللغة ، في مأمن نسبي مؤقت وحالتها شبيهة بحالة القبائل البدائية المحاصر بالحضارة العربية من الجهات الاربع ، والتي يتوقع سقوطه قلاعها بين اللحظة والاخرى فالسؤال المطروح ـ ليس هل سنتكلم كلنا يوما الفرانكوارب ؟ لان الامر مفروغ منه ، ولكنه : متى ستتم العملية ؟ ومتى ستنتشر لنا دور النشر اول عمل ادبي قومي ؟ يكون عنوانه : انا مدبريمسي ، (كلمة مشتقة من فعل دبرم يدبرم اي اصابه ديبريم من الكلمة الام déprime ، وتعني باللغة القديمة ، التي كان يتداولها قوم اندثروا اسمهم عرب تونس : انهيار عصبي ، والان تعالى نتساءل عن معنى الظاهرة ، فالحكم المعياري ، لا يجب ان يحتكم الى العاطفة وحدها ، وانما عليه ايضا الرضوخ الى حكم العقل ، ومن ثمة سؤالي .

ماذا لو كان الفرانكوارب ظاهرة طبيعية ان دلت على شيء فعلى حيوية اللغة وتطورها الحتمي ؟ ماذا لو كان اشمئزازنا منه ، ومحاولة التصدي له كمحاولة التصدي لقانون من قوانين الطبيعة ؟ واهمية الرد الموضوعي على هذا السؤال واضحة : فنحن امام تفسيرين وامام خيارين .

الفرانكوارب مرحلة طبيعية في تطور لغتنا ، ومن ثمة لا مجال للتصدي له ، بل بالعكس فما علينا الا مجاراة الاحداث ، لان العاقل لا يتصدى للحتميات ، الفرانكوارب لغة دخيلة هجينة ، لا طبيعية يجب محاربتها ، مع الامل بأننا نستطيع القضاء عليها ، لانها حقا

ظاهرة لا طبيعة ، لندرس الامكانية الاولى ، ولندرسها بعقلية محامي الشيطان - مثلا - نستطيع مواجهة انفسنا ببعض الحقائق التاريخية ، كأنّ نذكر بأنْ تطعيم لغة بعدد لا بأس به من اصطلاحات لغة اجنبية امر معهود ، بل ونستطيع التذكير بأن لغتنا المغزوة في عقر دارها ، هي ضحية انقلاب موازين القوى ، الم تغز لغة الفرس ، والترك والهنود والاسبان الخ ...؟ اليس صحيحا ان 25 % من كلمات اللغة الاسبانية عربية الاصل ، ومع ذلك فقد هضمتها هذه اللغة وأصبحت جزءا منها ، بل وربما مثلت مرحلة عليا من تطورتها ؟ . لماذا تسيل اليوم دموعنا ونحن نعاني مما شكخا منه الفرس والترك والاسبان ؟ او ليس هذا التداخل اللغوي ثمن التقارب والتعارف بين الحضارات والبشر ؟ بالاضافة الى هذا كيف تتجاسر على محاولة حصر اللغة في قالب تاريخي ، اليست اللغة كائنا حيا تتطور بتطور المجتمعات ؟ . أان نحكم على انفسنا بالتحجر والجمود ، ان نحن حاولنا رفض هذا التطور الحتمي ؟ الا نعلم ان التاريخ حسم دائما الجدل والخصام بين المجددين والمحافظين لصالح التجدد ؟ بعبارة اخرى اليست حملتنا ضد الفرانكوارب ، كحرب ضد طواحين الهواء التي هجم عليها يوما دون كيشوط شاهرا عليها رمحه المكسور ؟

اقول ردا على هذه التساؤلات .

اذا ثبت ان الفارنكوارب مرحلة طبيعية من تطور لغتنا ، فمرحبا به بين ربوعنا ، والى الجحيم اللغة الكلاسيكية ، فانا مع التجدد والتطور والحركة ، وضد الجمود والتحجر ، لان الحركة والتطور سنة الحياة ، والجمود والتحجر بداية الموت ، لكن ، ان تبث انه مرحلة لا طبيعية ، فأنا محق في رفضه ومحاربته ، فأي الرايين اصوب ؟ واجيب بكل موضوعية الفرانكوارب ظاهرة مرضية وليست طبيعية ، وهذه حجج وبراهين .

السنة الطبيعية :

صحيح ان اللغة كائن حي ، وان بقاءها في تطورها ، اي في ادائها لمهمتها على احسن وجه ، وصحيح ان لغتنا تتطور هي

الاخرى ، وان كل المحاولات التي قامت بها بعض العقول المتحجرة للتعرض لهذا التطور قد باءت بالفشل ، لكنَ غير صحيح ان الفرانكوارب هو مظهر « من مظاهر اللغة العربية - **هو بلغة الطب مرض خطير ، الم بها وهي تتابع نموها الطبيعي :**

من البديهي انني لا اكتب كما كتب الجاحظ يوما ، ومن البديهي ان باستطاعة لغوي متشدد ، اني قرأ هذا النص فيستهجن كلماته ، وتركيب الجمل فيه ، وان يستشف منه تأثير لغة اجنبية ، وأقول : هذا تطور حتمي لا مناص منه !.

من البديهي كذلك انني لا استحي من استعمال مصطلحات علمية كالنترون ، والبروتون ، ان كنت فيزيائيا ، او عبارات الحوامض الامينة ، والاكسجين ... والهديروجين الخ ... وكلها كلمات اجنبية ، ورأيي انه من السخف اضاعة الوقت والجهد في محاولة اكتشاف كلمات عربية الاصل - لتعبر عن هذه الظواهر العلمية التي غزت في شكلها اللاتيني كل لغات العالم ، لذلك انا لا أتخرج من استعمالها ، ولا في ذلك حطا من قيمة العربية مثلما لا اجد حطا من قيمة الفرنسية ان تستعمل كلمة Alcool العربية الاصل (الكحول) - اقول اذن - من جديد ، هذا ضرر حتمي لا مناص منه يجب قبوله .

من البديهي كذلك - اننا بتشبعنا بالقيم العصرية بحاجة الى اصطلاحات جديدة ، لا وجود لها في قاموسنا ، لاننا لم نعرف القيم التي تترجم لها مثلا : العلم اليوم ليس علم البارحة ، هو حركة دائبة متجددة ، لا تكل ولا تفتر ومن ثمة فالعالم الحقيقي هو الذي يطور ويغير ، وينقح مفاهيمه ، لذلك ظهرت في الغرب كلمة recyclage وترجمناها فقلنا « الرسكلة » والكلمة حسب رأيي انيقة واختيارها ناجح ...

اقول اذن : هذا مظهر من مثال اخر على مستوى اخر من التطور الحتمي ، وهو امر طبيعي لا مناص منه - كنا نتناقش مع بعضنا البعض في مقاهي اوروبا ونحن طلبة ، وكان منا المشارقة والمغاربة ، وكان منا الملاحدة والمؤمنون ، وكان منا الثوريون والمحافظون ، وكنا نتبادل التهم والشتائم بسخاء فنسمي المخالف في

الملة خائنا عميلا مرتزقا ، وكنا نغضب ونتصالح بحماس الشباب ، وصدق الشباب ، وسذاجة الشباب ، وكان القاسم المشترك بيننا حب الوطن الاكبر ! دار العروبة وحب اقطارنا الصغيرة ، ولم يكن رغيفا الا تعبيرا عن عثرات واخطاء ومحاولات الفكر العربي وهو يجدد عهده ؟ ويحدد مفاهيمه ، ويبحث عن ارضية تنطلق منها نهضته ، وكنا في مقاهينا ونحن نعيد بناء العالم . احد الاصوات الناشرة واحد ابواق هذا الفكر العربي التائه ، والاهم من هذا ، اننا كنا كلنا نتحدث لغة واحدة ، لغة وسط بيني العربية الفصحى ولهجاتنا المحلية ، وكان الشامي يضحك من التونسي ويطالبه - باسم الفصحاحة - ان يقول جمل لا اجمل ، وكان القاهري ينكتب على « ميوعة » الشامي « وكنا ننتهر الزميل القادم من البصرة : اسكت عني « ما كوا اوامر للكلام » وكان البغداد يغضب ، ويدخل في مشادة حادة مع الوهراني ، وكانت مشادة اشقاء .

كان لكل واحد منا لهجته ، وكان يزرف منها - تلقائيا - الكلمات العامية ، التي يعرف بالسليفة انها خاصة بمنطقته ، وكنا نفهم بعضنا البعض ، لان قدرنا ان نفهم بعضنا البعض وقدرنا ان نكون امة واحدة ذات لغة واحدة ، وهذه اللغة الوسط - اي اللغة العصرية - المتطورة - نتكلمها حتى هنا في بلدنا خاصة في بعض المناطق المتشبثة بتونسيتها وعروبتها . لغة تجمع بين حيوية الدارجة وجمال الفصحى ، لغة انيقة متحضرة لا يضرني شخصيا ان اكتب بها ، وان اتحدث بها ، لانها لغتي الحقيقية ، ولانها حصيلة هذا التطور الطبيعي الذي يجب ان تعرفه كل لغة حية .

ودخل الفرانكوارب في ركاب الاستعمار الثقافي ليفسد على اللغة تصورها هذا ، واللغة ككل كائن حي معرضة للمرض ... وهي تعاني في بلدنا من مرض عضال يمكن مقارنته بالامراض الطفيلية التي يعرفها الجسم وحتى النبات !

اقول : السبب تخلف المجتمعات المغربية ، ورضوخها للنموذج الغربي للتقدم - تقليدها السطحي ، الشك في الاصالة والتفتح السلبي .

كثيرا ما اطيل النظر لبعض فتياتنا وهن يلثغن بالغاء الفـرنسية الباغيزية ، لا للصلصة وانما لاضحك ، ولو أن ضحكي حزين . كل شيء في لبسهن ، وتصرفهن ، يذكرني بنفس نمط فتيات مراهقتي ، وشبابي ، في مدارج جامعات فرنسا ، لكنني لا البث ان اكتشف الغيب ... فالتقليد ليس ناجحا مائة في المائة ، هناك دائما وابدا شيء ما يصعب تحديده يفرض عليك هذه الفكرة المزعجة .

رغم كل محاولات التقليد ، فلا زال هناك شوط بين النموذج والمقلد ، وانا ـ شخصيا انسان يفضل دائما « فروة الفيزون » الاصيل على ثروة الانب التي تحكي « انتفاخا صولة الفيزون » كذلك انا اكره الشعر الاسود المصبوغ بالاصفر ، ولا اعرف الى حد الان ـ اي النوعين افضل : الشعر الاشقر الذهبي الطبيعي ، ام الشعر الحالك السواد الطبيعي كذلك ...

بصراحة ـ حضاريا ـ نحن سود الشعر ، مع صبغة من الصفرة الاصطناعية نتعهدها ونعتقد ـ مخلصين ـ انها تجعل منا الفرع الجنوبي لجنسي الفيكنغ .

تجول في المدينة وستلاحظ محاولات الناس اليائسة للتشبه بالنموذج الغربي وفشل المحاولة الفشل الذريع . ستشاهد فشل التأصل ، وفشل التفتح ، وهذا جالس خلف مقود المرسيديس الفَخمة ، والسيجار الغليظ في فمه ، ينبئك بأن السيد رجل هام ، لكن لاحظ كيفية السياقة ، وستكتشف ان الرجل يحسب نفسه على صهوة جواد عنترة بن شداد .

اسكن العمارات الفخمة ، وستكتشف ان المصعد لا يعمل ثلث الوقت ، وان جارتك لا تحب استعمال المهراس الا ابتداء من العاشرة مساء .

اذهب الى الادارة الفلانية وستكتشف ان نصف الطاقم من عشيرة واحدة : عشيرة السيد المدير ، وانت عندما تقلد احدًا فلا بد من تقليد تفكيره ، ومن ثمة لغته ـ والمعظلة هي في اجادة التقليد مع الاحتفاظ بالشخصية وقد فشلنا في ايجاد الحل .

المصيبة ليست اننا نتكلم الفرانكوارب ، بل اختلاط المفاهيم ، والقيم الحضارية في عقول الناس ، تشوش اللغ واضطراب النطق ليس الا الظاهرة المرضية ، اما المرض فهو التخلف الحضاري والتقليد الحضاري ، و«الاليَتهُ» الحضارية .

تتعثر الالسن ، لان الافكار هوجاء ، لان الارضية الصلبة مفقودة ، لان التجذرع ضاع لان العقل يستهلك ولا ينتج ، لاننا سلبيون ! .

الفرق بيننا وبين امم العالم الثالث - العظمى - كاليابان ، والصين ، وكوريا ، هو انها نجحت اين فشلنا ، هضمت معطيات الحضارة المعاصرة . حقا فوجئت بها كما فوجئنا بها ، وتوقف نمو شجرة حضارتهم فترة من الزمن نظرا للمرض الذي الم بها . لكنها استوعبت الصدمة ، وافرزت الاجسام المضادة ، ووالت نموها ، لذلك فاق الياباني سيده الغربي ومعلمه ، وغزاه ببضائعه ولم يتكلم - يوما واحدا - يابانيٌ واحدٌ الفرانكوارب يباني ، كذلك توقفت شجرة الحضارة الصينية فترة من الزمن ، ولم تمض الا سنوات حتى قضت على الالياف الطفيلية ، وانطلقت الصواريخ الى الفضاء ، وتفجرت قنبلة الهيدروجين والناس صينيون يشقون طريقهم لا يتكلمون الا لغتهم .

ونحن العرب ؟ وعلى وجه التحديد المغاربة . ارتضينا التقليد ولم نجده ، وطردنا المستعمر السياسي من النافذة ، وادخلناه ثقافيا من الباب . فتحنا له الباب على مصراعيه ، وتمسحنا به - تذللا وانبطاحا - واصبحنا نحتقر من يتكلم العربية ونتصور ان الحضارة ليست شجرة متجذرة تنمو باطراد وتستمد من ثراها ومن عروقها الحياة والقوة ! اشترينا « السابان » ليلة عيد الميلاد ، واصبحنا نصرف فعل « تكونسا » وقلنا تقدمنا . ونمت شجرة حضارتنا ملعونة ليست بزيتونة وانما « سابان » عليها شيء من القطن ، لا شرقية ، ولا غربية ، ولا يوقد منها كوكب حضاري ولا يضيء زيتها ولو مسه الف نور على نور .

صحيح - ان هناك فرقا هائلا بيننا وبين اهل الصين واليابان فهم

واجهوا الطفيلّي والسرطان أمما ونحن واجهناه عشائر وافخاذ ، وعائلات وافراد ، او قبائلا في احسن الحالات .

وتسألني هذا تشخيص طبيب ، فهل للطبيب دواء قبل ان يقضي الطفيلي على المصاب ؟ وما هو بالفرانكوارب الفصيح « البرونوستيك » وارد : أندواء بيد اهل الاختصاص وانا لست منهم والوصفة كما يلي :

- تعريب التعليم العالي ، وخاصة الشعب العلمية منه في ظرف اقصاه عشر سنوات .
- تعريب كامل الادارة في اسرع وقت .
- تعميم وتعميق التعريب في كافة قطاعات التعليم .
- نشر لغات ثانوية اخرى كالانجليزية ، والالمانية ، للخروج من الفلك الفرنسي .
- تعريب التلفزة ووقف هذه اللخبطة في البرمجة .
- عدم التصريح للافلام بدخول البلاد بدون ترجمة عربية .
- تكثيف التبادل الثقافي على اعلى المستويات ، وليس على مستوى المسلسل ، بين مختلف الاقطار العربية .
- فتح معاهد عربية للبحث العلمي ، تكون في اطار قومي .

لماذا لا يكون لها معدٌ عربيّ للصحراء ، ومعهدٌ عربيٌ للعلوم البحرية ، ومعهد عربيّ للفضاء ، ومعهدٌ عربيّ للفيزياء النووية ، ومعهد عربيّ لبيولاجيا الزلايا ، لنعيد للعربية دورها ومكانتها كلغة علمية عالمية .

بصراحة عندما اسمع بوزارة البحث العلمي ، في تونس ، وموريطانيا ، ودبي ، اضحك ! هل تعلمون ان ميزانية جامعة ستاندفورد ، او بركلي ، في كاليفورنيا تفوق ميزانية الدولة التونسية ؟

كفى هزلا يا عرب - الرهان الحضاري اليوم يربح في مختبرات جبارة ، والسبق فيها للامم الكبرى - الا يكفي ما ضيعنا من الوقت ، الا نستطيع اعتبار الجامعات والمخابر العلمية التي ستجدد ثقتنا في انفسنا ، وتعيد للغتنا دورها الخالد ، مناطق منزوعة من السلاح ،

نضع خلافاتنا في مدخل الباب عندما نطأ ارضها لنعد لاحفادنا مستقبلا وحضارة ولغة مشرقة !!

وتسألني من جديد : وماذا سيحصل ان لم يأخذ اهل الاختصاص بتشخيص الطبيب ووصفته المؤلمة ، وارد ... املي كبير في رئيس هذه الحكومة ، لانه منا والينا وتلحّ : افرض انه لم ينجح في استئصال الورم الخبيث ؟! .

اقول اذن ـ باي باي لا راب مون فرار ولا حول ولا قوة الا بالبون ديو .

على كل فقد قررت شخصيا استباق الاحداث بانتهازيتي المعروفة حتى يقال عني كاتب جريء ـ مبدع ـ طلائعي ـ يتكلم ويكتب بلغة الشعب : نعم سأكتب انا رائعة الادب التونسي المعاصر والمستقبلي « انا مدبريمي » خاصة وانني فعلا مصاب بانهيار عصبي ـ هذه الايام ، اي انني ، بالفصحى الفرانكورابية ، مدبرم دبرمة ما بعدها من تدبرم .

الدكتور منصف المرزوقي
سبسياليست في النورولوجي
اسيستان في الفاكولتي متاع المدسين دُتُنيس

نكبات قفصة في القرن 6هـ 12م

الأستاذ: أبو القاسم محمد كرو

تحدثنا مصادر التاريخ الموثوق بها ؛ ان هذه المدينة كانت ، منذ سحيق العصور مركزا هاما من مراكز الحضارة في افريقيا (1) وان سكانها كانوا دائما ميالين الى السلام محبين للعدل ثائرين على الظلم والقهر مقاومين للاستبداد والابتزاز ، مناصرين للحق منقطعين الى العلم والزراعة والصناعة .

وتحدثنا كذلك كتب الجغرافية والمسالك الاسلامية ، عما وصلت اليه هذه المدينة وضواحيها وقراها المتناثرة حولها ، من تقدم وازدهار ورخاء وعمران طوال القرون الخمسة الاولى للاسلام في هذه الربوع ... اي من نهاية القرن الاول الهجري السابع الميلادي الى نهاية القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي .

ويجمع المؤرخون ، وفي طليعتهم ابن خلدون ، على ان مدينة قفصة وضواحيها وأعمالها الممتدة الى قسنطينة غربا والجريد جنوبا والى القيروان شمالا وقابس شرقا ، قد بلغت قمة الازدهار والتقدم والرخاء في عهد ملوكها من بني الرند الذين استقلوا بها وبما حولها طوال قرن كامل ، من سنة 445/ عقب انهيار الحكم الصنهاجي الى سنة 555/ عندما قدم عبد المؤمن بن علي ، ووحد افريقية وكامل بلاد المغرب تحت راية الموحدين البربر .

وبنو الرند ترتبط تاريخ المدينة بهم لفترة اخرى تمتد الى نهاية القرن السادس ، وربما الى ابعد من ذلك . وهم عائلة بربرية نزحت الى قفصة في القرن الخامس الهجري ، ونلتقي مع اول امير منهم في عهد المعز بن باديس ، حين عينه واليا على المدينة ، فاغتنم فرصة هجمة الاعراب على افريقية واضطراب احوالها وانهيار الحكم المركزي في القيروان ليعلن استقلاله ... كتونس وبنزرت وباجة وزغوان وقابس ...

ويلخص لنا ابن خلدون حكم هذه الامارة ، وما اتصف به عهدها من رخاء وعدل وامن واستقرار فيقول :

« ... عامل صنهاجة عبد الله بن محمد بن الرند ، ضبط قفصة ، وقطع عنها عادية الفساد وصالح العرب (2) على الاتاوة (3) فصلحت السابلة واستقام الحال ...

« ... اعلن انفصاله سنة 445 ، وبايعته توزر وقفصة ، وسوسة والحامة ونفزاوة وجميع اعمال قسنطينة ، فاستفحل امره ، وعظم سلطانه ، ووفد عليه الشعراء والقصاد ، وكان معظما لاهل الدين الى ان هلك سنة 465 .

فخلفه ابنه المعتز ابو عمر ، وانقاد اليه الناس ، فضبط الامور ، وجبى الاموال ، واصطنع الرجال وتغلب على قمودة وجبل هوارة وسائر بلاد قسطيلية وما اليها .

وحسنت سيرته الى ان عمى ، وهلك في حياته ابنه تميم ، فعهد الى حفيده يحيى بن تميم ... وقام بالامر واستبد على جده ،.ولم يزاولوا بخير حال الى ان نازلهم عبد المؤمن سنة 554 ، فمنعهم من الامر ، ونقلهم الى بجاية فمات المعتز بها سنة 557 لمائة واربع عشرة من عمره ، ومات بعده بيسير حفيده يحي بن تميم ...

هذا ما قاله ابن خلدون عن بني الرند وعن حكمهم الذي زاد عن قرن - لولاية شاسعة شملت كافة الجنوب الغربي التونسي ، ومعظم الوسط ، اي بلاد قمودة ومعظم الجنوب الشرقي ، والصحراوي

الجزائري المعروف اليوم بولايات قسنطينة وبسكرة والزاب (بني مزاب) .

وشهادة ابن خلدون هذه ذات اهمية كبيرة ، سياسيا وتاريخيا واقتصاديا ... وهي تؤكد بالخصوص على نجاح بني الرند في توطيد الامن والوحدة الادارية والازدهار الاقتصادي ... وحسن سياستهم للرعية .

وهذه العوامل الهامة جدا .. هي التي مكنت سكان هذه المدينة وتوابعها من رخاء وتقدم لم تعرف مثيلا لهما في اي عصر اخر .

وسنرى شهادات الجغرافيين المسلمين عن كل ذلك بعد قليل ، ونتابع مسيرة القرن السادس الهجري في النصف الثاني منه لنرى ماذا حدث ؟

لم يحدثنا ابن خلدون عن الكيفية التي تم بها ضم قفصة وتوابعها الى عبد المؤمن بن علي ..؟ هل كان ذلك عنوة وبحد السيف ؟ كما حدث في عديد المدن والمناطق الاخرى ؟ ام كان ذلك بطريقة ثانية .

ان قول ابن خلدون « فمنعهم من الامر، ونقلهم الى بجاية ...» يوحي بأن ضم المدينة كان بالسلم لا بالحرب ؟ وهذا ما حدث فعلا ... بل الاهم من ذلك هو ان هذه المدينة قد سعت باميرها وعلمائها واعيازها الى الانضمام للوحدة المغربية ، وهي اول واخر وحدة سياسية حقيقية - قامت في تاريخ المغرب العربي طوال العصور .

فقد حدثتنا مصادر اخرى ... ان عبد المؤمن بن على حين كان يحاصر المهدية ، قيل له بأن وفد مدينة قفصة يريد مقابلته ، وان رئيس الوفد هو يحي بن تميم امير المدينة ومعه عدد كبير من العلماء والادباء والاعيان ؟

وقد استغرب عبد المؤمن ذلك ، لعلمه :

اولا : بقوة هذه الامارة ومناعة مدنها وحصونها وقصورها .

ثانيا : لان جيشا موحديا بقيادة ابنه عبد الله قد كان في طريقه اليها لاخضاعها ... ولما اكدوا له الحقيقة عن هذا الوفد ... استقبله بحفاوة ، ورحب به غاية الترحيب ، وزاد سروره وابتهاجه حين وقف بين يديه شاعر قفصي من اعضاد الوفد ، وبايعه بقصيده استهلها بقوله :

ما هز عطفيه بين البيض والاســل
مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

ولم يترك عبد المؤمن الشاعر يكمل قصيدته ، فقد اغناه هذا البيت عن كل شعر او نثر ... ففوق المبايعة والاعتراف له بالسلطان ... لقبه - ولاول مرة بلقب «الخليفة» ؟ الامر الذي كان يحلم به ، ويسعى اليه ، ولم يجد المناسبة او الطريقة لاعلانه ، فاذا بهذا الشاعر يجد له الحل ببيت واحد من الشعر ، جمع فيه بين المبايعة بالسلطة والخلافة معا .

ويدلنا على مدى اثر هذه البيعة وهذا الشعر - وايضا اللقب في نفس عبد المؤمن ، انه منح الشاعر جائزة مقدارها الف دينار ؟! .

نعود الى مدينة قفصة بعد رحيل امرائها عنها، واجبارهم على الاقامة الدائمة في بجاية ، لنؤكد بأن امر المدينة ومصيرها قد اخذا في الانحدار منذ هذه السنة ...

وذلك ان الموحدين - اي عبد المؤمن وابنائه من بعده - قد اوكلوا ادارتها الى ولاة من اتباعهم ، لم يكونوا قط على اي درجة من الكفاءة وحسن السياسة ورعاية المصالح العامة ... الامر الذي نشر الفساد والنقمة بين المواطنين ... وحملهم اكثر من مرة على مناشدة العدل والاستقامة من السلطة المركزية ، فكانت تغير الوالي او العامل باخر اكثر سوءا وابتزازا للمال من سابقه. وعندما يحل الياس والظلم محل الامل والعدل ينفجر الغضب ، وتتهيا النفوس للعصيان والثورة ، وهذا ما حدث فعلا ... وقاد المدينة بل المنطقة برمتها الى الدمار والخراب ...

ان حمق السياسة الموحدية في هذه الجهة وعوامل اخرى خارجة

على نطاقها قد كيفت مصير هذه المدينة ، وحكمت عليها بالفقر والتخلف زهاء ثمانية قرون .

ان ربع قرن من الزمان اي من سنة 576 الى سنة 601 كان هو القرار الابدى والمحنة الكبرى التي حولت كل شيء تقريبا : الزراعة والصناعة ، والتجارة والمواصلات والاقتصاد . السكان العمران وجميع الخصائص الاخرى ...

لا استطيع في هذه العجالة ان اتحدث ، ولو باشارة عابرة ، عن كل ذلك ... وعليه فاني سأكمل المسافة الزمنية بين سنة 555 وسنة 601 .

اي زهاء نصف قرن ، وهي الفترة التي تولى فيها الموحدون مباشرة الحكم والسياسة وايضا الحرب في هذه الجهة ، لنرى نتائج ذلك مع مطلع القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي .

والملاحظ هنا ، انه باستثناء عبد المؤمن بن علي الذي لم يأت الى المدينة خلال زحفه على افريقية ، واكتفى بارسال ابنه عبد الله ، فان جميع خلفائه الثلاثة الموالين قد زحفوا على رأس جيوش جرارة لاخضاع المنطقة ، وطرد العصاة والثائرين بها ، وايضا لزرع الخراب والدمار في انحائها ...
ولكنهم جميعا لم يتفطنوا قط الى :

اولا : ان جميع العصاة والثائرين بها طوال الربع الاخير من القرن السادس ، ليسوا من اهلها ، ولا هم ممن سعى اليهم احد من ابنائها .

ثانيا : ان سياسة الابتزاز والدمار والاستنزاف التي سلكها العمال الموحدون هي العامل الرئيسي والمباشر في جعل المدينة تفتح ابوابها للغزاة وللمغامرين ، طمعا في العدل ، وتعلقا بمثل عليا في الحكم لم يوفرها للسكان ولاة الدولة الموحدية ، وحين حل الحفصيون محل الموحدين ليحكموا البلاد باسمهم اولا ولحساب بني حفص بعد ذلك ، كان المصير قد انتهى ، واصبحت هذه المدينة وتوابعها اثرا بعد عين ... وكان عليها ان تواجه وحدها - وبدون حماية عسكرية او

اقتصادية ـ قطاع الطرق ، وعصابات المغامرين والعربان ...

يقول ابن خلدون مواصلا حديثه عن عبد المؤمن ابن علي عام 555 بعد انضمام قفصة اليه ونفى امرائها الى بجاية ، ما نصه :

« وولى عبد المؤمن على قفصة اي سنة 555 نعمان بن عبد الحق الهنتاتي ثم عزله بعد ثلاث بميمون بن اراحانا الكنسيفي ، ثم عزله بعمران بن موسى الصنهاجي واساء (اي الصنهاجي) الى الرعية ، فبعثوا الى علي بن عبد العزيز بن المعتز في بجاية ، وكان بها في مضيعة يحترف بالخياطة ؛فقدم عليهم ... وثاروا بعمران بن موسى عامل الموحدين فقتلوه ، وقدموا علي بن العزيز فساس ملكه وحاط رعيته » .

لم يعطنا ابن خلدون تفاصيل هذه الحركة ، واكتفى ببيان ان ذلك حدث قبل سنة 563 ، وجعل هذه السنة سنة التحرك الموحدي لاسترجاع المدينة ، وهو يخالف في هذا جميع المؤرخين بمن فيهم اولئك المعاصرون للاحداث ، والذين كانوا يسجلونها يوميا بشكل رسائل يبعثون بها ، باسم الخليفة الموحدى ، الى المغرب والاندلس .

واعتقد ان التاريخ الصحيح هو سنة 574 حين استقدم على بن عبد العزيز الرندى ، وان الجيش الموحدى زحف في السنة الموالية بقيادة الخليفة نفسه أبي يعقوب يوسف ، وليس بقيادة اخيه ابي زكريا كما ذهب الى ذلك ابن خلدون ايضا .

المهم هو أن الخليفة الموحدى رغم شواغله بحروب اخرى في المغرب والاندلس قد تولى بنفسه قيادة الحملة سنة 575 ، وحاصر المدينة ، وضرب سورها بالمجانيق حتى احدث به ثلمة ولكن الامر حسم دون قتال باستسلام على الرندى ، وكان ذلك منه لا عن ضعف او خوف ، وإنما حماية لارزاق اهل المدينة ، حيث شرع جيش الموحدين في تخريب الغابة الملتفة بالاشجار والثمار حول المدينة ، بمعدل يفوق الالف شجرة يوميا .

وسترى ان هذه السياسة التخريبية ستكون هي العمل التقليدي

لكل الجيوش والحملات اللاحقة ، سواء كانت تابعة للسلطة المركزية او لغيرها من المغامرين والطامعين في الحكم . وفي كل مرة تدفع هذه المدينة الثمن غاليا من ابنائها واشجارها

وبعد استيلاء الموحدين على المدينة نقل علي بن الرند الى مدينة سلا على المحيط الاطلسي حيث انيطت به وظيفة صغيرة هي الاشراف - كما يقول المؤرخون - (على الاشغال بها) الى ان مات في تاريخ غير معروف .

وعهد السلطان يعقوب بحكم المدينة وتوابعها الى اخيه السيد علي بن ابي الحسين ، وجعل جميع بلاد الزاب تابعة له . وكان ذلك في رمضان سنة 576 هـ فيفري 1181 م.

وخوفا من القبائل العربية التي كانت ضاربة خيامها باعداد ضخمة في المنطقة ، وخاصة قبائل رياح ، عمل السلطان على ترغيبهم في الهجرة الى المغرب والاندلس للجهاد ضد النصارى ... وحمل معه اعدادا كبيرة منهم .

ونظرا للاهمية التي اعطاها الخليفة الموحدي لاسترجاع قفصة ، حيث قاد لها بنفسه جيوشا جرارة من مراكش جنوب المغرب ، وأنفق اموالا طائلة عليها فقد سجّل الكثير من احداثها كُتابُه المرافقون له بشكل رسائل ومناشير ، بعثوها باسمه الى المغرب والاندلس فرحا بالنصر وابتهاجا بعودة المدينة الى « التوحيد » حسب اصطلاحهم . وقد تبارى الشعراء الرسميون في وصف هذا الانتصار سواء منهم الحاضرون معه او المقيمون في المغرب وحتى الاندلس ، واهمهم جميعا دون ريب هو العلامة الفيلسوف ابو بكر بن طفيل الذى كان مرافقا للحملة بوصفه الطبيب الخاص للخليفة ، يقول ابن طفيل في مطلع قصيد اشاد فيه بالفتح وبالجيش الموحدى وتم ارساله مع منشور للمغرب والاندلس :

ولما انقضى الفتح الذي كان يرتجى
وأصبح حزب الله اغلب غالب
وساعدنا التوفيق حتى تبينت
مقاصدنا مشروحة بالعواقب

وانجزنا وعد من الله صادق
كفيل بابطال الظنون الكواذب

وعاد ابو يعقوب يوسف الى بلاده ، بعد ان ترك حامية عسكرية كبيرة في المدينة ، وعين عددا من اخوته ولاة على القيروان وتونس .

وحتى هذا التاريخ والى سبع سنوات اخرى قادمة بقيت المدينة عامرة بالسكان مزدهرة بالعمران ، قوية باقتصادها ورخائها ، جامعة بفضل موقعها الاستراتيجي وامكانياتها المتنوعة ، بين الزراعة والتجارة والصناعة ، تنتج مختلف الفواكه والغلال ، وتصدر الفستق والتوابل والعطور والزجاج والقطن ، وتمير القيروان ، وتتبادل السلع والمنتوجات مع الاندلس والمغرب ، ومصر والشام وجزر البحر المتوسط الكبرى ، وتعتز بادبائها وعلمائها الذين جملوا مجالس الادب والعلم في القيروان وقابس ، وتونس ، والاندلس ، وحتى القاهرة ودمشق ومكة والمدينة .

ورغم الاضرار التي لحقت بها من هذه الحملة ، فانها استطاعت ان تضمد جراحها وترمم سورها ، وتحيط بخندق عريض وتزيد مناعة ابوابه الاربعة وابراجه الثلاثة حراسة دائمة ويقظة مستمرة .

فهرس المواضيع

سحب من هذا الكتاب 3.000 نسخة
في نشرته الأولى

المؤسسة الوطنية للنشر

الثمن : 000 4 د.ت